محمد جواد مغنية

إسرائيليات القرآن

تفسير إسرائيليات القرآن يظهر
حقيقة اليهود وعقيدتهم الصهيونية

أعد الكتاب وقدم له
عبد الحسين مغنية

دار الجواد

إسرائيليات القرآن



محمد جواد مغنية

إسرائيليات القرآن

تفسير إسرائيليات القرآن يظهر حقيقة اليهود وعقيدتهم الصهيونية

«نحن اليهود لنا إرث في مكة والمدينة»
موشي ديان

أعد الكتاب وقدم له
عبد الحسين مغنية

دار الجواد

كورنيش المزرعة / بناية حيدر ورمضان
الطابق الأرضي / تجاه مدرسة نوتردام
ص . ب ٥٨١٣ ـ ١٤ تلفون ٣٠٠٧٤٨
بيروت ـ لبنان

الطبعة الثانية
١٤٠٤ ـ ١٩٨٤ م

الإهــداء

إلى الشعـب العربـي ..

إلى الأمّـة الإسلاميّـة ..

أقـدّم هـذا الكـتاب ..

الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم
والحمد لله رب العالمين، والصلاة على محمد
وآله الطاهرين

المقدمة

الإلـــه القومـي

عقيدة اليهود:

«من التوارة ننطلق وإلى التوراة نعود»
مناحيم بيغن رئيس وزراء إسرائيل بطل مذبحة دير ياسين.

«انتم أولاد للرب إلهكم. لأنك شعب مقدس للرب
الهك وقد اختارك الرب لكي تكون له شعباً خاصاً
فوق جميع الشعوب الذين على وجه الآرض».

التوراة سفر تثنية الاصحاح الرابع عشر فقرة ١ و ٣.

«لأنك أنت شعبٌ مقدّس للرب الهك. إياك قد اختار الربُ الهك لتكون له شعباً اخصَّ من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض. ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم لأنكم اقلُّ من سائر الشعوب. بل من محبة الرب إياكم وحفظِه القسم الذي اقسم لآبائكم. . . - أي أن الله قد أقسم يمين الولاء والطاعة لليهود - .

التوراة سفر التثبية الاصحاح السابع فقرة ٦ الى٨

«لتحبُّوا الرب إلهكم وتسلكوا في جميع طرقه وتلتصقوا به يطرد الرب جميع هؤلاء الشعوب من أمامكم - أي من أمام اليهود - فترثون شعوباً أكبر وأعظم منكم. كل مكان تدوسهُ بطون أقدامكم يكون لكم. من البرية ولبنان. من النهر نهر الفرات إلى البحر الغربي يكون تخمكم. لا يقف إنسان في وجهكم. الرب إلهكم يجعل خشيتكم ورعبكم على كل الأرض التي تدوسونها كما كلّمكم».

التوراة سفر تثنية ١١ و ١٢ والاصحاح الحادي عشر فقرة ٢٣،٢٤،٢٥

وهكذا يتبيّن ان الله مُتّحد في وجوده مع أبنائه اليهود بالتكافل

والتضامن ـ حسب الاصطلاح القانوني التجاري المتداول ـ ويتّضح أن هـذا الالـه القبلي العشـائري قـد (حـلّ) ـ حسب التعبيـر الصـوفي المعروف ـ في دولة اسرائيل القوميّة الربانية.

وقد صدق الحاخام رفائيل هرش ١٨٠٨ ـ ١٨٨٨ حين قال: (ان التوراة هي كلام الله، كتبها حرفاً حرفاً، قيمها خالدة ازلية تنطبق على كل العصور. ولولا التوراة لما تحقق وجود اسرائيل كشعب، وعلى الشعب اليهودي اتباع هذا الكتاب المقدس الى ان يأتيه وحي جديد).

وصدق «اليهود الأرثوذكس» أيّ اليهود التقليديين حينما رفعـوا شعارهم (ان الدين اليهودي هو القومية اليهـودية وان القـومية هي الدين).

الإلـــه السفـــاح

سلوك اليهود:

«وكان حين سمع الشعب ـ أي اليهود ـ صوت البوق أن الشعب هتف هتافاً عظيماً فسقط السور في مكانه وصعد الشعب إلى المدينة كل رجل مع وجهه وأخذوا المدينة. وحرّموا ـ أي قتلوا ـ كل ما في المدينة من رجـل وامـرأة من طفـل وشيـخ حتى البقـر والغنم

والحمير بحدّ السيف. واحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها. إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب.».

التوارة سفر يوشع الاصحاح السادس فقرة ٢٠ و ٢٤

وأيضـــاً:

«وكان لما انتهى إسرائيل من قتل جميع سكان عاي في الحقل في البرية حيث لحقوهم وسقطوا جميعاً بحدّ السيف حتى فنوا أنَّ جميع إسرائيل رجع إلى عـاي وضربـوها بحـد السيف. فكان جميـع الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال ونساء إثني عشر ألفاً جميع أهل عاي. ويوشـع لم يردَّ يـده التي مدهـا بالمزراق حتى حرّم - أي قتل - جميع سكان عاي. لكن البهـائم وغنيمة تلك المـدينة نهبهـا إسـرائيـل لأنفسهم حسب قول الرب وجعلها تلاً أبدياً خراباً إلى هذا اليوم. ومَلِك عاي علقّه على الخشبة إلى وقت المساء. وعند غروب الشمس أمر يوشع فأنزلوا جثته عن الخشبة وطرحوها عند مدخل باب المدينة وأقاموا عليها رجمة حجارة عظيمـة إلى هذا اليـوم.»

التوارة سفر يوشع الاصحاح الثامن فقرة ٢٤ إلى ٢٩

«فضربوا - أي أن اليهود - قتلوا من موآب في ذلك اليوم نحو عشرة آلاف رجل كل نشيط كل ذي بأس ولم ينج أحد. فذل الموآبيون في ذلك اليوم تحت يد إسرائيل. واستراحت الأرض ثمانين سنة - وكان بعده شمجر بن عناة فضرب - أي قتل - من الفلسطينين ست مئة رجل بمنساس البقر وهو أيضاً خلّص إسرائيل.»

التوارة سفر قضاة الاصحاح ٣ و ٤ الفقرة ٢٩ إلى ٣١

«فأرسلت الجماعة - أي اليهود - إلى هناك إثني عشر ألف رجل من بني اليأس واوصوهم قائلين إذهبوا واضربوا سكان يابيش جلعاد بحدّ السيف مع النساء والأطفال وهذا ما تعملونه تحرّمون - أي تقتلون - كل ذكر وكل امرأة عرفت اضطجاع ذكر. فوجدوا من سكان يابيش جلعاد أربع مئة فتاة عذارى لم يعرفن رجلاً بالاضطجاع مع ذكر وجاءوا بهن إلى المحلة - أي إلى أرض اليهود - إلى شيلوه التي في أرض كنعان.»

التوراة سفر قضاة الاصحاح الحادي والعشرون فقرة ١٠ إلى ١٢

«فتجنّدوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كلَّ ذكرٍ . . . وسبى بنو اسرائيل نساءَ مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائِمهم وجميع مواشيهم وكل املاكهم. واحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار . . . وقال لهم موسى هل ابقيتم كل انثى حية . . . . . فالآن اقتلوا كل ذكرٍ من الأطفال. وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكرٍ اقتلوها. لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكرٍ ابقوهن لكم حيات».

التوراة سفر عدد الاصحاح ٣١ فقرة ٧، ٩، ١٠، ١٥، ١٧، ١٨.

عهود اليهود وكامب دافيد . . . . !!

«. . . سبع شعوب اكثر واعظم منك ودفعهم الرب الهك امامك وضربتهم فانك تحرّمهم. لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم».

التوراة سفر تثنية الاصحاح السابع فقرة ١، ٢، ٣

آثار اليهود تدّل عليهم:

هذا غيض من فيض ما جاء به التوراة من أخبار بني إسرائيل، نذكر منها للقارىء بعض الأمثلة التي تكشف طبيعة اليهود وحقيقتهم البشعة. وكيف لا، ورب اليهود يأمر ونبيّ إسرائيل ينفّذ ويرتكب

المجازر الرهيبة، ويقتل الشيوخ العجزة والنساء الضّعاف والأطفال الأبرياء، يقتل البهائم وكل شيء يتنفس، يقطع الأشجار ويخرب الزرع والضرع ثم يحرق المدينة مع كل ما بها من سكان، وهذه هي سياسة «الأرض المحرقة» التي تعمل بها الآن اسرائيل في جنوب لبنان حيث تهدم البيوت على رؤوس ساكنيها وتحرق الزرع والحقول.

يجب التوقف لبرهة أمام مسألة قتل اليهود لكل امرأة ضاجعة ذكر واحتفاظهم للفتيات والطفلات العذارى، هل اليهود متعلقين بالعفة لهذه الدرجة؟

والحقيقة عكس ذلك، لأن كتاب التوراة يبدو في بعض قصصه أشبه ما يكون بكتاب فسق ودعارة، هذا نبيهم داود يزني بزوجة احد قادة جيشه ويعاقبه الرب على ذلك بان يجعل الرجال تزني بزوجات داود امام عينيه وتحت اشعة الشمس، امّا ابن داود واسمه امنون فقد اغتصب اخته ثامار وزنى بها.. وهذا نبيهم لوط يضاجع ابنتيه، ومن قبل ذهب نبيهم ابراهيم الى مصر وقدّم زوجته الجميلة سارة الى فرعون مصر على انها اخته فيتزوجها الفرعون ويغدق على ابراهيم، هذه هي قصص «الفحش المقدّس» ومن لا يصدّق فليقرأ التوراة ويتأكد بنفسه.

ونعود الى السؤال: لماذا يحتفظ اليهودي التوراتي بالعذراء ويقتل الثيّب، مع انه افجر خلق الله. والجواب ان اليهودي لا يدخل على امرأة قد دخل عليها من قبله رجل غير يهودي حتى ولو كان زوجها، فالمرأة قد تدنّست حسب معتقده ويتنجّس هو ان ضاجعها... وهل هناك عنصرية افظع من هذه؟

الحديث عن «مآثر» اليهود والبحث في تاريخهم الآثم يتسع لأكثر من مجلّد وكتاب، لكن لا داعي لفعل ذلك لأننا لن نستطيع أن نَصِفَ فظاعة بني إسرائيل ببساطة وصراحة أكثر من بساطة وصراحة اليهود في وصف أنفسهم وإظهار تعاليم ديانتهم على بشاعتها والدلالة على ماضيهم المجرم الذي لا يختلف عن حاضرهم بشيء.

ان البحث في التاريخ الاخلاقي ليهود الجزيرة العربية جدير بسرد الواقعة التالية التي ارتكبها اليهود بحق النصارى، لتعطينا فكرة واضحة عن مسلكية بني إسرائيل وعن القانون الأخلاقي والمفهوم العقائدي الذي يحكم علاقات اليهود مع الشعوب الأخرى. وملخص القصة:

في مطلع القرن السادس ميلادي، قبل ظهور الإسلام بزمن قليل، كان في اليمن ملك يدعي ذو نواس الحِميرَي اعتنق الديانة اليهوديّة بتاثير من السكان اليهود الذين يعيشون في وطنه وبضغط منهم قاد الملك يهود اليمن ليغزو نصارى نجران، ولعل اليهود هم الذين قادوا ذو النواس لهذا الغزو. على أية حال، إنهزم النصارى في تلك الحرب شر هزيمة، وجمع اليهود ما تبقى من المسحيين الأحياء بعد أن حفروا خندقاً عظيماً واوقدوا فيه النار ثم ألقوا إليها بالنصارى ليحترقوا وهم على قيد الحياة، وتروي لنا كتب السيرة أن أكثر من عشرين ألف منهم قد هلك. ولقد ذكر الله تعالى هذه الحادثة في سورة البروج الآيات ٤ إلى ٧ ﴿قُتِلَ أصحابُ الأخدُود. النار ذات الوقود. إذ هم عليها قعود. وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شُهُود.﴾ وسجلت دائرة المعارف البريطانية هذه الموقعة، واعتمدها أيضاً المستشرق درمنجم في كتابه «حياة محمد»، واخذ بها كذلك مؤلفو كتاب HTSTORIAN'S HISTORY OF THE WORLD. (تاريخ العالم للمؤرخين، إلى جانب ذكرها في سيرتي الطبري وهشام ابن محمد.

غنيّ عن القـول أن يهود اليمن قـد عملوا بمقتضى شـريعتهم وبوحيّ من دينهم عندما احرقوا الأحياء من نصارى نجران، ولنقراء التلمود والتوراة وشرائع موسى، ولنتذّكر ما فعلته إسرائيل بعرب فلسطين سنة ١٩٤٨ من أبادة وتشريد، من بقر بطون عشرات النساء الحوامل وذبح الشيوخ والنسـاء والأطفال في ديـر ياسين، وتكـرار مجازوها في الحولة وقبيّه وكفر قاسم، ونرى اليوم إسرائيل تفتك بأهل الجنـوب في لبنان بـأحدث الـطائرات الأميـركية والقنـابل العنـودية والقذائف الانشطاريه. بعد كل هذه الثـوابت الدامغـةوالأدلّة القاطعة تبرهن اسرائيل عن التزامها واخلاصها لما جاءت به كتبها المقدسة من التعصب والعداء لكل شعب لا يدين بدينها.

لكن يبقى أغرب من ذلك وأعجب استنكار إسرائيل الدارماتيكي لما فعله النازيون من حرق اليهود بالأفـران أبان الحـرب العالميـة الثانية، واستغلال هذه المسألة بشكل هستيري في الأعلام الصهيوني بغية غسل أدمغة البشر وإظهـار اليهود بمـظهر الضحـايا المسكينـة المُعتدى عليهم. مع أن الإسـرائليين سبقوا الألمـان في فعل هـذه الجريمة النكراء المسموح لليهود فقط بإرتكابها!!، -أي حرق الناس وإبادة البشر - وهي حلال عليهم وحق مقدّس لهم لأن إلّه إسرائيل قد أذن لهم بذلك بل أمرهم بفعلها وشدّد. وعلى ما يبدو أن هتلر أيضاً، كان معجباً بمبادىء التوارة حتى أنه طبق تعالميه على أصحابها اليهود وغير اليهود وهكذا تلتقي النازية والصهيونية تحت لواء الفكر والعمل الواحد.

الجذير بالذكر ان (ايخمان)(٠) النازي الذي نفّذ الأوامر بحرق اليهود وابادتهم مَثُل أمام المحكمة في اسرائيل، وقد وصف نفسه للقاضي اليهودي بانه صهيـونياً من قمـة رأسه الى اخمص قـدمية،

واستنكر ايخمان[1] ان تحاكمه اسرائيل وهي تمارس على العرب ما تعلمته منه ومن امثاله النازيين. ولا شك اطلاقاً ان ايخمان كان صادقاً في دفاعه عن نفسه لأنه لمس التلاقي الفعلي للصهيونية بالنازية ليس تلاقي السلوك في اغتصاب الأرض وابادة الشعب وطرده من وطنه. بل التلاحم العقائدي بين الصهيونية والنازية حيث التعصب العنصري والتفوق العرقي الآري والاسرائيلي على سائر الأمم.

اليهود في بلاد العرب

أغار الأشوريون على فلسطين أرض كنعان عام ٥٩٦ ق. م وفتكوا بالعبرانيين. وأعاد الرومان الكرّة عليهم مرة أخرى عام ١٣٥ ق. م. وفي كلتى الحالتين تشرّد بني إسرائيل وتشتتوا في أنحاء الأرض. غير أن شبه الجزيرة العربية أوت معظم تلك الجاليات اليهوديّه الكبيرة التي حلّت بصورة خاصة في اليمن ويثرب حيث اختلط اليهود الوافدين مع العرب سكان البلاد الأصليين، فدخلت جماعات من هؤلاء العرب في الدين الجديد وذلك بحكم التعايش والجوار. لكن اليهوديّة لم تنتشر فعلاً بين عرب الجاهليّة لأن اليهود لا يدعون إلى دينهم ولا يبشرون به، ولا يقبلون أن يخرج منهم هذا الدين ليشيع بين بقية الشعوب والأمم، لأن ذلك يساويهم مع كافة أبناء

(١) راجع كتاب (نهاية التاريخ) للدكتور عبد الوهاب المسيري صفحة ١٠٩، ١١٠ حيث يثبت المؤلف بالأرقام والوثائق ان ايخمان كان يتعاون مع الصهيونيين تعاوناً وثيقاً من سنة ١٩٣٧ حتى ١٩٤٢ وان زعماء الصهاينة دعوه لزيارة فلسطين ووصل ايخمان الى حيفاء وفي سنة ١٩٤٠ ولكن السلطات الانكليزيّة رحلته على الفور.

البشر، ويستحيل شرعاً أن يقبـلوا بهذه المساواة، لأن اليهود يؤمنون بأن الله اصطفاهم على العالمين وأختارهم شعبه الخاص، وسخرّ جميع شعوب الأرض عبيداً لهم، لذا يُسمّي اليهود غيرهم من الناس (الجوييم) أيّ البهائم بشكل بشر كما يقول الضالعون في فقه اللغة العبريّة.

المسيحيّة والمجوسيّة واليهود

في أوائل القرن السادس ميلادي، كانت فارس وبيزنطية القوتين الأعظم اللتين تقتسمان الحضارات المحيطة بحـوضي البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر. في العراق، وقفت مجوسية الفرس سداً منيعاً في وجه نصرانية الروم حتى لا تعبر المسيحيّة السياسيّـة إلى امبراطورية فارس. وشدّد الروم قبضتهم على مصر وسوريا وفلسطين حتى لا تُهدد المجوسيّة السياسيّة امبراطـورية البيـزنطيين في آسيـا الصغرى. وكان من الطبيعي أن يتحالف النصارى العرب مع الروم القوة المسيحيّة خصوصاً أنهم ذاقوا قبلاً الامرّين في تعسف وتسلط الفرس الذين حكموهم لمدة طويلة اما الفرس المجوس شجعوا الوثنيّة إينما كانت في شبه الجزيرة العربيّة لتقف معها في صفّ واحد ضدّ الروم. وظل اليهود حائرين وسط هذه التحالفات التي تدور من حولهم، فهم لم ينسوا بعد المسيح (ع) الذي ثار عليهم وتخلى عن دينهم وزلزل كيانهم وبالتالي هم لا يعترفون بالديانة المسيحيّة ولا بيسوع المسيح، ولذا كانوا في عــراك وشجار دائم مع جيرانهم النصارى الذين بدورهم كانوا يعتبرون أن اليهود نكّلوا بالمسيح وحرضوا على صلبه. لهذا

خشي اليهود تحالف النصارى مع الروم، فكانوا يعملون سراً وعلناً لتصديع هذه القوة المسيحية العتيدة. ويمقتضى الحال تعاون اليهود مع المجوس الفرس في بعض حروبهم ضد المسيحيين من روم وعرب. ولكن في بعض الأحيان كانت تتبدل التحالفات وتتغير المعادلات، فيتحالف اليهود مع الروم ويتعاون النصارى مع المجوس وذلك تبعاً للظروف السياسيّة والمصالح الاقتصاديّة والقوميّة لذلك العصر.

حاول اليهود تثبيت حلفهم مع الفرس وتكريسه بصورة دائمة، لأن في ذلك مصلحة لهم وحماية. ولكن الفرس لم يهتموا كثيراً بأمرهم بسبب قلة تعداد اليهود وعدم أهميتهم العسكريّة. ربما أخطاء المجوس في تقديرهم السياسي لبني إسرائيل، لأن اليهود يملكون سلاحاً سياسياً فتاكاً - سلاح الفتنة والشقاق - يفتنون به جميع الفرقاء ويألبوهم بعض على بعض حتى يبقوا فوق الجميع. وقد ساعدهم في ذلك الحين تفرق المسيحيين إلى شيع ومذاهب عديدة، فرقة تعتقد بالوهية المسيح وأخرى تؤمن، به كرسول لله ليس إلاً، مثله كمثل جميع الأنبياء الذي جاءوا من قبله، ومن المسيحيين من يقدّم مريم على ابنها المسيح، ولا يوافقهم على ذلك آخرين، وبعضهم لا يعتقد باستمرار عذرّية مريم بعد ولادة المسيح وينقاضهم في هذا الاعتقاد البعض الآخر، وهكذا استمر النصارى في الجدل حتى اختلفوا فيما بينهم حول جنس الملائكة وهل يوجد ملاك أنثى مثل الملاك الذكر، إلى ما هنالك من معتقدات وأفكار... ويحتدم الجدل بين الفرق

والمذاهب المسيحيّة، وينقلب إلى تناحر وتشابك واليهود تنفخ في نار الفرقة لتزيدها سعيراً.

أما عرب الجاهلية ما عدا أهل يثرب كانوا بمأمن من شر اليهود وفتنهم، لأن العرب شبه منعزلين داخل الصحاري والواحات في نجد وأطراف الحجاز المترامية، بعيدين نسبياً عما يجري حولهم من معارك وفتن، مع أنهم كانوا على اتصال بنصارى الحبشة والشام وبيهود اليمن بسبب التجارة، ورحلتي القوافل المحمّلة بالبضائع في الصيف والشتاء، إلاّ أن العرب لم يشاركوا فعلياً ولم يتاثروا بالصراعات التي كانت تدور خارج عالمهم الخاص. وبقي اهتمامهم الأول في الرعي والتجارة والعقار، والاستفادة القصوى من مركز مكة الممتاز، فإليها كانت جميع الشعوب تشدّ الرحال لتحجّ إلى البيت العتيق إلى كعبة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

اليهود في يثرب:

استوطنت قبائل اليهود مدينة يثرب وضواحيها حيث يعيش العرب أصحاب الأرض في عشيرتي الأوّس والخزرج، وأهم قبائل اليهود بني قينقاع، بني قريظه وبني النضير، أما يهود خيبر والبحرين واليهود من بني سعدة، بني ثعلبة، بني عوف، بني الحارث، بني جشم ويهود تيماء وفدك ووادي القرى كل هؤلاء انتشروا شمال وجنوب يثرب التي بقيت بدون منازع مركز الثقل بالنسبة لقوة اليهود واتساع نفوذهم وقبلة انظارهم. غير أن أكبر ثلاثة قبائل اليهود أي القينقاع وقريظة والنضير كانوا

في نزاع وقتال مستمر مع أنهم أبناء الدين الواحد، والسبب هو التنافس الشديد بين تلك العشائر اليهودّية للتفرد بالسيطرة على يثرب، مما يؤمن للعشيرة المنتصرة التجارة الرابحة والزراعة المثمرة والرخاء الدائم.

لم يكن العرب في يثرب أسعد حالاً من اليهود، لأن الأوس والخزرج كانتا في تذابح مستمر، وكثيراً ما تتداخل حروب العرب مع حروب اليهود، فيتحالف يهود القينقاع مع عرب الأوس ضد اليهود من قريظة والنضير، كما أن هاتين القبيلتين تتعاون مع عرب الخزرج ضد يهود القينقاع، وأنزل الله تعالى قصة يهود يثرب واقتتالهم فيما بينهم في القرآن الكريم [سورة البقرة الآية ٨٥] إذ خاطبهم قائلاً: ﴿ثُمَّ أنتُم هؤلاء تقتُلون أنفُسكُمْ وَتُخرِجونَ فَرِيقاً مِنكُم من دِيارِهم تَظَاهرُون عَلَيهِم بالإثم والعُدوَان﴾.

بالرغم من التناحر والاقتتال بين عرب الأوس والخزرج، إلاّ انهم كانوا يحسدون جيرانهم اليهود على ثرائهم وعلو سُدّتهم، لذا كانوا يكنون لهم الحقد والكراهية ويتربصون بهم الدوائر. وحانت الفرصة المرتقبة إذ أن النصارى من عرب الشام أغاروا على يهود يثرب ولكنهم لم يتمكنوا منهم بحال.. عندها رأى عرب الشام أنه لا مفرّ من الاستعانة بأخوانهم عرب يثرب، وتم الاتفاق بينهما، واقتضت الخطة الحيلة ان يستدرج الأوس والخزرج اليهود إلى خارج حصونهم المنيعة لكي يبطش بهم النصارى في كمين محكّم، وهذا كان.. وتخبرنا كتب التاريخ أن انكسار اليهود كان عظيماً، وعملت سيوف المسيحيين فيهم مقتلة شديدة، وانتقم نصارى الشام لأخوانهم نصارى نجران الذين احرقهم

اليهود منذ زمن ليس ببعيد في الأخدود وهم أحياء يرزقون. ونتيجة لهذه الموقعة نزل اليهود من الصدارة وموضع السيادة إلى الضعة والذلة، وقطف عرب الشام ويثرب ثمرة التعاون والانتصار. وحصل كل منهما على حصته من الغنائم والمكاسب، وعاد كل إلى دياره غزيزاً مكرماً.

سرعان ما دبَّ الخلاف كالعادة بين الأوس والخزرج، ودس اليهود بينهما ايّما دس، واشعلوا نار الفتنة بين العشيرتين فكانت موقعة «بعاث» حيث اقتتل الأوس والخزرج اقتتالاً بشعاً،حتى كادا ان يفنيا بعضهما بعضاً،وانتهت الحرب بهزيمة القبيلتين معاً لما حلّ بهما من قتل وتدمير شامل، وعلى اشلاء الأوس والخزرج استعاد اليهود مجدهم السابق وسيطرتهم المفقودة، واسترجعوا عقاراتهم ومزارعهم التي خسروها في معركتهم مع نصارى الشام، وصارت تجارتهم تزدهر وثرائهم يزيد .ونفوذهم يتسع حتى أصبحوا بالفعل يسيطرون على الحياة السياسية والاقتصادية لمدينة يثرب وجوارها. أما العرب من الأوس والخزرج لم تقم لهم قائمة بعد معركة «بعاث» حتى جاءهم النبي محمد (ص) من مكة مهاجراً،ويقلب رسول الله الوضع في يثرب رأسر، على عقب كما سنرى في المقطع الآتي.

النبي محمد واليهود

تحدّث الناس كثيراً في جزيرة العرب عن قرب ظهور نبي عظيم يجمع الناس تحت رايته ويحكم بينهم بالعدل. انتشرت هذه النبؤة

بين كافة سكان الصحراء على اختلاف مللهم ونحلهم، وروّج اليهود بحماسة للحدث المرتقب، مهددين الجميع وخاصة عرب يثرب بأن النبيّ القادم سيقود امة اليهود إلى النصر المبين ويُثبِّت لهم المُلكَ والسلطان.

نزل الوحي على محمد بن عبد الله (ص) وهو في سن الأربعين، وبزغ فجر الإسلام وعمّت دعوة الرسول كل أنحاء الجزيرة العربيّة حتى وصلت أخباره إلى الفرس والروم. وبعد حين، صار الإسلام قوة يعمل لها ألف حساب، وعندما أرسى محمد قواعد دولته الإسلامية العتيدة اختلت ميازين القوى وتزعزعت المعادلات لأن الإسلام غير مجرى التاريخ.

صُعق اليهود باديء ذي بدء، لمّا علموا أن النبي الذي روجوا له واشاعوا جاء عربياً هاشمياً من قريش، وهم الذي اعتقدوا بأنه سيكون يهودياً على دين الأنبياء الذين اتوا من قبله - تشاور اليهود فيما بينهم وقرروا أن يداهنوا محمداً ويستدرجوه إلى معسكرهم يستعينون به على اعدائهم وبخاصة النصرانية عدوتهم التقليديّة، لذا بادروا إلى الترحيب بالرسول والاحتفاء به، وردّ النبي التحيّة بأحسن منها دون أن يدخل معهم في أي حلف مشترك.

لا بد من الإشارة أن النصارى أيضاً، حاولوا استمالة محمداً إليهم وضمه إلى كتلتهم ليقووا به على اخصامهم. وقد زاره وفد من نصارى نجران وهو في يثربَ «المدينة»، ولكن المحاولة فشلت وعادوا إلى نجران دون أن يناصبوا محمد العدا، واتفقوا مع النبيَ أن يقضي بهم أحد أصحابه أبو عُبيدة بن الجرّاح عندما يختلف النصارى فيما بينهم

في نجران وذلك لما رأوا من حكمة وعدالة محمد (ص).

أما قريش فلما رأت من اصرار محمد على دعوته، ولم تنفع معه جميع أساليب الترغيب والترهيب التي ذهبت ادارج الرياح، عرضت عليه أن يكون مَلِكَ العرب وصاحب خزائنها، ولكن النبي رفض التخلي عن الإسلام، عندها امعنت قريش في اضطهاد محمد وتعذيب اتباعه.

محمد في المدينة

هاجر النبي إلى يثرب لينجو من كيدّ قريش وأذاها. ولما رأى محمد (ص) حُسن الاستقبال من سكان يثرب بما فيهم اليهود استغلّ هذه الفرصة التاريخيّة ليعقد معهم معاهدة حسن جوار لكيّ يتّقي خصيصاً شرّ اليهود ويضمن حيادهم في حربه مع قريش. وتكون هذه المعاهدة أو الصحيفة كما سمّاها الرسول حجةّ على موّقعيها وعقاب لهم وبالأخص اليهود إذا خالفوا نصوصها وغدروا بالمسلمين.

أول ميثاق دستوري:

هذه هي المعاهدة «الصحيفة» الأولى التي عقدها النبي في مسيرة حياته التاريخيّة، وهي بمثابة الميثاق الدستوري الذي يضمن الحريات العامة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لجميع سكان يثرب على اختلاف دياناتهم وقبائلهم من أوس وخزرج، مسلمين، يهود ووثنيين إلى جانب أن هذا الميثاق الفريد يحمي ببنوده الإنسانية حرمة المدينة بجميع سكانها من أي اعتداء داخلي أو خارجي ويصون وحدتها الوطنيّة.

لنقرأ معاً هذا المقطع من «الصحيفة» الخاص باليهود، والذي يقر به الرسول الأعظم بني إسرائيل على دينهم ويؤمّنهم على حياتهم

وعيالهم وأموالهم بعد أن شرط عليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

«هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قـريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجـاهـد معهم... وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وأهل كل دار.

... وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا مُتَنَاصر عليهم... وأن اليهود يُنفقون مع المؤمنين مـا دامـوا محـاربين... لليهـود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظَلَمَ أو أَثِمَ فإنه لا يهلك إلّا نفسه وأهل بيته... وأنه من فتك فبنفسه وأهل بيته إلا من ظلم. وإن الله على ابرّ هذا. وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم. وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم. وأنه لم يأثم امـروء بحليفه. وأَن النصـر للمـظلوم. وإن اليهـود يُنفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين. وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة. وأَن الجار كالنفس

غير مُضَارٍّ ولا آثم - وأنه لا تجارُ حرمةٌ إلا بإذن أهلها. وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يُخاف فسادُهُ فإن مَرَدّه إلى الله وإلى محمد رسول الله. وان الله على أتقَى ما في هذه الصحيفة وأبَرِّه. وأنه لا تُجار قريش ولا من نَصَرها. وان بينهم النصر على من دَهَمَ يثرب، وإذا دُعُوا إلى صلح يصالحونه ويلبَسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإن لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قِبَلهم. وأن البر دون الإثم، لا يكسِب كاسبٌ إلاّ على نفسه. وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبَرِّه. وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم. وأن من خرج آمنٌ ومن قعد آمنٌ بالمدينة إلاّ من ظلَمَ وأثِم، وأن الله جارٌ لمن بر واتقى».

بعد مطالعة النص النبوي الشريف يتبادر إلى ذهن المرء النصوص التوارتية الواردة في مقدمة هذا البحث التي جاءت على لسان أنبياء اليهود. وأنزل بها آله إسرائيل.

الواقع أنه لا داعي لمناقشة فحوى النصين، بل ساترك القارىء يقارن بينهما ويعلّق على الموضوع ويصدر الأحكام.

خاب أمل اليهود بمحمد (ص)، ها هو يصبح صاحب الكلمة في يثرب والإسلام أصبح سلطة وبعد أن كانت سيادة المدينة حكراً

لليهود بالأمس انتقلت إلى يد المسلمين اليوم. فكّر اليهود في خدعة ماكرة لكي يتخلصوا من محمد، فأمعنوا في نفاقهم وتدليسهم، إذ أخَذَ أحبارهم يهمسون في أذن محمد أنه نبي اليهود الموعود، وأنه مخلصهم الذي سيرجعهم إلى أرض الميعاد ويعيد بناء هيكل سليمان في بيت المقدس، لهذا يتوجب عليه أن يهجر يثرب إلى القدس لأنه نبي الله! وهذه عادة جميع ما سبقه من الأنبياء المرسلين... لكن النبي فطن إلى حيلتهم التي تهدف إلى أبعاده عن يثرب حتى يخلو الجو لليهود ويطيب المقام ويعودوا إلى عزهم السابق في المدينة. وأوحى الله سبحانه إلى رسوله أن يردّ عليهم كيدهم ويجعل قبلته في الصلاة إلى الكعبة في مكة بدلاً من بيت المقدس وأنزَلَ تعالى في سورة البقرة الآية ١٤٣: ﴿قد نَرى تَقَلُّبَ وجَهِكَ في السمآءِ فَلنوَلينَكَ قبلَةً تَرضَها فوَلِ وجهكَ شَطرَ المسجِدِ الحَرامِ وحَيثُ ما كنتم فَولوا وُجوهَكم شطرَه﴾. جن جنون اليهود لأن بيت المقدس قبله بني إسرائيل جمعاء، ولم تعد منذ الحين قبلة محمد في صلاته. وبدأت حرب الكلام بين النبي واليهود أو حرب الإعلام كما يسمونها في هذا العصر. ولقد وصفها الأستاذ محمد حسين هيكل في مؤلفه (حياة محمد) في الفصل الحادي عشر وأجاد الوصف حتى قال:

«وهنا بدأت حرب جدل بين محمد واليهود أشد لَدَداً وأكبر مكراً من حرب الجدل التي كانت بينه وبين قريش بمكة. وفي هذه الحرب تعاونت الدسيسة والنفاق والعلم بأخبار السابقين من الأنبياء

والمرسلين، اقامتها اليهود جميعاً صفوفاً متراصة يهاجمون بها محمداً ورسالته وأصحابه المهاجرين والأنصار.

وفي مكان آخر:

. . .وفطن المسلمون لأمر خصومهم اليهود وعرفوا غاية سيعهم. ورأوهم يوماً في المسجد يتحدثون بينهم خافضين أصواتهم قد لصق بعضهم ببعضهم، فأمر محمد بهم فأخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً. ولم يثنهم ذلك عن كيدهم وسعيهم في الوقيعة بين المسلمين. ويبلغ الجدال بين اليهود والمسلمين حداً من الشدة كان يصل أحياناً، مع كل ما كان بينهم من عهد، إلى الاعتداء بالأيدي.»

لم يكتف اليهود بالحرب الاعلامية التي شنّوها ضد محمد، بل دعوا العرب إلى التمسك بعبادة الأصنام مع أنهم أهل كتاب يؤمنون بإله واحد، إنما فعلوا ذلك نكاية بمحمد وليس حباً للأصنام، آملين أن تثور الجاهلية في يثرب على محمد كما تفعل قريش في مكة. لم يقف عداء اليهود عند هذا الحد، بل عملوا جاهدين إلى الوقيعة بين المهاجرين والأنصار، ثم دسوا بين المسلمين من الأوس والخزرج بأحيائهم ذكريات حرب «بعاث» بين العشيرتين كيّ تستيقض فيهم مجدداً روح الكراهية والأحقاد المدفونة، وتعود الثارات القديمة تعصف بديارهم وتهدّ كيانهم. . كاد اليهود أن يقطفوا ثمار الفتنة التي

زرعوها لأن لهيب الحرب الأهلية بدأت تستعرّ.

تنبّه الرسول إلى خطورة المؤامرة التي تنفذ على ساحته.. فألقى بكل ثقله بين الأوس والخزرج وأصلح ذات البين بينهما وأطفاء نار الفتنة في مهدها مفوّتاً على اليهود تمرير خطتهم الدنيئة. ولم ييأس اليهود وعمدوا إلى فتنة المسلمين عن دينهم بالمال والخمر والنساء فأكثروا في يثرب من بيوت الدعارة ومشارب الخمر ومنتديات الميسر لعلهم يصطادون اتباع محمد ويردّوهم عن الإسلام، ولكن خطتهم وسعيهم القذر ضاع هباء ويبابا.

حرب النبي مع يهود القينقاع:

ذهب النبي إلى قريش ليقاتلهم في موقعة بدر فأشاع اليهود من قينقاع نبأ هزيمة الرسول ومقتله وهو ما يزال يقاتل في ساحة المعركة. دبّ الذعر والهلع في قلوب المسلمين لهول المصاب. لكن أخبار النصر المبين وصلت إلى يثرب، ودخل النبي مظفراً إلى المدينة. اختنق يهود القينقاع غماً وقهراً وبدأوا بنسج خيوط مؤامرة خطيرة تستهدف المسلمين وتقضي على محمد، واخذوا يكتبون إلى القبائل وبخاصة اليهود منهم في الشمال والجنوب لتنضم معهم في حرب ضد الرسول الأعظم. علم المسلمون بأمر المراسلات فتولوا الرد عليها للتو بأن قتلوا ذوي البأس من أشرار اليهود وعلى رأسهم المجرم ابن عفك بن عوف. لم ترتدع القينقاع بل أرسلوا إلى محمد تهديداً عنيفاً قائلين له: «لا يغرّنك يا محمد أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب (أي قريش) فأصبت منهم فرصة. إنّا والله لئن حاربناك لتعلمن أنّا نحن الناس». هبّ المسلمون كرجل واحد لأستصأل القينقاع من يثرب وتحصن

اليهود داخل حصونهم في المدينة. حاصرهم النبي وجيشه مدة خمسة عشر يوماً استسلم بعدها بني القينقاع دون قيد أو شرط لمّا رأوا أن أحداً من اليهود والعرب لم ياتي لنجدتهم وايقنوا أنه ليس للنصر سبيلاً، أجلاهم النبي عن المدينة إلى شمال الجزيرة عند حدود الشام، وخرج جميع القينقاع أذلاء تاركين خلفهم سلاحهم ومنازلهم حاملين معهم الزاد والأموال، ولم تعد يثرب ترى لهم وجهاً منذ ذلك اليوم.

القضاء على شوكة اليهود نهائياً:

أما قصة اليهود من بني النضير قد جرت أحداثها بعد غزوة أحدو يطالعها القارىء في صفحة ٢١٨ من هذاالكتاب، وأما القضاء على يهود بني القريظة يجدها القارىء في صفحة ٢١١ من هذا الكتاب وجاءت نتيجة لحرب الخندق.

بعد توقيع صلح الحديبيّة مع قريش أنصرف النبي إلى حرب ما تبقى من اليهود المتآمرين على الإسلام. وكان عليه السلام قد طهّر يثرب وجنوبها من اعدائه اليهود، ولكنهم ظلوا أقوياء في الشمال حيث قلاع خيبر الشهيرة. وقد تناهى إلى سمع الرسول أن رُسلاً تغدو وتجيء بين هرقل ملك الروم ويهود خيبر هدفها الهجوم على المسلمين. فأعد لهم النبي جيشاً عظيماً وسار به حتى أصبح عند حصون خيبر المنيعة وصخورها الشاهقة.

الواقع أن يهود خيبر أشد بأساً من قبائل اليهود الأخرى وأكثر عدة وعدواة لمحمد، لذا كان القتال بين المسلمين واليهود قتالاً مريراً في منتهى الشدة والشراسة، لأن بني إسرائيل أدركوا أنهم إن خسروا هذه

الحرب ستكون نهايتهم في جزيرة العرب، وأيقن المسلمون آنهم إن خسروا هذه المعركة فإن اليهود سينغصون عليهم عيشهم ويوقعون كل العرب بهم ويألبون الروم والفرس ضدهم، لذا صمم محمد على الخلاص منهم،واصرّ اليهود على انزال الهزيمة به،فأشتد القتال وحمي الوطيس. لكن اليهود ما لبثوا أن أنهاروا أمام سواعد المسلمين وسيوفهم ودخل جيش محمد حصونهم في خيبر الواحد تلو الآخر حتى سقطت ثماني قلاع بيده. بقي حصن «ناعم» وهو أعظم حصون اليهود وامنعها، واستعصى على المسلمين مدة طويلة إلى أن تمكن علي بن طالب كرمّ الله وجهه من فتح الحصن بعد أن خلع بابه الضخمّ وجعله قنطرة داستها أرجل المسلمين إلى داخل الحصن كما روى الطبري وجاء في سيرة ابن هشام وقتل عليّ قائد اليهود الحارث بن أبي زينب في مبارزة مشهودة. ثم صرع مرحب بطل ابطالهم فهلل المسلمون لفوز عليّ وفرّ اليهود مذعورين

وغُلبَ اليهود وخرّوا صرعى أمام استبسال أبطال المسلمين واستماتتهم في سبيل النصر، وأصبح بني إسرائيل رهينة في يد محمد. إلاّ أن النبي أحسن معاملتهم في خيبر بعد الهزيمة الكبرى التي أنّزلها بهم. وأبقاهم في أرضهم يعملون بها ويدفعون الجزية ويجني المسلمون نصف خيرات الأرض، ونصّب عليهم حاكم إسلامي وأمره أن لا يفتن اليهود عن يهوديتهم وأن يحكم بينهم بالعدل. ولم يمض زمن قليل على حكم الرسول لمنطقة خيبر حتى اسلم عدد غير قليل من اليهود، وأصبحوا محاربين أشداء في جيشه بعد ان

عاشوا في كنف عدالة النبي وغمرهم برحمته وشملهم برعايته، ولمّا لمسوا عظمة محمد وعبقريته.

بقي أقلية من اليهود في منطقة فدك ووادي القُرى وتَيما فقبلوا دفع الجزية من غير حرب ولا قتال خوفاً على مصيرهم بعد ما علموا بانكسار خيبر. أما يهود البحرين فقد شرّعوا أبواب منازلهم أمام والي محمد ليحكهم ولم يفرض النبي الجزية عليهم وبقوا على دين آبائهم.

إنهار سلطان اليهود إنهياراً تاماً في شبه الجزيرة العربية، وخضعوا جميعاً لحكم الإسلام وصار محمد ينام قرير العين بعد ان اطمأن للإستلام بني إسرائيل والخلاص من فتنهم ومكائدهم.

محاولة اغتيال النبي:

هل استسلم بني إسرائيل فعلاً للنبي محمد؟، وهل تصير الأفعى حمامة؟.. كانت نفوس اليهود ملأى بالخبث والغلّ بعد هزيمتهم النكراء، وصمموا على محاولة أخيرة للإغتيال محمد، ودبرّوا الخطة التالية: تتظاهر زينب بنت الحارث قائد اليهود الذي صرعه عليّ (ع)، تتظاهر بأيمانها الشديد بالإسلام، وتتقي الله ورسوله وتتورّع زمناً طويلاً إلى أن تنطلي هذه الحيلة على محمد وصحبه. وانطلت الخدعة على المسلمين وذاع صيت زينب الطاهرة وفضائلها الحميدة، فقربها النبي إلى صفوفه، وأصبحت تزور بيته بأستمرار. وفي أحد الأيام، اعدّت زينب اليهودية حَملاً شهياً، واهدته للنبي وصحبه ليأكلوه وتناول النبي قطعة لحم من الحمل ومضغها لكنه لم يزدردها، وقال «والله إن هذا العضم ليخبرني أنه مسموم» ثم لفظ المضغة، ولم يكن الصحابة قد بدؤا الطعام بعد، ولكن سبق

لأحدهم وهو ابن البرَاء أن تناول لقمه من اللحم وبلعها فمات على الفور. واحُضرت زينب «المؤمنـة الفاضلة» إلى النبي واعتـرفت له اليهودية قائلة «لقد بلغتَ من قومي يا محمد ما بلغت، فقلت في نفسي إن كنت ملكاً استرحت منك وإن كنت نبياً فستُخبرَ» وأجابها محمد «ها قد أُخبرت، ماذا تقولين الآن؟». .ويخبر بعض الرواة أن بنت الحارث ركعت أمام النبي وأسلمت له فعفا عنها.ويخبر رواة آخرون أن أحد المسلمين قد اطاح برأسها بعد أن اعترفت بجريمتها.

على أية حال فعلت حادثة السم هذه فعلها في المسلمين وجعلتهم لا يثقون باليهود ويخافون غدرهم بالرغم من أنهم قضوا عليهم القضاء المبرم.

اليهود تحت رعاية الدولة الإسلامية:

أزال النبي محمد (ص) كيان اليهـود السلطوي، وأعادهم إلى موقعهم الطبيعي كايّ من السكان الآخـرين في الجزيـرة العربيـة. انصرف بني إسرائيل إلى ممارسة حياتهم اليـومية من رعي وزرع وتجارة، وكان وضعهم السياسي والاجتماعي كوضع النصـارى، إذ عُوملوا معاملة أهل الكتاب، وتمتعوا بحماية الإسلام وحرية العقيدة والعيش الكريم أسوة بالمسلمين والمواطنيين الصـالحين.واستمر الحال على خير ما يرام بين الإسلام وأهل الكتاب تحت رعاية خلفاء الرسول أبـو بكر، عمـر، عثمان وعليّ، أي طيلة حكم الـدولة الإسـلامية الراشدية.

اليهود في ظلّ الدولة العربية.

انخرط اليهود في صفوف موظفي الدولة الأمويّة ثم العباسية، وكانوا بمثابة كتبة وخزنة ووكلاء أعمال الخ... وفي الأندلس أبان العصر الذهبي تبواءَ اليهود مراكز عالية في خدمة الدولة، وكانوا طيلة عهد الأمبراطورية العربية بمثابة المواطنين الصالحين والموظفين الأكفاء المخلصين لهذه الامبرطورية. السبب أن العرب أصبحوا قوة عظمى في تلك الحقبة من التاريخ بل القوة الأعظم دون منازع بعد أن انهوا بيزنطة وفارس وورثوا تركتهما الضخمة، فأين لليهود الأقلّة من كل هذا؟. ومن أين لهم أن يتحدّوا العرب أو يشاغبوا على دولتهم المنيعة؟ والذي حصل عكس ذلك، فقد دخل اليهود في خدمة البلاط الملكي موظفين مأمورين، شعراء مدّاحين وأدباء متزلفين، وبعض منهم انصرف إلى العلم والفلسفة وبرز في هذا الميدان خصوصاً في زمن حكم العرب لأسبانيا.

ثم انهارت دولة العرب وعلى انقاضها صعدت الامبراطورية العثمانية على أن اليهود بقوا أيضاً في زمن الأتراك على هامش التاريخ.

العرب والمسلمون وإسرائيل القرن العشرين

ماذا أقول في ١٥٠ مليون عربي تقطّع أوصالهم التشتت والحدود في أكثر من عشرين دولة عربيّة؟؟.. ماذا أقول في ثروة العرب التي لا تنضب، وفي قواهم البشرية الهائلة وامكانياتهم التي لا تُعد ولا تُحصى؟؟.. ومع هذا انتهبت عصابة من اليهود وطناً كاملاً فلسطين

العربيّة، واقتلعت شعباً عربياً من أرضه. وأصبح لليهود دولة في القرن العشرين، وعادت اسرائيل التوارة تفتك هذه المرّة بمئات الألوف من العرب وتحتل القدس وسيناء والجولان، وتضم إليها جنوب لبناب وتذبح ابنائه في مجازر شبه يوميّه، ألم يقل مناحيم بيغن رئيس وزراء إسرائيل «من التوارة ننطلق وإلى التوراة نعود».

اسرائيل تدوس على انوف العرب وتغتصب ارضهم ومقدساتهم والأمة العربية في سبات عميق عميق.. آلا لهذا الليل ان ينجلي.. آلا لهذه الأمة ان تستفيق.. ؟

ماذا أقول في مليار مسلم و٣٥ دولة اسلامية يشكلون ثلث العالم ارضاً وسكاناً؟.. لقد انتهكت اسـرائيل أرضـاً اسلاميـة، حرقت المسجـد الاقصى ثاني الحـرمين عند المسلمين، ثم اتمت تهـويد القدس والحرم الإبراهيمي الشريف، والآتي اعظم.

الم يقل موشه دايان وزير الدفـاع الاسرائيلي وهـو على باب المسجد الاقصى عندما احتلت اسرائيل القدس سنـة ١٩٦٧ «نحن اليهود لنا ارث في مكة والمدينة»، ولقد نشرنا هذا التصـريح على غلاف (اسرائيليات القرآن لما ينطوي فيـه من خطر عـظيم. وماذا ينتظر العرب والمسلمون الى الان؟، ربما حتى ترفع اسرائيل نجمة داود على كعبة ابراهيم في مكة؟ وتعيد اليهود الى المدينة المنورة (يثرب) حيث قبر الرسول (ص)، وتبني قلاع خيبر من جديد، وإلاّ ما معنى قول موشيه ديان الشهير؟..

ايّ هوان على العرب والمسلمين، حملة القران، اتباع محمد، اشدّ من هوانهم على اسرائيل التي اذلّت دينهم ودنست مقدساتهم؟

هل هذه هي امة الجهاد؟؟..

ان الذي يجرى بين اليهود من جهة وبين العرب والمسلمين من جهة اخرى في يومنا هذا اغرب من الخيال واعجب، لا يقبل به عقل انسان حتى ولا عقل جان. ولكنها الحقيقة المرة والواقع المفجع.

في القومية العربية.

تعلم العرب جيداً ان اسرائيل سرطان يلتهم جسد الأمة العربية وسيجهز عليها عاجلاً ام آجلاً، اما باحتلال مواقع ستراتيجية عربية جديدة، وأما بالسيطرة السياسية والاقتصادية على الشعب العربي ومقدراته. وتنفذ اسرائيل الأمرين معاً، فهي تحتل اليوم جنوب لبنان بواسطة عميلها(الحداد) الذي تنتعله ساعة تشاء، واخرجت مصر من العرب واحتوتها مع اميركا بواسطة كمب دافيد.

يدرك العرب تماما الادراك انه لا سبيل للقضاء على اسرائيل ان لم يناضلوا من اجل وطنهم وانفسهم، وهم يعرفون كل المعرفة كيف يكون النضال...

في الدين الاسلامي:

يعرف المسلمون القرآنيون ان قتال اسرائيل واجب ديني لا يقل في إسلاميّته عن الصوم والصلاة، لأن اسرائيل اعتدت على المسلمين وقتلتهم، استولت على ارضهم واخرجتهم من ديارهم ودنست اقدس مقدساتهم، قال تعالى في حث المسلمين على قتالتهم وقتال امثالهم:

﴿وَاقتُلوُهُم حيثُ ثَقِفتُموهُم وَآخرجُوهُم من حَيثُ آخرَجُوكُم

والفِتنَةُ أشَدُ من القتلِ ﴾. [سورة البقرة آية ١٩٠].

﴿فَمَن اعتدى عَليكُم فاعتَدوا عَليْه بِمِثلِ ما اعتـدى عَليكُم﴾ [سورة البقرة اية ١٩٣].

﴿وَأَعِدوا لَهُم ما استَطَعتُم من قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ الخَيلِ تُرهِبُونَ به عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُم﴾ [سورة الانفال اية ٥٩].

وعن الخونة المرتدّين قـال الله تعالى: ﴿فـأن تَوَلّـوا فَخُذُوهُم واقتُلُوهُم حَيثُ وَجدتُمُوهُم ولا تَتخِذُوا مِنهم وَلياً وَلاَ نَصيراً [سورة النساء اية ٨٨].

وعن جهاد الظلمة الكافرين المنافقين قال تعالى: ﴿يا أَيُّها النَبيُ جَاهِدِ الكُفّارَ وَالمُنَافِقينَ وَاغلُظ عَليهِم وَمَاوٰيهم جهَنمُ وبئسَ المَصيرُ﴾ [سورة التوبة اية ٧٣].

﴿اَلّذينَ آمَنُوا وَهَاجَروا وَجَاهَدُوا في سبيلِ اللهِ بِامَوالِهم وَانفُسِهِم اعظمُ دَرَجَةً عِندَ اللهِ وَاوُلئِكَ هُمُ الفَائِزوُنَ﴾. [سورة التوبة اية ٢٠]

﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّما يُجَاهِدُ لِنفسِهِ إن الله لَغَنيٌّ عن العَالَمينَ﴾ [سورة العنكبوت اية ٦].

وبعد ، كيف يستكين المسلمون لإسرائيل ويستسلمون لدولة البغي والعدوان وقرآنهم قد أمرهم بقتالهم وقتال كل من طغى وتجبّر كما جاء في كثير من آياته البيّنات، ان المسلمين يفهمون حق الفهم ان دولة اليهود تتصدى لتعاليم الله وتحارب الإسلام وتقتل المسلمين وتذلّهم، ويقدّر المسلمون كل قدر انه لا انتصار على صهيون إلا بالتضحية والجهاد.

الهدف من نشر هذا الكتاب

الهدف من نشر «اسرائيليات القران» ان يقرأ العربي والمسلم هذا الكتاب ويتذكّر عدوته اسرائيل لعل تنفعه الذكرى، ولعل النخوة تدبّ في نفسه وتُستنهض همته العالية ليقف في عزة وكرامة ويسلك طريق الخلاص من المحنة التي ابتُليَ بها.

نحن نعرف أنّ انتفاضة الأمّة أكبر بكثير من نشرنا لكتاب أو لجرة قلم على الصفحات.نحن نعرف ان الشعب الثائر يكتب التاريخ ويصنع القَدَر ونحن لا ندّعي شرف هذه المهمة: مهمّة اطلاق سراح الأمّة من عقالها، ولكن خير لنا أن نضيء شمعة من أن نلعن الظلام، وأن ندعو إلى تحرير أنفسنا واسترجاع حقنا المغتصب بدلاً من الصمت والنسيان.

وعروبتـاه . . وإسلامـاه.

إن نشر «إسرائيليات القرآن» صرخة جريح يُطلقها لبناني عربي مسلم، يستغيث بالعرب ويستجير بالمسلمين لأنقاذ اخوانهم في العروبة والدين، قبل أن يقضي نزف الدماء على الوطن والأهلين. وهل يعقل أن ننادي غير العرب والمسلمين ؟ هل يجوز أن «نطرح الصوت» على شعوب السلاف أو الانكلوساكسونيين؟ وهل من حياة لمن تنادي. . هل من مجيب؟.

لقد ضحى لبنان بنفسه وماله وأمنه من أجل هويته العربيّة، ومن أجل قضية فلسطين والفلسطينيين، ولبنان يحمل على كاهله صليب الأمّة

العربية، تجرجره الحرب منذ سبع سنوات سوداء وهو يجرجر بها على طريق الجلّجة وما زال. . . وهذه ثغور العرب والمسلمين في طرابلس وبيروت وصيدا وصور تقاتل لوحدها الصليبيين الجدد وتصمد بمفردها في وجه الصهيونيّة والامبريالية.

أمّا جنوب لبنان، وما أدراك ما جنوب لبنان؟ انه الدم العربي يسقي التراب العربي، انه جبل عامل صار كومة من رماد أو كاد. وأمّا الاجهاز على الجنوب وتفريغه من أهله الصامدين قد أصبح قاب قوسين أو أدنى. . . وماذا نقول بعد للعرب والمسلمين؟.

وبعــد، لقد فسّر العالم المجاهد الشيخ محمد جواد مغنية تغمّده الله برحمته ورضوانه، فسّر القرآن الكريم في سبعة مجلدات ضخام أسماه «التفسير الكاشف»، وكان ذلك سنة ١٩٦٧ بعد هزيمة العرب المريرة.

ولقد رأيت ان أجمع اسرائيليات القرآن من التفسير الكاشف وأعدّها مضيفاً اليها أيضـــاً بعض المقالات والخطابات التي كان العلاّمة الأكبر قد كتبها أو ألقاها في مناسبات وطنية عديدة، وتتعرّض موضوعاتها للصهيونية والعروبة والإسلام.

ثم رأيت أن أقدّم لهذه الإسرائيليات وأنشرها في كتاب أسير فيه على خطى الوالد المرحوم وأحفظ تراثه الديني والنضالي. وابتغيت أن يصدر الكتاب في هذا الوقت بالذات الذي تتعالى فيه أصوات الاستسلام لدولة صهيون. ورأيت أن أذكّر بوطني الحبيب لبنان الذي مزّقته المؤامرة الهادفة شر تمزيق. وأن اذكّر أيضاً ببلدي الذبيح جنوب لبنان وأهلي الجنوبيين المنكوبين والذين يحتفظ بهم وبأرضهم جميع الفرقاء - المتنازعة ظاهراً والمتفقة ضمناً - كرهينة وورقة للمساومات على طاولة التسويات والترتيبات.

النـــاشـر

عبد الحسين مغنية

سورة البقرة

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي الآية ٤٠ ـ ٤٦ :

يا بَني إِسْرَائِيْلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتي أَنعمْتُ عَلَيْكُمْ وأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ★ وآمِنُوا بِما أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ ولَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ولَا تَشْتَرُوا بِآيَاتي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ★ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ★ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ★ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ★ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وإِنَّها لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلى الْخَاشِعِينَ ★ الَّذِيْنَ يَظُنُّونَ أَنهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ★

هذه الآيات التي خاطب الله بهـا اليهود ترتبط ارتباطاً وثيقـاً بتاريخهم ، كما سنرى .

ذكر الله سبحانه اليهود في العديد من آي الذكر الحكيم، وبينتْ هذه الآيات نعم الله على اليهود،وجحودهم بها وقتلهم الأنبياء بغير الحق ، ومعاندتهم لموسى وهارون ، وعبادتهم العجل ، واستعباد الفراعنة لهم ، ثم تحريرهم من العبودية والاضطهاد ، ونجاتهم من الغرق ، وانزال المـن والسلوى عليهم ، ثم كرههم ومؤامراتهم ضد محمد (ص) وعداءهم الشديد للمسلمين ؛ وللحق وأهله الى غير ذلك من المواقف والمشاهد التي يأتي بيانها بالتفصيل .. وقد حوت سورة البقرة التي ذبحوها ، وما كادوا يفعلون ، حوت الكثير من صفاتهم وأعمالهم .

اسرائيل :

اسرائيل اسم ثان ليعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن (ع) ؛ فاسحق أخ لاسماعيل جد نبينا محمد (ص) ، ويلتقي اليهود والعرب جميعاً في ابراهيم ، قال تعالى : « ملة أبيكم ابراهيم » .. وجاء في مجمع البيان ان العرب كلهم من ولد اسماعيل ، وأكثر العجم ، أي غير العرب ، من ولد اسحق .

ومعنى اسرائيل في اللغة العبرية عبدالله ، لأن « اسرا » هو العبد ، و«ايل» هو الله .. وقد تلطف سبحانه في خطابه مع اليهود ، حيث أضافهم الى النبي الكريم اسرائيل ، ليذكرهم بهذا النسب الشريف ، عسى أن يُحرك فيهم شعور الكرامة ، ان كان في نفوسهم شيء منها ، تماماً كما تقول : يا ابن الأبرار ، كن كآبائك وأجدادك .. وقد ذكّر أهل مريم ام عيسى (ع) بآلها وأرحامها .

أما وجه تسميتهم باليهود فلأن سبطاً منهم ينتمي الى يهوذا،وهو الابن الرابع للنبي يعقوب .

وفي الفقرة التالية نعرض عرضاً موجزاً لتاريخ اليهود لصلته بالآيات الكريمة التي نحن بصددها .

تاريخ اليهود :

سيأتي في سورة يوسف ان النبي يعقوب (ع) هاجر بأولاده من فلسطين الى مصر ، حيث يقيم ولده يوسف (ع) وزير فرعون في ذاك العهد ، فأقطعهم فرعون اكراماً ليوسف أرضاً خصبة في مصر ، وظلت سلالة يعقوب هناك أمداً غير قصير .. ولكن الفراعنة الذين جاءوا فيما بعد اضطهدوا اليهود ، وساموهم الخسف والعذاب ، فذبحوا الأبناء ، واستحيوا النساء،واتخذوا منهم خدماً وعبيداً، ثم أرسل الله نبياً منهم ولهم ، وهو موسى بن عمران (ع) ، فحررهم من الظلم والاستعباد ، ثم طلب منهم العودة الى فلسطين ، وقتال أهلها،ووعدهم النصر ، فتقاعسوا جبناً وخوراً ، فكتب الله عليهم ان يتيهوا في صحراء سيناء أربعين سنة .. ويأتي التفصيل .

وفي هذه البرهة توفي هارون ، ثم أخوه موسى ، فخلفه ابن اخته يوشع ابن نون. وحوالى القرن الثالث عشر قبل الميلاد أغار بهم يوشع على أرض فلسطين، فاحتلوها ، وأبادوا معظم أهلها ، وشردوا البقية الباقية ، تماماً كما صنع نسلهم الصهاينة في فلسطين سنة ١٩٤٨[1] . وبعد يوشع أرسل الله منهم الكثير من الأنبياء. وفي سنة ٥٩٦ ق. م. أغار على فلسطين ملك بابل ، وهو « بختنصر » ، فأزال ملكهم من فلسطين ، وذبح منهم كثيراً ، وأسر كثيراً .

وظلوا في حكم بختنصر الى سنة ٥٣٨ ق. م. ، حيث تغلب ملك الفرس على بختنصر ، فتنفس اليهود الصعداء ، واستمروا تحت سيطرة الفرس زهاء مائتي عام ، وبعدها وقعوا تحت حكم خلفاء الاسكندر الكبير ،ثم تحت سيطرة الرومان.. وفي سنة ١٣٥ ق. م. ثار اليهود على الرومان ، ولكن هؤلاء تغلبوا على اليهود، وأخمدوا ثورتهم ، ثم أخرجوهم من فلسطين ، فهاموا على وجوههم في مختلف بقاع الأرض شرقاً وغرباً .. شرذمة في مصر ، وأخرى في لبنان وسورية ،

---

١ نذكر من ذلك مثلين : الأول جمع الصهاينة في قرية دير ياسين ٢٥ امرأة حاملا، وبقروا بطونهن بالمدى والحراب .. الثاني جمعوا أهل قرية الزيتونة في المسجد ، ثم نسفوه بالديناميت على رؤوسهم .

وثالثة في العراق ، ورابعة في الحجاز ، أما اليمن فقد عرفها اليهود ، ورحلوا اليها للتجارة في عهد سليمان الذي تزوج ملكة اليمن بلقيس .

أما نِعَم الله عليهم التي أشار اليها بقوله : « اذكـروا نعمتي التي أنعمت عليكم » فكثيرة ، منها اختيار الأنبيـاء منهم كموسى وهارون ويوشع وداود وسليمان وأيوب وعزير وزكريا ويحيي وغيرهم ، ومريم ام عيسى اسرائيلية ينتهي نسبها الى داود،ولكن اليهود لا يعترفون بالسيد المسيح ابن مريم (ع) ، ويزعمون ان المسيح المذكور بالتوراة لم يأت بعد .

محمد ويهود المدينة :

حين هاجر الرسول (ص) من مكـة الى المدينة كان فيها من اليهود ثلاث عشائر : بني قينقاع ، وبني قريظة ، وبني النضير ، وقد أنشأوا فيها معاصر الخمور ، وبيوتاً للدعارة ، ومراعي للخنازير ، وكانوا يحتكرون صياغة الذهب والفضة ، وصناعة الأسلحة ، ويتاجرون بالربا .. وبالاجمال كانوا هم السادة الحياة الاقتصادية بالمدينة .. شأنهم في ذلك اليوم شأنهم اليوم ، حيث حلوا .. وبعد مكوث النبي (ص) بالمدينة شعروا بالخطر المباشر على أرباحهم وامتيازاتهم، لأن شباب المدينة لن يترددوا بعد اليوم على حوانيتهم ومواخيرهم ، وأهلها لن يأكلوا لحوم الخنازير .. ومعنى هـذا ان اليهود يفقـدون جميـع مصادر الثراء والأرباح .. ومن أجل هذا أخذوا يكيدون للرسول الأعظم (ص) ، ويتآمـرون مع المشركين ضد المسلمين ، تماماً كما تتآمر اليوم القوى الرجعيـة حرصاً على مصالحها الشخصية .

وكأنّ النبي يوم دخل المدينة ، وعرف أوضاعها قد تنبأ بذلك ، وحسب له فأراد أن يلقي الحجة عليهم ، ويأخذهم بأقوالهم .. فترفق بهم ، وتلطف معهم، فأجرى عهداً بينه وبينهم،موقعاً منه ومنهم ، على ان لهم الحرية التامة في دينهم، وأموالهم ومعابدهم آمنين عليها ، وعلى أنفسهم ، على شريطة أن لا يعينوا عليه عدواً ، واذا اختاروا القتال معه فلهم نصيب من المغنم .. وعليهم أن يشتركوا

مع المسلمين في الدفاع عن المدينة تحقيقاً للوحدة الوطنية ، لأن البلد للجميع ، لا لفئة دون فئة .. ولكن سرعان ما نكثوا العهود ..

ومتى صمدت العهود والمواثيق أمام تهديد المصالح ؟ وهل من المعقول أن يقوم تعايش سلمي بين الغش والتغرير ، وبين لا ضرر ولا ضرار ، وكيف يعيش الذئب والحمل تعايشاً سلمياً ؟ وأي جدوى من التذكير بالنعم ، ومن التحذيرات والنصائح اذا اصطدمت مع المصالح الشخصية ، والصفقات التجارية ؟.

جاء في كتاب محمد رسول الحرية : « أشار النبي (ص) على التجار المسلمين أن ينشئوا سوقاً جديدة في المدينة .. فأنشأوها ، ونشطت المعاملات فيها ، وأقبل التجار الغرباء عليها ، وآثروها على سوق اليهود ، لأن قواعد التعامل فيها كانت أكثر عدلاً ، وأوفر ضماناً للبائع والمشتري » .

وهذا وحده كاف لأن يملأ قلوب اليهود حقداً وغيظاً على محمد ، ويحملهم على نقض العهد ، والانتقام منه ومن الاسلام بكل سبيل .

المعنى :

ابتدأ الله سبحانه خطابه مع اليهود بالتذكير بنعمه عليهم .. ومن هذه النعم كثرة الانبياء فيهم ، وتشريفهم بالتوراة والزبور ، وتحريرهم من فرعون ، ونجاتهم من الغرق ، وانزال المن والسلوى عليهم ، واعطاؤهم الملك والسلطان في عهد سليمان ، وغير ذلك مما يستوجب الإيمان والشكر ، لا الجحود والكفر .

وتسأل : ان الخطاب موجه بظاهره الى يهود المدينة ، مع العلم بأن النعم المشار اليها منحها الله لآبائهم ، لا لهم ؟.

الجواب : ان النعمة على الآباء نعمة أيضاً على الأبناء ، حيث يكتسب الابن شرفاً من أبيه .. هذا ، إلى أن الجميع أمة واحدة .

وبعد أن ذكّرهم الله بنعمه خاطبهم بقوله سبحانه : « أوفوا بعهدي أوف بعهدكم » وعهد الله هو الأخذ والعمل بما دلت عليه الفطرة ، ونزلت به الكتب من الإيمان بالله ورسله والعمل بأحكامه ، وقال صاحب مجمع البيان : « ان الله

تعالى عهد اليهم في التوراة انه باعث نبياً ، يقال له محمد .. وعلى هـذا أكثر المفسرين ، وبه يشهد القرآن » .

أما عهد اليهود فهو عهد الله لهم ، ولكل من آمن وعمل صالحاً فانه يجزيه بالأجر والثواب يوم القيامة ، وقيل : انه تعالى أعطاهم ان اتقوا أن يرفع من شأنهم في هذه الحياة ، وسنتعرض لفكرة الجزاء في الدنيا في المكان المناسب ان شاء الله .

ثم أمرهم سبحانه أن يؤمنوا بالقرآن ، ولا يسارعوا الى الكفر به وبمحمد ، ويموهوا على البسطاء ابتغاء المصالح الخاصة .. وان عليهم اقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة ، لتطهر نفوسهم وأموالهم . أما قوله تعالى : « أتأمرون بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب » فهو موجه إلى الأحبار والكبار ، لا إلى السواد ، لأن هؤلاء تابعون ، والعلماء متبعون ، وهم الذين يكتمون الحق على معرفة منه، ويعظون ولا يتعظون .

ومرة ثانية نقول ونكرر ان المواعظ والنصائح لا تصمد أبداً أمام تهديد المصالح، ومحال أن تترك أثراً إلا في نفس من لا مصلحة له ، ولا هدف إلا الحق . أما قوله تعالى : « واستعينوا بالصبر والصلاة فقد تكررت في الآية ١٥٣ من هـذه السورة ، وهناك التفصيل .

أيضاً يا بني اسرائيل الآية ٤٧ ـ ٤٨ :

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ★ وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ ★

المعنى :

(يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي) هذه الآية تأكيد للآية السابقة ، وتمهيد لما يأتي بعدها من الآيات ، ونشير في فقرة تأتي الى الحكمة من التكرار، والمراد بالذكر هنا الشكر ، أي اشكروا نعمتي عليكم بالسمع والطاعة .

(واني فضلتكم على العالمين) .. فضلهم الله على شعوب ذاك العصر . واللام في العالمين للعموم العرفي ، لا للعموم الحقيقي ، ويكفي في صحة التفضيل أن تكون لهم الأفضلية من جهة واحدة ، لا من جميع الجهات ، وهذه الجهة التي امتاز بها بنو اسرائيل ان الله أرسل منهم العديد من الأنبياء والرسل : فموسى وهارون ويوشع وعزير وزكريا ويحيى ،وغيرهم كثير ،وكلهم من بني اسرائيل[1] .

ومهما يكن ، فان تفضيلهم على أهل زمانهم من وجه لا يدل على فضلهم وتفضيلهم على أهل ذاك الزمان من كل وجه،ولا على ان كل فرد منهم أفضل من كل فرد من غيرهم،بل ان تضخم عدد الأنبياء فيهم ومنهم حجة عليهم ، لا لهم ، لأنه يدل على انهم كانوا لشدة ضلالهم في أمس الحاجة الى كثرة التحذير والانذار .

(واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس) أي ان كل انسان وما عمل ، فلا ظاهر ولا باطن ، ولا تعاون ولا تعاطف : « يوم يفر المرء من أخيه ، وامه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه – عبس » .

(ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون) أي ان الشأن في يوم القيامة ، تماماً كالموت لا تجدي معه واسطة من أي كان ، ولا تنفع فدية وان غلت ، ولا تمنع قوة مهما عظمت .. لا شيء على الاطلاق الا رحمة الله : « لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين » .

واذ نجيناكم الآية ٤٩ – ٥٠ :

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ★ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ البَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ★

---

١ انظر فقرة : « لا قياس على اليهود » في تفسير قوله تعالى : وإذ أخذنا ميثاقكم .

المعنى :

بعد أن ذكّر الله سبحانه بني اسرائيل بنعمه عليهم بنحو الاجمال ذكّرهم بها على سبيل التفصيل ، وأولى هذه النعم التي أشار اليها هـي نجاتهم من فرعون وأتباعه الذين أذاقوا اليهود أشد العذاب ، وفسر الله سبحانه هذا العذاب بقوله : (يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) أي يقتلون الذكور من نسلكم ، ويستبقون الأناث أحياء ليتخذوهن خدماً [1] ..

هذا ، الى ان المصريين كانوا يسخّرون اليهود في قطع الأحجار ونقلها ، وحفر الأقنية ، وما الى ذلك من الأعمال الشاقة .

وجاء الخطاب لليهود المعاصرين لمحمد (ص) لأنهم عـلى دين أسلافهم ، وراضون بعملهم ، ومن أحب عمل قوم شاركهم فيه .

(وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم) أي ان الله سبحانه قد اختبركم – يا بني اسرائيل – في السراء والضراء معاً ، لتُعرفوا : هل تجاهدون وتصبرون في الجهاد صبر الكرام في الأولى ، وتشكرون على الثانية ، أو انكم تخضعون وتستسلمون في الشدة ، وتكفرون وتطغون في الرخاء شأن كل جبان لئيم .

وتجدر الاشارة الى ان الله سبحانه لا يختبر عبده ليعلم ما هو عليه .. كلا ، فانه يعلم بكل كائن قبل أن يكون .. ولكنه يختبر العبد ، لاقامة الحجة عليه ، اذ لا دعـوى لمن لا حجة له،حتى ولو كان المدعى به ثابتاً في علم الله تعالى .

وأشار سبحانه الى النعمة الثانية على بني اسرائيل بقوله : (واذ فرقنا بـكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون) أي فصلنا البحر وجعلناه اثني عشر طريقاً على عدد الاسباط ، والباء من (بكم) للسببية أي بسببكم ، والسبط هو ولد الولد ، والاسباط من بني اسرائيل عشائر من نسل يعقوب .

والخلاصة لقد كان اليهود في غاية الضعف والمذلة ، وكان خصمهم في غاية القوة والعزة ، فعكس الله الآية على يد نبيه موسى (ع) فصاروا هم الأعزاء ،

١- قال صاحب مجمع البيان : ان فرعون رأى في منامه ما أخافه وأزعجه ، وان السحرة فسروا له المنام بغلام من بني اسرائيل يقتله ، ومن أجل هـذا فعل فرعون بالاسرائيليين ما فعل .. وهذا جائز في نفسه ، ولكن لا دليل يعتمد عليه .

وخصمهم الذليل ، وعاينوا (وأنتم تنظرون) ذل من بالغ في اذلالهم ، وهلاك من حاول اهلاكهم ، وبهذا لزمتهم الحجة ، ووجب عليهم أن يتعظوا ويعتبروا، ولا يعاملوا غيرهم بما كان يعاملهم الغير .

وما أشبه معاملة اليهود اليوم لعرب فلسطين بمعاملة الفراعنة لليهود من قبل .. وستنعكس الآية ، وتدور الدائرة على اليهود كما دارت على فرعون لا محالة ، وعليهم في يد بختنصر والرومان .. ان للباطل جولة ، ثم يضمحل .. وأعجب ما في الانسان انه يقع في الشدائد ، فـاذا أنجاه الله منها طغى وبغى ، ونسي كل شيء .

وقال كثير من أهل التفسير : ان البحر المذكور هو بحر القُلْزُم أي البحر الأحمر .

لماذا اضطهد فرعون بني اسرائيل ؟

قال بعض المفسرين الجدد في ظلالـه : « اضطهد فرعون بني اسرائيل لأن لهم عقيدة غير عقيدته ، فهم يدينون بدين جدهم ابراهيم ويعقوب ، ومهما وقع في عقيدتهم من الانحراف فقد بقي لها أصل الاعتقاد بإله واحـد » . ونحن نسأل هذا المفسر الجديد : من أين جاءك العلم ان اليهود كانوا في عهد فرعون على دين ابراهيم (ع) ، وأنه قد بقي لهم الاعتقاد بإله واحد ؟ هل جاءك هذا العـلم من قولهم : « يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة » ، أو من قولهم له : « أرنا الله جهرة » ، أو من عبادتهم العجل ، أو من قتلهم الأنبياء ؟ واذا كان فرعون قد اضطهدهم لأنهم على دين ابراهيم فلماذا وصفهم نبيهم ومخلّصهم موسى بالفاسقين كما في الآية ٢٥ من سورة المائـدة ؛ وبالسفهاء في الآيـة ١٥٥ ، وبالمبطلين في الآية ١٧٣ ، وبالجهل في الآية ١٣٨ من سورة الأعراف، كما وصفهم الله سبحانه في العديد من آياته بالفساد وبكل جريمة ورذيلة ؟.

لقد ذكر القرآن ان فرعون اضطهـد بني اسرائيل ، وانـه تعدى الحدود في ظلمه ، ولكنه لم يشر الى السبب ، ولذا اختلف الفقهاء في تحديده ، فمن قائل : ان كاهناً قال لفرعون : يولد مولود في بني اسرائيل ينتزع منه الملك . وقائل : ان الأنبياء الذين كانوا قبل موسى بشّروا بمجيئه ، ولما علم فرعون بذلك خاف

وذبح أبناء اسرائيل .. وما رأيت أحداً من المفسرين أو غيرهم قال : ان فرعون اضطهد اليهود لأنهم على دين ابراهيم .

واذا نظرنا الى سيرة بني اسرائيل مع نبيهم ومخلّصهم موسى ، ومع غيره من أنبيائهم الذين جاءوا بعد موسى حيث كانوا يكذبون فريقاً وفريقاً يقتلون، ونظرنا الى سيرتهم وأعمالهم في كل بلد يحلّون فيه من اثارة الفتن ، وتدبير المؤامرات ، ومحاولة السيطرة على وسائل الانتاج والدعاية وغيرها من المرافق العامة ، اذا نظرنا الى ذلك كله تبين لنا صحة ما قاله الشيخ المراغي في تفسيره : « ان فرعون انما اضطهد بني اسرائيل لأنه كان يتوجس خيفة من الذكران الذين يتمرسون الصناعات وبأيديهم زمام المال ، فاذا طال بهم الأمد استولوا على المرافق العامة ، وغلبوا عليها المصريين ، والغلب الاقتصادي أشد وقعاً من الغلب الاستعماري » .

أجل ، ان فرعون طغى وبغى ، وتجاوز الحد في ذبح الأبناء واسترقاق النساء ، ولكن هذا التعدي والطغيان كان سببه اليهود ، فالتبعة تقع على الاثنين معاً : على اليهود لحقدهم وسوء تصرفهم وأهدافهم ، وعلى فرعون لأنه أخذ البريء بجرم المذنب .

واذ واعدنا موسى الآية ٥١ — ٥٣ :

وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ★ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ★ وإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ والْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ★

المعنى :

بعد ان أهلك الله فرعون ومن معه تنفس الاسرائيليون الصعداء ، وعادوا الى مصر آمنين ، كما في المجمع ، ولم تكن التوراة قد نزلت بعد على موسى ، فسألوه ان يأتيهم بكتاب من ربهم ، فوعده الله أن ينزل عليه التوراة ، وضرب له ميقاتاً ، فقال لهم موسى : ان ربي وعدني بكتاب،فيه بيان ما يجب عليكم أن تفعلوه ، وتذروه ، وضرب لهم ميقاتاً أربعين ليلة ، وهذه الليالي — على ما

قيل – هي ذو القعدة ، وعشر ذي الحجة .

وذهب موسى الى ربه ليأتي قومه بالكتاب ، واستخلف عليهم أخاه هارون، وقبل أن يمضي الميقات الموعود على غيابه عبدوا العجل من دون الله ، وظلموا بذلك أنفسهم ، وهذا هو المعنى الظاهر من قوله سبحانه : « واذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون » .

وبعد ان رجع موسى الى قومه تابوا من شركهم ، ورجعوا الى ربهم، فقبل الله توبتهم .. وهذه نعمة ثالثة من الله عليهم ، واليهـا أشارت الآية : « ثم عفونا عنكم بعد ذلك » .

أما النعمة الرابعة فهو كتاب الله : « واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون » . وهذا الكتاب هو التوراة الجامعة لبيان الحق والباطل،والحلال والحرام، أما عطف الفرقان على الكتاب فهو من باب عطف الصفة على الموصوف، كقوله سبحانه في الآية ٤٨ من الأنبياء : « ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكراً للمتقين »

واختصاراً ان الله جل وعز ذكّر الاسرائيليين في الآيات المتقدمة بأربع نعم : انجائهم من ذبح الأبناء واستحياء النساء ، ثم هلاك فرعون ، ثم العفو عنهم ، ثم ايتاء موسى التوراة .

نهاية الطاغية : سورة يونس

(حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت انه لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين) . بالأمس كان ينتفخ فرعون ويقول : أنا ربكم الأعلى. وحين أدركه الغرق قال : آمنت بالـذي آمنت به بنو اسرائيـــل ، ما كان أغناه عن الحالين ؟. لا هذه ولا تلك ، فقد كان باب الطاعة مفتوحاً أمامه حين عصى ، أما الآن فلا طاعة ولا عصيان،إذ لا ارادة ولا اختيار .. وهذا هو شأن الخسيس اللئيم يتعاظم عند النعماء ، ويتصاغر عند البأساء .

والتاريخ يعيد نفسه ، وأعني بذلك سُنة الله في خلقـــه التي أشار اليها مؤكداً بقوله : « فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً – ٤٣ فاطر » . واسرائيل اليوم تسير بمساندة الاستعمار على سنة فرعون بالذات .

كان فرعون يذبح أبناء بني اسرائيل ، ويستحيي نساءهم،وفعلت اسرائيل بأبناء الشعب الفلسطيني أكثر بكثير مما فعله فرعون .

وقال فرعون : أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي ؟. وقالت اسرائيل : أليست لي فلسطين وخيراتها ، ومعها مرتفعات الجولان ، والضفة الغربية ؟.

وقال فرعون : أنا ربكم الأعلى . وقالت ربيبة الاستعمار وحربته ، «لا غالب لي اليوم » . ولم تمض الأيام ، حتى بدأت سنة الله تعمل عملها ، فمن إغراق ايلات الى موقعة الكرامة، ومن تدمير مواقع الصواريخ لاسرائيل إلى عمل الفدائيين الذي اضطر « دايان » الى القول : على اليهود ان يستعدوا لتوسيع قبورهم .. وسيقول عاجلاً أو آجلاً : آمنت بالذي آمن به العرب والمسلمون ، تماماً كما قال فرعون من قبل : آمنت بالذي آمنت به بنو اسرائيل ، لأنها سارت على نفس الطريق الذي سار عليه ، وستكون نهايتها نهايته لا محالة .

وقد يقول قائل : ان الصراع مع اسرائيل طويل ومرير . ونقول في جوابه أجل ، ولكن النصر النهائي لأصحاب الحق مهما طال الزمن ، والتاريخ البعيد والقريب يشهد بهذه الحقيقة من عهد فرعون وهامان الى عهد هتلر وموسيليني .

واذ قال موسى الآية ٥٤ — ٥٧ :

وَإِذْ قالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلى بارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بارِئِكُمْ فَتابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ★ وَإِذْ قُلْتُمْ يا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ★ ثُمَّ بَعَثْناكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ★ وَظَلَّلْنا عَلَيْكُمُ

ٱلْغَمامَ وَأَنْزَلْنا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وَما ظَلَمُونا وَلَكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ★

المعنى :

(وإذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم) .. كل معنى يسبق الى الفهم بمجرد سماع اللفظ لا يحتاج الى تفسير ، بل تفسيره وشرحه ضرب من الفضول .. وهذه الآية من هذا الباب .

(فاقتلوا أنفسكم) .. القتل ظاهر في ازهاق الروح ، ولا سبب موجب لصرفه وتأويله بمخالفة الهوى ، وتذليل النفس بالاعتراف بالذنب والخطيئة ، أو التشديد والمبالغة في طاعة الله — كما قيل — والمراد بالأنفس هنا بعضها ، أي ليقتل بعضكم بعضاً ، فيتولى البريء منكم الذي لم يرتد عن دينه بعبادة العجل قتل من ارتد عن دينه ، تماماً كقوله تعالى : «فاذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم» . أي فليسلّم بعضكم على بعض ، وكقوله : « فلا تلمزوا أنفسكم » . أي لا يغتب بعضكم بعضاً .

وقال الطبرسي في مجمعه — من الامامية — والرازي في تفسيرة الكبير — من السنة قالا : ان الله سبحانه جعل توبتهم بنفس القتل ، بحيث لا تتم التوبة ، ولا تحصل إلا بقتل النفس ، لا انهم يتوبون أولاً ، ثم يقتلون أنفسهم بعد التوبة .

ولهذا الحكم نظائره في الشريعة الاسلامية ، حيث اعتبرت القتل حداً وعقوبة على جريمة الارتداد ..

وتمضي الآيات في تعداد مساوىء الاسرائيليين : (وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) . حين جاءهم موسى بالتوراة قال له جماعة منهم : لا نصدقك في ان هذا الكتاب من عند الله ، حتى نرى الله عياناً لا حجاب بيننا وبينه ، ويخبرنا وجهاً لوجه انه أرسلك بهذا الكتاب .

ولست أدري ان كان الذين ينكرون وجود الله في هذا العصر ، لا لشيء إلا لأنهم لم يشاهدوه جهرة ، لست أدري : هل استند هؤلاء في انكارهم الى

كفر أولئك الاسرائيليين وعنادهم ؟.

قال اليهود لموسى : لن نؤمن حتى نرى الله جهرة .. وقال من قال في هذا العصر : لا وجود إلا لما نراه بالعين ، ونلمسه باليد ، ونشمه بالأنف ، ونأكله بالفم .. وهكذا يكرر التاريخ صورة المكابرة ومعاندة الحق في كل جيل.

(فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون) . أي ان عذاباً من السماء أحاط بالذين قالوا لموسى : لن نؤمن حتى نرى الله ، وأهلكهم على مرأى من أصحابهم الذين لم يعاندوا ، ويسألوا مثل ذلك .

(ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) . قال بعض المفسرين ، ومنهم الشيخ محمد عبده ، كما في تفسير المنار ، قالوا : ان الله سبحانه لم يُرجعهم الى هذه الحياة ثانية بعد أن أخذتهم الصاعقة ،وان المراد ببعثهم كثرة النسل منهم.

وقال آخرون : كلا ، ان الآية على ظاهر دلالتها ، وان الذين أعيدوا هم الذين أخذتهم الصاعقة بالذات .. وهذا هو الحق ، حيث يجب الوقوف عند الظاهر إلا مع السبب الموجب للتأويل ، ولا سبب ما دامت الاعادة ممكنة في نظر العقل ، وقد وقع نظير ذلك لعزير ، كما دلت الآية ٢٥٩ من سورة البقرة: « فأماته الله مئة عام ثم بعثه » . وبديهة ان الذي وقع لا يكون مستحيلاً .

وتجدر الاشارة إلى أن المراد من قوله تعالى : فأخذتكم الصاعقة ،وقوله بعثناكم، المراد من كان في عصر موسى (ع) الذين قالوا له : « حتى نرى الله جهرة » فلا يشمل الخطاب موسى ، ولا من لم يقل له ذلك .. وبالأولى أن لا يشمل حقيقة اليهود الذين كانوا في عهد محمد (ص) وانما وجه الخطاب اليهم تجوزاً وتوسعاً في الاستعمال بالنظر الى أنهم من نسل الذين قالوا : حتى نرى الله جهرة .

(وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى) . جرى ذلك حين خرج الاسرائيليون من مصر ، وتاهوا في صحراء سيناء ، حيث لا بنيان ولا عمران ، فشكوا الى موسى حر الشمس ، فأنعم الله عليهم بالغمام يظللهم ، ويقيهم حر الهاجرة ، وأنعم عليهم أيضاً بالمنّ والسلوى ، يأكلون منها بالاضافة الى ما تيسر لهم من الأطعمة ، ويأتي في تفسير الآية ٦٠ ان الماء تفجّر لهم من الحجر الذي ضربه موسى بعصاه .

وغريب أمر بعض المفسرين ، حيث يفسر من تلقائه ما سكت الله عن بيانه

وتفسيره ، ويحصي عدد الذين قتلوا أنفسهم للتوبة من عبادة العجل ، يحصيهم بسبعين ألف نسمة ، كما أحصى عددَ الذين أخذتهم الصاعقة بسبعين رجلاً ، أما المنّ فلكل فرد صاع ، وأما السلوى فكانت تنزل من السماء حارّة يتصاعد منها البخار ، وما إلى ذلك مما لا نص قطعي ولا ظني يدل عليه ، ويبعّد ولا يقرب .. وقد ثبت عن الرسول الأعظم (ص) : ان الله سكت عن أشياء لم يسكت عنها نسياناً ، فلا تتكلفوها رحمة من الله لكم .

وفي نهج البلاغة :

ان الله افترض عليكم الفرائض فلا تضيعوها ، وحدّ لكم حدوداً فلا تعتدوها ، ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء ، ولم يدعها نسياناً فلا تتكلفوها .

(وما ظلمونا ولكن أنفسهم كانوا يظلمون) . ونفي المظلومية عن الله سبحانه ، تماماً كنفي الولد والشريك عنه من باب السالبة بانتفاء الموضوع على حد تعبير أهل المنطق ، لأن الثبوت محال عقلاً .. فهو أشبه بقولك عن الأعزب : انه لا ولد له ، وعمن يجهل اللغة العربية لم يؤلف فيها قاموساً .. أما ظلم اليهود لأنفسهم فلسفههم ، وجحودهم بأنعم الله الذي لا تنفعه طاعة من أطاع ، ولا تضره معصية من عصى ، وانما منفعة الطاعة تعود الى الطائع ، ومضرة المعصية الى العاصي .. قال أمير المؤمنين علي (ع) : يا ابن آدم اذا رأيت ربك يتابع نعمه عليك ، وأنت تعصيه فاحذره .

واختصاراً ان هذه الآيات تضمنت الاشارة الى عبادة الاسرائيليين للعجل ، وتوبتهم بقتل أنفسهم ، وطلبهم رؤية الله ، وهلاكهم وبعثهم ، وتظليل الغمام لهم ، واطعامهم المنّ والسلوى .. وسنعرض قصة موسى مع الاسرائيليين في سورة المائدة ان شاء الله ، حيث حكى الله قولهم لكليمه ونجيّه : « اذهب أنت وربك انّا ههنا قاعدون » وانها لكلمة تعبر عن خبث اليهود ولؤمهم أدق تعبير ، وأول من اكتشف هذا اللؤم والخبث آل فرعون الذين ذبحوا الأبناء ، واستحيوا النساء .

واذ قلنا ادخلوا الآية ٥٨ ـ ٥٩ :

وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلوا ٱلْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ★ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ ٱلسَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ★

المعنى :

(واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً) . قال صاحب مجمع البيان : « أجمع المفسرون على ان المراد بالقرية هنا بيت المقدس، ويؤيده قوله تعالى في موضع آخر : ادخلوا الأرض المقدسة » .

(وادخلوا الباب سجداً) أي ادخلوا ناكسي الرؤوس خاضعين خاشعين لله ، وفي البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي : « الباب هو أحد أبواب بيت المقدس، ويدعى باب حطة . (توفي هذا العالم الأندلسي سنة ٧٥٤ هـ) .

(وقولوا حطة) . بعد أن أمرهم الله سبحانه أن يدخلوا بخضوع وخشوع أيضاً أمرهم أن يقرنوا الخشوع بقول التضرع والتذلل مثل نستغفر الله ، ونسأله التوبة، ليحصل التوافق والتلاؤم بين القول والفعل ، تماماً كما تقول في ركوعك : « سبحان ربي العظيم » . وفي سجودك : « سبحان ربي الأعلى » .

وليس من الضرروري ان يتلفظوا بلفظ (حطة) بالذات وعلى سبيل التعبد ، كما قال كثير من المفسرين ، ولا أن يكون المراد من حطة العمل الذي يحط الذنوب كما في تفسير المنار نقلاً عن محمد عبده، حيث قال : ان الله لم يكلفهم بالتلفظ ، اذ لا شيء أيسر على الانسان منه .

ويلاحظ بأن الله قد كلف عباده بالكلام والتلفظ في الصلاة ، وأعمال الحج، وفي الأمر بالمعروف ، ورد التحية ، وأداء الشهادة ، بل وباخراج الحروف من مخارجها في بعض الموارد .

(فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم) . أي انهم أُمروا أن يقولوا ما يستحقون به العفو والصفح والثواب ، ولكنهم خالفوا وقالوا مـا يستوجبون عليه المؤاخذة والعقاب .

وقد استلفت انتباهي ان بعض المفسرين الكبار ، ومنهم الفيلسوفان : الرازي والملا صدرا، قد تعرضوا هنا الى مسألة الوقوف على لفظ الادعية والاذكار المأثورة، وانه هل يجب الجمود عليها حرفياً ، أو يجوز ابدال لفظ بلفظ مع المحافظة على المعنى ، ولم يتعرضوا ، وهم يفسرون قوله : « فبدل الذين ظلموا » الى من اتخذ الدين سلعة للكسب والربح ، مع العلم بأن هؤلاء أمناء على دين الله، وانهم قد خانوا الأمانة ، وحرّفوا الآيات والروايات ، تماماً كما فعل الاسرائيليون .

(فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء).تقدم ان المراد بالرجز العذاب.. وقد سكت الله سبحانه عن نوع العذاب وحقيقته،ولم يبين لنا : هل هو الطاعون، كما قال البعض ، أو الثلج كما ذهب آخرون .. وأيضاً سكت عن عدد الذين هلكوا بهذا العذاب : هل هم سبعون ألفاً ، أو أكثر ، أو أقل ؟ وعن أمد العذاب ومدته : هل هي ساعة أو يوم ؟ لذلك نسكت نحن عما سكت الله عنه، ولا نتكلف بيانه كما تكلفه غيرنا اعتماداً عن قول ضعيف، أو رواية متروكة .

واذ استسقى موسى الآية ٦٠ :

وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ★

حول الرأسمالية والاشتراكية :

لقد تم لبني اسرائيل الظل والطعام والشراب بلا كلفة ومشقة،فلا غني وفقير، ولا جائع ومتخم ، ولا كادح ومترف ، لا ملكية لوسائل الانتاج ، ولا اجحاف في التوزيع ، ولا من كل حسب طاقته ، ولكل حسب عمله ، لا شيء اطلاقاً سوى المساواة في العيش،دون مقابل من مال أو عمل أو أي شيء آخر .

وهذا أول وآخر شعب يسعد بهذا النوع من العيش ، بالاضافة الى الوحدة لغة وثقافة وتاريخاً .. وسنثبت ان الله عامل هذا الشعب معاملة خاصة دون الناس أجمعين .

واذا لم يكن من سبب اقتصادي أو قومي للتشاحن والتطاحن ، ولا للجريمة والفساد فلماذا أفسدوا وتمردوا على الناصح الأمين موسى بن عمران (ع) ؟ وكيف ملّوا حياة التساوي في الغنى ، وقالوا : لن نصبر عليها أبداً ، ونريد أن يستعين بعضنا ببعض ، وقابلوا النعم المتتالية بالكفران والعصيان ؟.

وقال الاشتراكيون كلهم ، أو جلهم : ان الرأسمالية امّ الرذائل والشقاء ، والاشتراكية مصدر الفضائل والهناء .. وقال الرأسماليون : المهم التجانس في العقلية ، والصفات الروحية ..

وقال هتلر : لا شيء على الاطلاق الا الجنس الآري .

ولكن أكثر أعداء هتلر كانوا مثله آريين ، وبالتالي أودت نظريته بحياته ، وأذلت شعب ألمانيا ، وأهلكت الملايين من سائر الشعوب،ودمرت المدن والعواصم، ومنشآت المدنية والحضارة ..

أما الدول الرأسمالية فقد بلغ التنافس بينها غايته ، ونزاع موسكو وبكين قطع كل أمل في الوفاق والوئام ، ومن قبله النزاع الستاليني التيتوي .

ان في الانسان قوى غريبة وغامضة قد تجاوزت العد والاحصاء ، أما الظروف التي تحيط به من الخارج فأكثر واوفر ، ومن حاول احصاء هذه أو تلك فقد طلب المحال ، ولكل منها أثره وعمله ، والانسان معها جميعاً بين مد وجزر ، فحصر المؤثرات بالمادة وحدها ، تماماً كحصرها بالقوى الروحية ، أو بالعرق .. الكل باطل وغير صحيح .. أجل ، ان الفقر باعث قوي على الرذيلة والإثم ، وربما كان أقوى البواعث على الاطلاق ، لذا قال علي أمير المؤمنين (ع) : كاد الفقر أن يكون كفراً .

ولكن اذا تم للانسان ما يحتاج اليه في حياته فلن تتم له السكينة والاستقرار الا اذا آمن بمبادىء انسانية ، يلائم بينها وبين سلوكه ، وركن الى دين قويم يعصمه عن الخطايا والذنوب .

واذ قلتم يا موسى الآية ٦١ :

وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ★

المعنى :

(وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد) . أي قاله أسلافكم لموسى ، وهم في التيه ، حيث سئموا من المواظبة على أكل المنّ والسلوى ، وتشوّفوا إلى عيشهم الأول في مصر .

وليس في هذا الطلب معصية ، فان كل انسان يطلب التنوع في الطعام، لأنه يفتح الشهوة ، والرغبة في الاستكثار ، والله سبحانه قد أحلّ الطيبات من الرزق لعباده .. وعلى هـذا فان الآية لم تسق للذم ، بل للتعجب من تركهم العيش الحاصل عفواً صفواً ، وطلبهم العيش الذي لا يحصل إلا بالكد والجد .

(قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) . الباء في هـذا المورد تدخل على الأفضل ، تقول : لا تبدل النحاس بالذهب ، ولا يجوز أن تقول: لا تبدل الذهب بالنحاس ، والدليل هذه الآية الكريمة .. ولكن الناس يعكسون . وعلى أية حال فان المهم معرفة المراد ، ووضوح القصد .

(اهبطوا مصراً فان لكم ما سألتم) . أي قال موسى لهم ذلك .. والظاهر ان المراد مصر من الأمصار يحقق لهم هذه الأمنية ، لأن سبحانه لم يبين ويعين

مصراً خاصاً :. وتفسير القرآن الكريم غير التعليلات النحوية التي يصحح بها كلام سيبويه ونفطويه .

(وضربت عليهم الذلة والمسكنة) . كانوا أعزاء مستقلين يأتيهم رزقهم رغداً، فأبوا إلا الزراعة والصناعة والتجارة ، وكل ذلك يستدعي التنافس والحروب ، وهي تستدعي الفشل وذهاب الريح .

(ويقتلون النبيين بغير الحق) . وبديهة ان قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير الحق ، وكأنّ الله سبحانه أراد بذكر القيد التشنيع بهم ، وان القتل منهم لم يكن عن خطأ واشتباه ، بل عن اصرار وتعمد للباطل والضلال . فلا بدع إذا أساء يهود المدينة الى محمد (ص) .. لأنهم امتداد لذاك الأصل والعرق .

واذ أخذنا ميثاقكم الآية ٦٣ – ٦٦ :

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ★ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ★ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ★ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ★

المعنى :

(واذ أخذنا ميثاقكم) . أي أخذنا الميثاق من أسلافكم أن يعملوا بالتوراة ، ولما نقضوه رفع الله الجبل فوقهم ، وقال : اعملوا بما فيها ، وإلا أسقطت هذا الجبل عليكم ، فاذعنوا وتابوا ، فاستقر الجبل في مكانه ، ولكنهم عادوا الى التمرد والعصيان .

وإذا كان هذا شأن اليهود في عهد الكليم (ع) ، وقد شاهدوا عياناً ما شاهدوا من الخوارق ، ولا حجة أقوى وأبلغ من العيان، فلا عجب – اذن – من يهود

المدينة إذا أنكروا نبوة محمد (ص) ، ونقضوا العهد والميثاق المبرم بينه وبينهم . انظر فقرة « محمد ويهود المدينة » عنـــد تفسير آية : يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي .

(ولولا فضل الله عليكم ورحمته) . أي لولا لطف الله وتفضله بامهاله لـكم لحل بكم العذاب في الدنيا قبل الآخرة ، قال الملا صدرا :

« ان هذه الآية من أرجـــا الآيات ، وأقواها دلالة على رحمته وتجاوزه عن سيئات عباده العاصين ، لأن قوله : فلولا فضل الله عليكم بعد ان عدد قبائحهم من عبادة العجل ، وكفران النعم ، وجحود الأنبياء وقتلهم ، ونقض الميثـــاق المؤكد ، وغير ذلك يدل على كمال رأفته وعفوه » .

ثم نقل الملا صدرا عن القفال ما يتلخص بأن الله سبحانه بعد أن رفع عنهم عذاب الجبل حرفوا التوراة ، وجاهروا بالمعاصي ، وخالفوا موسى ، ولقي منهم كل أذى ، وكان الله سبحانه يجازيهم في الدنيا ، ليعتبروا ، حتى انه خسف الأرض ببعضهم ، وأحرق بالنار آخرين ، وعوقبوا بالطاعون .. كل هـــذا ، وغير هذا منصوص عليه في توراتهم التي يقرون بها ، والتي هي الآن في متناول كـــل طالب وراغب .. ثم فعل الخلف ما فعل السلف من الجرائم ، فكفروا السيد المسيح (ع) ، وصمموا على قتله..فغير عجيب انكارهم ما جاء به محمد (ص) ، وجحودهم لحقه .

(ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت) . لقد أمرهم الله سبحانه بترك العمل يوم السبت ، وحرم عليهم صيد الأسماك فيه ، فكانت الحيتان تتجمع في هذا اليوم آمنة مطمئنة ، ولكن ثلة من اليهود احتالوا وتأولـوا .. حيث حبسوا الحيتان يوم السبت وحصروها في مكان لا تستطيع تجاوزه ، وأخذوها يوم الأحد ، وقالوا : ان الله نهى عن صيد الحيتان في هذا اليوم ، ولم ينـــه عن حبسها ، وفرق بعيد بين الحبس وبين الصيد .

ويُذكرني هذا الدجل والاحتيال بنفاق محترفي الدين والوطنية الذين يتلاعبون بالألفاظ ، ويشوهون الحقائق ، ليوقعوا بعض السذج في شباكهم .. ومن الطريف ان بعض الشيوخ ألّف كتاباً خاصاً في الحيل الشرعية ، حتى كأنّ الله طفـل صغير تخفى عليه التمويهات ، ولا يعلم الصادقين من الكاذبـــين .. واذا لم يمسخ

الله هؤلاء قردة خاسئين في هذه الحياة ، كما فعل باليهود من قبل فسيحشرهم غداً على هيئة الكلاب والقردة والخنازير .. واذا لم يُمسخ الكاذبون الآن في الظاهر فانهم ممسوخون في الباطن .. ولا حجة أقوى من الأفعال التي تنبيء بمسخ نفوسهم .

(فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) . اختلف المفسرون : هل كان المسخ لمن اعتدى في السبت من اليهود مسخاً حقيقياً ، بحيث صارت أجسامهم وصورهم على هيئة القرود ، أو ان المسخ كان في الطبع ، لا في الجسم، تماماً مثل : ختم الله على قلوبهم ، ونظير كمثل الحمار يحمل أسفاراً ؟.

ذهب أكثر المفسرين الى الأول ، وان المسخ كان حقيقة ، عملا بالظاهر الذي لا داعي الى تأويله ، وصرفه عن دلالته ، لأن تحول الصورة الى صورة أخرى جائز عقلاً ، فاذا جاءت آية أو رواية صحيحة على وقوعه أجريناها على ظاهرها ، حيث لا حاجة الى التأويل .

وذهب قليل منهم مجاهد في القديم، والشيخ محمد عبده في الحديث الى الثاني، وان المسخ كان في النفس ، لا في الجسم ، قال الشيخ عبده ، كما في تفسير المراغي : « ان الله لا يمسخ كل عاصٍ ، فيخرجه عن نوع الانسان، اذ ليس من سنته في خلقه .. وسنة الله واحدة ، فهو يعامل القرون الحالية بمثل ما عامل به القرون الخالية » .

ونحن نميل الى ما عليه جمهور العلماء والمفسرين ، وان المسخ كان حقيقة ، لا مجازاً ، أما قول عبده فصحيح في نفسه ، كمبدأ عام ، وقاعدة كلية ، ولكن لهذه القاعدة مستثنيات ، تستدعيها الحكمة الإلهية ، كالمعجزات ، وما اليها من الكرامات .. ومعاملة الله مع بني اسرائيل في ذاك العهد من هذه المستثنيات ، كما يتضح من الفقرة التالية :

لا قياس على اليهود :

من يدقق النظر في آي الذكر الحكيم التي نزلت في الاسرائيليين خاصة ، وفي الذين كانوا منهم على عهد موسى الكليم (ع) بوجه أخص ، ان من يستقرىء هذه الآيات يخرج بنتيجة واضحة كالشمس ، وهي انه سبحانه قد عاملهم معاملة

لا تشبه شيئاً ، ولا يشبهها شيء مما هو معروف ومألوف .. وغير بعيد أن يكون قوله تعالى : « واني فضلتكم على العالمين » اشارة الى هذه المعاملة الخاصة .

فلقد حررهم الله من نير فرعون وطغيانه بانفلاق البحر ،لا بالجهاد والتضحية ، وأطعمهم المنّ والسلوى ، وسقاهم الماء بمعجزة ، لا بالكد والعمل ، ورفع فوقهم الجبل ليطيعوا ، ويسمعوا ، وأحيا قتيلهم ، ليبين لهم ما خفي من أمر القاتل .. كل ذلك ، وما اليه يدل دلالة صريحة واضحة على ان مشاكل اليهود في ذلك العصر لم تحل بطريقة طبيعية مألوفة، بل لم يفكروا هم أنفسهم في العمل من أجل حلها .. فكلما اصطدموا بمشكلة قالوا : يا موسى ادعُ لنا ربك يفعل ويترك .. وكان موسى يدعو ، والله يستجيب .

وبهذا يتبين معنا ان قياس سائر الأجيال على الجيل الاسرائيلي آنذاك في غير محله ، وان قول الشيخ محمد عبده : « ان الله يعامل القرون الحاضرة بمثل القرون الخالية » يصح في جميع الناس الا في اولئك الناس[1] .

وأيضاً يتبين ان الله قد أراد برفع الجبل أن يُكرههم ويُلجئهم الى الأخذ بما في التوراة ، وان قول السيد الطباطبائي في كتاب الميزان : « ان رفع الجبل لا يدل على الالجاء والاكراه ، لأنه لا اكراه في الدين » ان هذا القول بعيد عن الواقع بالنسبة الى قوم موسى الذين عاملهم الله معاملة أبعد ما تكون عن الضوابط والقواعد .

أما الحكمة الإلهية لذلك فلا مصدر لديّ أعتمده لمعرفتها . وقد يكمن السر في ان الله جل وعلا أراد أن يضرب من أولئك اليهود مثلاً على ان الحياة لا تطيب وتحلو الا بالكد والكفاح ضد الطبيعة ، وبه وحده تُكتشف الحقائق ، وتُعرف الأسرار ، وترتقي الانسانية في مدارج الرقي والحضارة ، ولو عاش الانسان اتكالياً ، وعلى مائدة تنزل من السماء لـمّا تميز في شيء عن الحيوان المربوط على المعلف ، ولم يكن بحاجة الى العقل والادراك .. ان الاتكالية جمود وموت ، والجهاد حيوية ونشاط ، ومهما يكن ، فان تاريخ اليهود بوجه العموم

[1] لقد وصم القرآن والانجيل اليهود بأنهم أعداء الإنسانية ، وتاريخهم يشهد بهذه الحقيقة ، ومن أجل هذا يحرصون كل الحرص على التأكيد بأنه لا فرق بين القوميات ، ولا بين الاديان ، وألفوا لهذه الغاية الكتب ، وأسسوا المعاهد ، وبثوا الدعايات ، وأنشأوا الجمعيات ، ومنها الجمعية الماسونية العالمية التي أضفوا عليها ثوب الانسانية .

يتصل اتصالاً وثيقاً بتاريخ هؤلاء الاسرائيليين الذين كانوا على عهد موسى، فهم أقدم العناصر، والأصل المباشر لسلالة من وجد بعدهم من اليهود.

وبمناسبة الحديث عن اليهود نشير الى جماعة من الصهاينة تقيم في أمريكا، وبالتحديد في الحي المعروف بـ (بروكلين) بنيويورك، واسم هذه الجماعة: «جماعة شهود يهوه» .. وهدفها الأول والأخير اشاعة الفوضى، واثارة الفتن الدينية في جميع أقطار العالم، بخاصة العالم العربي، والتنبؤ بفناء العالم .. وتصدر هذه الجماعة العديد من النشرات والكتب بجميع اللغات، وبأغلفة ملونة، تسرب الكثير منها الى بلادنا، كما تُصدر مجلة باسم برج المراقبة، ومن الكتب التي نشرتها كتاب في الطعن بمحمد (ص) والقرآن، واسم هذا الكتاب «هل خدم الدين الانسانية» وكتاب ليكن الله صادقاً، وكتاب نظام الدهور الالهي، والحق يحرركم، والمصالحة، وملايين من الذين هم أحياء لن يموتوا أبداً، وقد طبع هذا الكتاب ببيروت.

واكتشفت حكومة القاهرة بعض أعضاء جماعة شهود يهوه، وكانوا يعقدون اجتماعات سرية، فقبضت عليهم وشرعت بمحاكمتهم في الشهر الرابع من سنة ١٩٦٧.

ومن تعاليم هذه الجماعة انه جرى صراع طويل ومرير بين الله والشيطان دام ستين قرناً، ثم اعتزل الله، وسلم دفة الحكم والادارة للشيطان يتصرف كيف شاء، لأن الشيطان أبقى الله وحيداً فريداً لا أحد معه إلا أمة اسرائيل، ومن أجل هذا قال الله للشيطان: خذ الناس، كل الناس، واترك لي هذه الأمة .. وهكذا تم الاتفاق بين الله والشيطان .. ولكن الآية ستنعكس في النهاية، لأن أمة اسرائيل ستملك من النيل الى الفرات، وسيخرج الأنبياء من قبورهم، ويتولون أعلى المناصب في دولة اسرائيل، وبالتالي يخضع العالم كله لهذه الدولة، ويُخذل الشيطان، وينتصر الرحمن .. ولهذه الجماعة أنصار وعملاء في بيروت وعمان وبغداد ودمشق والقاهرة والسعودية والمغرب.

والغرض من هذه الاشارة التنبيه الى رأس الحية، وإلى الأصابع التي تحرك في الخفاء بعض المؤلفين ومحرري الصحف، وتضع لهم الخطط لاشاعة للفوضى والفساد، واثارد النعرات الطائفية، والفتن الدينية في بلادنا.

ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة الآية ٦٧ – ٧٣ :

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ★ قَالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا ما تُؤْمَرُونَ ★ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا مَا لَوْنُها قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ★ قَالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ ★ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيها قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوها وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ★ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيها وَاللهُ مُخْرِجٌ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ★ فَقُلْنا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ★

ملخص القصة :

ان هذه الآيات الكريمة يتوقف فهمها على معرفة الحادثة الـتي نزلت الآيات من أجلها ، وخلاصة هذه الحادثة :

ان شيخاً غنياً من بني اسرائيل قتله بنو عمه طمعاً في ميراثه ، ثم ادعى القتلة عـلى أناس أبرياء انهم قتلوه ، وطالبوهم بديته ، ليدفعوا عنهم تهمة القتل ،

فوقع الاختلاف بينهم والشجار ، فترافعــوا الى موسى (ع) ، وحيث لا بينة تكشف عن الواقع سألوا موسى — كالمعتاد — أن يدعو الله ليبين لهم مـا خفي من أمر القاتل ، فأوحى الله اليه أن يذبحوا بقرة ، ويضربوا القتيل ببعضهـا ، فيحيا ، ويخبر بقاتله ، وبعد أخذ ورد ، وان الأمر : هل هو هزل أو جد ، وبعد السؤال عن أوصاف البقرة أولاً وثانياً وثالثاً فعلوا ، وعاد القتيل الى الحياة وأخبر بما كان .

المعنى :

(قالوا أتتخذنا هزواً) . أي نسألك عن أمر القتيل ، فتأمرنا بذبح البقرة؟ ان هذا هزؤ ، وليس بجد .

(قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) . أي اني لا استعمل الهزؤ والسخرية في غير التبليغ عن الله ، فكيف في التبليغ عنه جلت كلمته ؟

وكان يجزيهم أن يذبحوا بقرة أية بقرة ، لأن المأمور به بقرة مطلقة والاطلاق يفيد الشمول ، ولكنهم (قالوا ادع لنـــا ربك يبين لنا ما هي) . قال : هي من حيث السن وسط ، لا بالكبيرة ، ولا بالصغيرة ، فاذهبوا ، وامتثلوا ولا تتوانوا في ذبحها .

ولكنهم عادوا ثانية الى التنطح والسؤال (وقالوا ادع لنا ربك يبين لنا مـا لونها) .

قال : هي صفراء .. ولكنهم زادوا في الالحاف ، واعادة السؤال ثالثـاً ، لأن البقر في هذا اللون والسن كثير .. قال : هي سائمة لا عاملة ، وسالمة لا معيبة .. فطلبوها حتى وجدوها ، وذبحوها وضربوا الميت ببعضها ، فعاد الى الحياة ، وانكشف السر بعد أن أخبر عن قاتله .

(كذلك يحيي الله الموتى ويريـكم آياته لعلـكم تعقلون) . أي ان احياءنا لهذا القتيل شاهد عيان ، وبرهان حسي على البعث بعـد الموت ، لأن من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الأنفس كلها ، لعدم الاختصاص ، فهل بعد هذا الشاهد الحسي العياني تنكرون وتشككون وتعصون ؟.. أجل برغم ذلك وغير

ذلك قست قلوبهم ، بل كانت أشد قساوة وصلابة من الحجارة ، كما نطقت الآية التالية .

وبعد الذي بيناه في تفسير قوله تعالى واذ أخذنا ميثاقكم ، في فقرة : « لا قياس على اليهود » لا يبقى أي مجال للتساؤل : لماذا لم يحي الله القتيل ابتداء، وهو القادر على كل شيء ؟ وكيف يحيا الميت اذا ضرب بجزء البقرة ؟ ولماذا كانت هذه البقرة دون غيرها ؟ ثم ما هي الفائدة من ضرب المقتول ببعضها ؟. كل هذه التساؤلات ، وما اليها لا تتجه بحال بعد أن أثبتنا ان الله عامل اولئك الاسرائيليين معاملة خاصة دون الناس أجمعين ، وانه من هذه الجهة فضلهم على الناس أجمعين .

ثم قست قلوبكم الآية ٧٤ :

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ★

المعنى :

(ثم قست قلوبكم من بعد ذلك) . أي كان الواجب على أسلافكم – يا يهود المدينة – أن يعتبروا ، وتلين قلوبهم بعد أن شاهدوا ما شاهدوا من الخوارق والمعجزات ، ومنها احياء القتيل .. ولكنهم لخبثهم فعلوا عكس ما تستدعيه هذه الخوارق ، فأفسدوا وقست قلوبهم ، حتى كأنها قُدّت من صخر ، بل ان بعضها أشد قساوة وصلابة ، ذلك : « وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء » .

وتسأل : ان الأنهار ماء ما في ذلك ريب ، فكيف صح تقسيم الماء إلى أنهار

وماء ؟ وهل هذا الا كتقسيم البناء الى بيت وبناء ؟.

الجواب : ان الآية الكريمة قسمت الماء الى قسمين : كثير ، وهو الأنهار، وقليل وهو العيـون والآبار ، وقد عبرت عن هذا القسم القليل بلفظ الماء .. ولذا اسندت التفجير الى الكثير ، لأنه يشعر بالكثرة ، والتشقق الى الماء ، لأنه يشعر بالقلة .

ومهما يكن ، فان الغرض ان الله سبحانه قد فضل الصخور والحجارة بشتى أقسامها وأنواعها على قلوب اليهود ، لأن الصخر قد يتصدع ، فيخرج منه الماء ، وان الحجر قد يتخلخل ويتحرك عن موضعه ، أما قلوب اليهود فانها لا تندى بخير ، ولا يحركها جمال ، ولا تتجه الى هداية .

وتسأل : ان الحجارة لا حياة فيها ولا ادراك ، حتى تخشى الله ، فما الوجه في قوله تعالى : (وان منها لما يهبط من خشية الله) ؟

وقد أجيب على ذلك بأجوبة كثيرة ، أقربها جوابان : الأول ، ان هذا مبني على الافتراض ، أي لو كان في الحجارة فهم وعقل كاليهود لهبطت من خشية الله . ومثل هذا كثير في كلام العرب .

الجواب الثاني : ان الحجارة من شأنها أن تخشع وتخضع لله الذي تنتهي اليه جميع الأسباب الطبيعية وغيرها ، قال تعالى : « تسبح له السموات والأرض ومن فيهن وان من شيء إلا يسبح بحمده – الأسراء ٤٥ » . ويأتي التوضيح حين نصل الى هذه الآية ان شاء الله .

وتسأل : ان قولك يخالف الشائع الذائع « ما من شخص إلا وفيه جانبان حسن وغير حسن » وقد ركزت قولك على جانب واحد ، وأغمضت الطرف عن الجانب الآخر ؟.

الجواب : ان نفحة الخير التي نراها بعض الحين من الشرير انما جاءت فلتة، ومن غير تصميم سابق .. على ان هذه القضية،وهي « ما من شخص إلا وفيه جانبان » انما تصح في حق غير اليهود ، أما في حق اليهود فلا .. لأن كل ما فيهم سيء وقبيح،ولا جانب فيهم للحسن اطلاقاً .. والدليل على ذلك توراتهم والقرآن الكريم ، والتاريخ الصحيح ، وعملهم في فلسطين ، وغير فلسطين الذي دل دلالة واضحة على ان الدين والأخلاق ، وجميع العلاقات البشرية عندهم

ان هي إلا عملية تجارية ، ومنافع شخصية .. وسنعود الى هـذا الموضوع كلما دعت المناسبة .

أفتطمعون أن يؤمنوا الآية ٧٥ :

أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ★

المعنى :

كل صاحب رسالة يحرص كل الحرص على أن يؤمن الناس بها ، فيبث الدعوة لها في الأوساط أملاً أن يكثر أتباعها وأنصارها ، ويتحمل في سبيل ذلك المتاعب والمصاعب ، وهكذا فعل رسول الله (ص) وأصحابه .. بثوا الدعوة الى الاسلام في كل وسط رجوا أن يكون لها فيه أتباع وأنصار ، وكان بين الأنصار ويهود المدينة علاقة جوار ورضاعة وتجارة ، فدعوهم الى الاسلام بأمر النبي ، وناظروهم بالحجة الدامغة ، والمنطق السليم ، وطمعوا أن تتحرك فيهم العاطفة الانسانية ، بخاصة وانهم أهل كتاب ، وبوجه أخص ان أوصاف محمد (ص) قد وردت في توراتهم تصريحاً أو تلميحاً .

ولما أصر اليهود على رفض الدعوة ، والاستمرار في الكفر ومعاندة الحق خاطب الله نبيه الكريم وأصحابه بقوله : «أفتطمعون أن يؤمنوا لكم» وقد كان أسلاف هؤلاء اليهود يسمعون كلام الله من موسى مقترناً بالآيات والمعجزات فيحرفونه ويتأولونه حسب أهوائهم،على علم منهم بالحق ، وتصميم على مخالفته ، وما حال يهود المدينة إلا كحال أسلافهم .. حرّف السلف ، وجعل الحلال حراماً ، والحرام حلالاً تبعاً لهواه ، وحرف الخلف أوصاف محمد (ص) الواردة في التوراة ، كي لا تقوم عليهم الحجة .

وقال صاحب مجمع البيان: « في هذه الآية دلالة على عظم الذنب في تحريف الشرع ، وهو عام في اظهار البدع في الفتيا والقضايا،وجميع أمور الدين » .

ونزيد على قول صاحب المجمع أن في هذه الآية دلالة أيضاً على ان من اتّبع الضلال لا يسيء الى نفسه فقط ، بل يمتد أثر اساءته الى الأجيال ، ويتحمل وزر عمله ، وعمل من اتبعه على الغواية والضلالة، كما جاء في الحديث الشريف .

واذا لقوا الذين آمنوا الآية ٧٦ – ٧٧ :

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ ★ أَوَ لا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَما يُعْلِنُونَ ★

المعنى :

كان بعض يهود المدينة ينافقون ويكذبون على المسلمين ، ويقولون لهم : نحن مؤمنون بالذي آمنتم به ، ونشهد ان محمداً صادق في قوله ، فلقد وجدناه في التوراة بنعته وصفته، واذا خلا هؤلاء المنافقون برؤسائهم أخذ الرؤساء في لومهم وتوبيخهم ، وقالوا لهم فيما قالوا : كيف تحدثون المسلمين بما حكم الله به عليكم من أتباع محمد ؟.. ألا تفقهون بأن هذا اقرار منكم على أنفسكم بأنكم المبطلون ، وهم المحقون ؟.

(أو لا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) . أي مهما حرص المنافقون على اخفاء نفاقهم، والرؤساء الضالون على توجيه أتباعهم فان الله سبحانه لا تخفى عليه خافية .. فأنتم أيها اليهود تتكتمون في دسائسكم ومؤامراتكم ، والله سبحانه يُعلم بها رسوله الأعظم (ص) ، ويذهب كيدكم هباء .

ومنهم أميون الآية ٧٨ – ٧٩ :

وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتابَ إِلاَّ أَمانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ★

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هٰذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ★

المعنى :

(ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب) . أي ان من اليهود جماعة امين لا يعرفون شيئاً من دين الله ، وان قصارى أمرهم التخرص والظن دون أن يعتمدوا على علم .

وبديهة ان هذا الوصف وان ورد في حق أولئك اليهود ، ولكن الذم عام يشمل كل جاهل يتسم بسمة أهل العلم ، ويتصدى الى ما ليس له بأهل ، لأن المورد لا يخصص الوارد ، كما قيل .

(فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله) . هدد الله سبحانه بهذه الآية كل من ينسب اليه ما ليس من عنده، لا لشيء إلا ليقبض الثمن من الشيطان،وليس من الضروري أن يكون الثمن مالاً فقط ، فقد يكون جاهاً ، أو غيره من الشهوات والملذات الدنيوية [1] .

وقالوا لن تمسنا النار الآية ٨٠ ـ ٨٢ :

وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلى اللهِ ما لَا تَعْلَمُونَ ★ بَلَى مَنْ

---

١ أثبت أهل الاختصاص بتاريخ اللغات والعادات ان التوراة الحالية التي يعتقد اليهود انها نزلت من الله على موسى ، أثبتوا انها الفت في عصور لاحقة لعصر موسى بأمد غير قصير ، واستخرج الباحثون هذه الحقيقة من ملاحظة اللغات والأساليب ومن الاحكام والموضوعات ، والبيئات الاجتماعية والسياسية التي تنعكس في التوراة ، ولا تمت إلى عصر موسى بسبب ، وسنحاول العودة ثانية إلى هذا الموضوع بصورة أوسع ان شاء الله .

كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ★ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ★

المعنى :

(وقالوا لن تمسنا النار الا اياماً معدودة) . يزعم اليهود انهم أبناء الله ، وشعبه المختار ، وان الناس ، كل الناس – غيرهم – أبناء الشيطان ، وشعبه المنبوذ، فالله لا يخلد اليهود في النار ، ولا يقسو عليهم ، بل يعذبهم عذاباً خفيفاً، ووقتاً قصيراً ، ثم يرضى عنهم ، اي انه سبحانه يدللهم ، تماماً كما يدلل اليوم الاستعمار عصابة الصهاينة التي احتلت أرض فلسطين .

(قل اتخذتم عند الله عهداً) . أي قل لهم يا محمد : ان زعمكم هذا جرأة وافتئات على الله بغير علم .. والا فأين العهد والوعد الذي أخذتموه من الله سبحانه على ذلك ؟ وان دل زعمهم هذا على شيء فانما يدل على استهتارهم واستخفافهم بالذنوب وارتكاب القبائح ، قال الرسول الأعظم (ص) : ان المؤمن ليرى ذنبه كأنه صخرة يخاف أن تقع عليه ، وان الكافر ليرى ذنبه كأنه ذباب مرّ على أنفه .. وقال علي أمير المؤمنين (ع) : أشد الذنوب ما استهان بـه صاحبه ، وقول الرسول الأعظم (ص) : « كأن الذنب ذبابة تمـر على أنف المذنب » ينطبق كل الانطباق على اليهود الذين يزعمون انهم أبناء الله المدللون .. وعسى ان يتعظ بهذا من يستهين بذنوبه اتكالاً على شرف الأنساب .

أيضاً اليهود :

ان زعم اليهود بأنهم أبناء الله ، وشعبه المختار مبعثه ان الدين والأخلاق في عقيدتهم عملية تجارية ، ومنافع شخصية ، وكل ما عداها هراء وهباء .

وتقول : ان هذا لا يختص باليهود ، بل أكثر الناس على ذلك ؟.

الجواب : أجل ، ولكن الفرق ان اليهود يحقدون على البشرية جمعاء ، وان هدفهم النهائي هو ابادة الناس ، كل الناس غيرهم .

لا تسفكون دماءكم الآية ٨٤ – ٨٦ :

وَإِذْ أَخَذْنا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ★ ثُمَّ أَنْتُمْ هَـٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ★ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ★

تمهيـد :

لم ينته الحديث عن اليهود ومشاكلهم،والآتي كثير .. والصورة التي نستخلصها لليهود من آيات القرآن انهم يضاعفون النشاط لنشر الفساد في الأرض ، ويتمادون في الغي كلما دعاهم داع الى الهداية والاستقامة ، حتى كأنهم فطروا على معصية الله ، ومخالفة الحق .. تأمرهم توراتهم بعبـادة الله ، فيعبدون العجل ، ويقول لهم موسى : هذه التوراة من عند الله ، فيقولون له : أرنا الله جهرة .. ويقول لهم : اذكروا نعمة الله عليكم ، واسألوه العفو والصفح ، فيسخرون ويهزؤون .. وإذا كان هـذا شأنهم مع موسى الكليم (ع) ، وهو من بني اسرائيل فكيف يكون حالهم مع غيره ؟ لقد طردهم الملك أدوار الأول من انكلترا ، ونكل بهم هتلر في المانيا بعد الاختبار والعلم بحقيقتهم ، وانهم مستحقون لأكثر من ذلك ،

وأشرنا فيما سبق إلى ما فعل بهم فرعون وبختنصر والرومان .

وعلى أية حال ، فان من جملة المواثيق التي أخذها الله على اليهود في التوراة أن لا يقتلوا أنفسهم ، أي لا يقتل بعضهم بعضاً ، ولا يخرجوا أحداً من دياره، واليهود لا ينكرون هذه المواثيق،بل ليس في وسعهم أن ينكروها ، لأنها موجودة في التوراة التي يؤمنون بصدقها ، وبأنها وحي من الله .. ومع ذلك خالفوها عن عمد وتصميم ، فقامت الحجة عليهم ؛ وناقضوا أنفسهم .. وبهذا التمهيد يتضح المراد من الآيات :

المعنى :

(واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) . عاد سبحانه الى بني اسرائيل،يذكرهم بالعهود والمواثيق التي قطعت على لسان موسى والأنبياء من بعده ، ومن هذه المواثيق ان لا يريق بعضهم دم بعض، ولا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم .. وقوله تعالى دماءكم ودياركم تماماً كقوله : اذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم ، أي ليسلم بعضكم على بعض .

(ثم أقررتم وأنتم تشهدون) . أي أقررتم بالميثاق ، وشهدتم بأنفسكم على أنفسكم .

وتسأل : ان الاقرار والشهادة على النفس شيء واحد ، فكيف صح عطف الشيء على نفسه ؟.

الجواب : يجوز من باب التأكيد، وأيضاً يجوز أن يكون المراد بالاقرار اقرار السلف من اليهود،وبالشهادة شهادة الخلف بأن السلف قد أقر ، واعترف بالميثاق .

(ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم) أي انكم بعد أن أقررتم بالميثاق نقضتموه ، وقتل القوي منكم الضعيف ، وأخرجه من دياره .

(تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان) . أي تتظاهرون ، والتظاهر هو التعاون، وتشير الآية الى انقسام اليهود ، وتعاون كل فريق منهم مع العرب ضد الفريق الآخر من اليهود .. وملخص الحكاية :

ان الأوس والخزرج عشيرتان عربيتان تنتميان الى أصل واحد ، لأن الأوس والخزرج اخوان ، وكان بين هاتين العشيرتين عداء وقتال قبل الاسلام ، وكانوا من أهل الشرك لا يعرفون جنة ولا ناراً ولا قيامة ولا كتاباً .

وأيضاً كان اليهود ينقسمون الى ثلاث عشائر : بني قينقاع ، وبني قريظة ، وبني النضير ، وكان بينهم عداء وقتال ، كما كان بين الأوس والخزرج رغم ان هؤلاء اليهود ينتمون الى أصل واحد ، ودينهم واحد .. وكانوا جميعاً ، أي العشائر الثلاث اليهودية والأوس والخزرج ، من سكان المدينة .. وكان فريق من اليهود ، وهم بنو قينقاع ،يتعاونون مع الأوس ضد بني النضير وقريظة مع انهم اخوانهم في الدين ، كما ان بني النضير وبني قريظة تعاونوا مع الخزرج ضد بني قينقاع .. فكان كل فريق من اليهود يتعاون مع كل فريق من العرب ضد بعضهم البعض ، وكان اليهودي إذا دارت رحى الحرب يقتل أخاه اليهودي ، ويخرجه من دياره إذا تمكن من ذلك .. ولكن اذا أسر العرب بعض اليهود فدى الأسرى اليهود الآخرون من العرب ، مع العلم بأن الذين دفعوا فدية اليهود الأسرى كانوا يحاربون هؤلاء الأسرى مع العرب .. وهذا عين التناقض ..

واختصاراً ان اليهودي لا يرى مانعاً أن يقتل يهودياً مثله ، بل ويتعاون مع العرب على قتله ، ولكن اذا أسر العرب يهودياً تحركت عاطفة اليهودي الآخر ، ودفع فدية للآسر ، وفك الأسير ، وهو من ألد أعدائه .. فاليهودي يحل قتل أخيه اليهودي ، وتشريده ، ولكنه يحرم أسره .. وكان اليهود يعتذرون عن هذا التهافت بأن التوراة أمرتهم بفداء أسرى اليهود إذا أسروا ، فرد الله عليهم بأن التوراة أيضاً أمرتهم بأن لا يقتل بعضكم بعضاً ، ولا يخرجه من دياره ، فكيف عصيتم التوراة في القتل ، واطعتموها بالفداء من الأسر ؟.

وبهذا تجد تفسير قوله تعالى : « وان يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » . والذي كفروا به هو النهي عن القتل ، والتظاهر بالأثم والعدوان ، والاخراج من الديار ، والذي آمنوا به هو الفداء من الأسر .. وهذا عين اللعب والاستهزاء بالدين .

وتسأل : ان المحرم عليهم هو القتل والتظاهر والاخراج ، فلماذا ذكر الله سبحانه خصوص الاخراج في هذه الآية ؟.

الجواب : أجل ، انها جميعاً محرمة ، ولكن الله خص الاخراج بالذكر ثانية لتأكيد التحريم لأن شر الاخراج من الديار يطول ويمتد بخلاف القتل على حد تعبير بعض المفسرين .

(فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا) . يطلق الجزاء على الخير والشر ، ومن الأول قوله تعالى : « وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً». ومن الثاني : « فجزاؤه جهنم خالداً فيها » .. والخزي الفضيحة والعقوبة .

(اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب وهم لا ينصرون) . ان الله سبحانه لم يحرم بهذه الآية ولا بغيرها الطعام الطيب ، واللباس الفاخر ، وانما هدد من باع دينه بدنياه ، وعاش على البغي والاستغلال.. ان الله ينهى عن الفساد في الأرض ، ولا ينهى عن زينة الحياة ونعيمها .. بل انه جل وعز أنكر أشد الانكار على من حرم التنعم والتلذذ في هذه الحياة : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا » . أي انها حلال لمن اكتسبها من حل ، وحرام لمن ابتغاها عوجاً من السلب والنهب ، والغش والاحتيال .

واختصاراً ان المبدأ الاسلامي القرآني هو ان يعيش الناس، كل الناس، متعاونين على ما فيه سعادة الجميع ، أما المبدأ الصهيوني الاستعماري فهو « ما دمت أعيش أنا فليهلك العالم » .. وكل من سار على هذا المبدأ فهو صهيوني لعين ، شعر بذلك أو لم يشعر ، ولا بد أن تلاحقه عدالة السماء والأرض ، وتنزل به النكال والوبال .

اليهود والشيوعية والرأسمالية :

يظهر من آيات الذكر الحكيم ان انقسام اليهود الى فريقين ، وانضمام كل فريق الى حلف خطة قديمة وموروثة عن الآباء والأجداد ، ليزيدوا النار تأججاً من جهة ، ويضمنوا مصالحهم من جهة ثانية ، كما ان تقلبهم بين الخصمين من خططهم التاريخية، وعاداتهم التقليدية .. فقبل نصف قرن كانوا من دعاة الشيوعية، وهم اليوم يمالئون الرأسمالية ، ولا هدف لهم إلا تقسيم العالم ، واثارة الحروب

والفتن ، لتنفيذ سياستهم الجهنمية ، ونجاحهم في امتصاص دماء الشعوب .

ولقد آتينا موسى الكتاب الآية ٨٧ – ٨٨ :

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ ★ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ ★

المعنى :

(ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل) . أي أعطينا موسى التوراة ، ثم أرسلنا من بعده رسولاً بعد رسول .. وقيل : لم يمر زمن بين موسى وعيسى آخر انبياء بني اسرائيل الا وكان فيه نبي مرسل،أو انبياء متعددون يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر . وفي تفسير الرازي ، وأبي حيان الأندلسي ان من هؤلاء الرسل : يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشيعاء وارمياء وعزير وحزقيل واليسع ويونس وزكريا ويحيى .

(وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) . عيسى (ع) هو آخر أنبياء بني اسرائيل ، وبينه وبين موسى حوالى أربعة عشر قرناً .. والمراد بالبينات الدلائل والمعجزات التي دلت على صدقه ونبوته ، أما روح القدس فقد ذهب جمهور المفسرين الى انه جبرائيل ، ونميل نحن اذا لم يوجد نص على التعين ، نميل الى ان المراد به الروح المقدسة ، وان الله سبحانه قد وهب عيسى روحاً نقية قوية أهلته للرسالة الإلهية ، والتوسط بين الله وعباده ، وقيادتهم في طريق الخير والهداية .

(أفكلما جاء رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم) . الخطاب عام لجميع اليهود ، لأنهم أمة واحدة ، وعلى طبع واحد ، ولأن من رضي عن الظالم فقد شاركه في ظلمه .

(ففريقاً كذبتم) كعيسى ومحمد (ص) . (وفريقاً تقتلون) كزكريا ويحيى .. (وقالوا قلوبنا غلف) . أي قال اليهود للنبي : ان على قلوبنا غلافاً يمنعها من تفهم دعوتك والاستماع اليها ، فهو تماماً كهذه الآية : « وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعوننا اليه وفي آذاننا وقر » ..

جاء في بعض الروايات : « الحكمة ضالة المؤمن » . والمراد بالمؤمن هنا من يؤمن بالحق ، ويطلبه لوجه الحق .. وبديهة ان من كان كذلك يقتنع بمجرد قيام الحجة والدليل ، وعلى العكس من لا يؤمن بالحق ، ولا بالقيم،ولا بشيء إلا بذاته واهوائه وشهواته .. ولا شيء لدى هذا إلا المكابرة والعناد اذا دمغته الحجة ، وافحمه البرهان . وقد يحاول اخفاء عجزه باظهار الاستخفاف وعدم الاكتراث .. ويقول للمحق : لا أفهم ما تقول ، فأنا في شغل شاغل عنك وعن أدلتك ، وهو في قوله هذا كاذب عند الله ، وعند نفسه ، ومستحق للعن والعذاب .

(فقليلاً ما يؤمنون) . أي لم يؤمن من اليهود بمحمد (ص) إلا القليل ، مثل عبدالله بن سلام وأصحابه ، واختار صاحب مجمع البيان ان معنى « قليلاً ما يؤمنون » انه ما آمن احد منهم اطلاقاً لا قليلاً ولا كثيراً ، يقال : قلما يفعل ، بمعنى لا يفعل البتة .. والأول أصح ، لقوله تعالى : « وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً – النساء ١٥٦ » .

المصلح الصادق والمزيف الكاذب :

وينبغي الوقوف قليلاً عند قوله تعالى:أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم الخ.. ان هذه الآية الكريمة كما تضمنت التوبيخ لمن يعصي الرسل ، ويرفض الحق اذا لم يوافق هواه فانها أيضاً تتضمن التوبيخ لمن يتساهل مع الناس ، ولا يجابههم بكلمة الحق تزلفاً اليهم ، وطمعاً في المكانة عندهم .. ان المصلح الصادق يقول الحق ، ولا يخشى في الله لومة لائم ، لأن هدفه الأول والأخير هو مرضاة الله وحده ، ومن أجلها يستشهد ويضحي بالنفس ، ويقدم للأجيال مثلاً أعلى في اتباع الحق والجهر به،أما المزيف الكاذب فيستهدف مرضاة الناس لتروج بضاعته

عندهم ، قال أمير المؤمنين (ع) : لا تسخط الله برضا أحد من خلقه ، فان في الله خلفاً عن غيره ، وليس من الله خلف في غيره .

ولما جاءهم كتاب الآية ٨٩ ـ ٩١ :

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ★ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ★ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ★

المعنى :

كان يهود المدينة يستنصرون على الأوس والخزرج بمحمد (ص) قبل مبعثه ، ويقولون لهم : غداً يأتي النبي الذي وجدنا صفاته في التوراة ، ويتغلب على جميع العرب والمشركين ، وكانوا يعتقدون انه اسرائيلي ، لا عربي ، فلما بعث الله محمداً من العرب، لا من شعب اليهود استنكفوا وأخذتهم العنصرية والعصبية ، وجحدوا نبوته ، وأنكروا ما كانوا يقولونه فيه .. فقال لهم بعض الأوس والخزرج : يا معشر اليهود كنتم بالأمس تهددوننا بمحمد (ص) ، ونحن أهل الشرك وتصفونه ، وتذكرون انه المبعوث ، فها نحن آمنا به ، ونكصتم أنتم وتراجعتم ، فما عدا مما بدا ؟. فأجاب اليهود : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو

باللذي كنا نذكره لكم ، فأنزل الله سبحانه :

(ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم) . أي لما جاءهم القرآن كفروا به ، فحذف جواب لما هذه ، وهو كفروا به لدلالة جواب لما الثانية عليه ، والقرآن الذي كفروا به فيه تصديق لما تضمنته توراتهم من التبشير بمحمد (ص) .. فهم في النتيجة يكذبون بذلك من يصدقهم بل يكذبون أنفسهم بأنفسهم ،وليس هذا بغريب ولا عجيب على من يتخذ من عاطفته وذاته مقياساً للتحليل والتحريم ، والتصديق والتكذيب .. وكل من يحلل لنفسه ما يحرمه على الغير فهو من هذا النوع ، اللهم اكفنا شر الجهل بأنفسنا .

(وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) . كان اليهود قبل البعثة يستنصرون وينذرون الأوس والخزرج بمحمد (ص) ، فلما جاء انعكست الآية ، فآمن به الأوس والخزرج ، وناصروه على أعدائه ، حتى سموا الأنصار ،وكفر به اليهود ، فكان هلاكهم وتشريدهم على يد الأنصار بواسطة محمد ، وهو نفس المصير الذي كانوا يرقبونه وينذرون به الأنصار على يدهم بواسطة محمد (ص) .. وهكذا يحيق المكر السيء بأهله ، وتنزل الويلات على رأس من تمناها لغيره .

وتسأل : ولماذا انقلب اليهود ، وتحولوا من الايمان بمحمد (ص) قبل البعثة الى الكفر به بعدها ؟

الجواب : كانوا يعتقدون أنه يأتي اسرائيلياً من نسل اسحق قياساً على كثرة ما جاء من الأنبياء الاسرائيليين ، فلما رأوه عربياً من نسل اسماعيل أنكروه حسداً وتعصباً للعنصرية اليهودية .. وكل من أنكر الحق تعصباً للعرق أو لغيره فهو تماماً كهؤلاء اليهود الذين رفضوا الاعتراف بمحمد لا لشيء إلا لأنه عربي[1]

(بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله) . يستعمل القرآن الكريم كثيراً لفظ البيع والشراء والتجارة في العمل الصالح والطالح .. ذلك ان الانسان إذا آمن وعمل صالحاً فكأنه قد دفع الثمن لخلاص نفسه ونجاتها وإذا كفر وانحرف

---

[1] هذا ما ذكره المفسرون تمشياً مع ظاهر الآية ، ويأتي قريباً عند تفسير الآية ٩٦ بيان السبب الحقيقي لكفرهم بمحمد (ص) وانه المنفعة الخاصة ، والكسب عن طريق الدعارة والغش والربا ، وما إلى هذا مما حرمه الاسلام .

لمنفعة عاجلة فكأنه قد باع نفسه للشيطان بأبخس الأثمان .. واشتروا هنا بمعنى باعوا ، أي ان اليهود باعوا أنفسهم للشيطان ، وألقوا بها الى التهلكة ، ولا ثمن لنفوسهم الهالكة إلا الحسد والتعصب للجنسية اليهودية .. ولذا قال سبحانه :

(بغياً أن ينزل من فضله على من يشاء من عباده) . أي كفروا بمحمد(ص) لا لشيء إلا لأنهم يريدون أن يحصروا الوحي والفضل فيهم وحدهم، ولا يقبلون من الله،ولا من غيره إلا ما يوافق أهواءهم ومنافعهم .. فهم — اذن — يستحقون عقابين وغضبين : عقاباً على كفرهم ، وآخر على أنانيتهم وتعصبهم .

(وإذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله) . أي آمنوا بالوحي من حيث هو وحي بصرف النظر عن شخصية المبلّغ ونسبه ، لأن الرسول ما هو إلا وسيلة للتبليغ ، أما شرطكم للايمان بالوحي أن ينزل على شعب اسرائيل فقط ، واذا أنزل على غيره فلا تؤمنون به — أما هذا الشرط فيكشف عن عدم ايمانكم بالوحي كمبدأ، بالاضافة الى أنه تحكمٌ على الله وتقييد لارادته بأهوائكم ، ومعنى هذا انكم تريدون من الله أن يخضع لكم ، وتأبون الخضوع له .

(قالوا نؤمن بما انزل علينا) . وهذا اعتراف صريح بأنهم لا يؤمنون ، ولن يؤمنوا إلا بالوحي على شريطة أن ينزل عليهم ، ولا يؤمنون بما ينزل على غيرهم ، ولو قام عليه ألف دليل ودليل .

(قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) . ولا إلزام أقوى وأبلغ من الالزام بهذه الحجة .. أي قل يا محمد لليهود : أنتم كاذبون في زعمكم ودعواكم الايمان بخصوص الوحي المنزل على شعب اسرائيل ، بل انتم لا تؤمنون بالوحي اطلاقاً ، حتى بما أنزل عليكم بالخصوص ، والدليل ان الله أرسل منكم ولكم وفيكم أنبياء ، وفرض عليكم تصديقهم وطاعتهم ، ومع ذلك فريقاً كذبتم كعيسى ، وفريقاً تقتلون كزكريا ، ويحيى ، وان دل هذا على شيء فانما يدل على كذبكم ، ومناقضة أفعالكم لأقوالكم ، وتكذيب أنفسكم لأنفسكم .. وصح توجيه الخطاب بالقتل الى يهود المدينة ، ومشافهتهم به ، مع ان القاتل أسلافهم لمكان وحدة الأمة ، ومشاركة الراضي بالقتل لفاعله ، كما تقدم .

لليهود أشباه ونظائر :

أنكر اليهود محمداً (ص) لأنه غير اسرائيلي ، وأيضاً أنكره أبو سفيان، وقاد الجيوش لحربه ، لأنه يأبى أن تفوز هاشم بشرف النبوة دون أمية ، وأنكرت قريش خلافة علي أمير المؤمنين (ع) لأنها كرهت ان تجتمع النبوة والخلافة في بيت هاشم،ويثقل على بعض الأعاجم ان المرجع الديني الأول من العرب ، كما يثقل على بعض العرب أن يكون من الأعاجم .. بل اني أعرف أفراداً لو خيّروا بين أن تهتدي الألوف الى دين الحق عن طريق غيرهم ، وبين أن تبقى على ضلالها لاختاروا الضلالة على الهدى ، والكفر على الايمان .. وأيضاً لو خيّروا بين أن يسمعوا الثناء على يزيد بن معاوية ، وبين أن يسمعوا الثناء عن واحد من صنفهم لفضّلوا ألف مرة الأول على الثاني .. ومن أجل هذا يبحث الواحد منهم جاهداً ليجد عيباً لأخيه ، فان وجد خردلة اذاعها جبلاً ، وان لم يجد اخترع وافترى .

ان من يُكبر الفضيلة كمبدأ يكبرها أينما كانت وتكون ، وعن أي طريق تحققت ، ويراها في غيره ، تماماً كما يراها في نفسه ، بل يعمل ويكافح من أجل بثها وانتشارها ، أما من يدعيها لنفسه ، وينكرها في غيره فانه يستعمل نفس الاسلوب الذي استعمله اليهود عناداً لله وأنبيائه ورسله .

ولقد جاءكم موسى بالبينات الآية ٩٢ – ٩٦ :

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ★ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ★ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ★ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ★ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ★

المعنى :

هذه الآيات واضحة الدلالة ، ظاهرة المعنى ، وأيضاً فيها تكرار لما سبق ، ولذا نكتفي بذكر المعنى العام لها .

أمر الله نبيه أن يجادل المخالفين بالحسنى : ومعنى الجدال بالحسنى مخاطبة القلب والعقل ، وكل حجاج القرآن من هذا النوع .. فلقد دعا الجاحدين الى التفكر في أنفسهم ، وفي خلق السموات والأرض ، وقال لمن نسب السيد المسيح الى الألوهية : انه وامه كانا يأكلان الطعام،وخاطب قلوب اليهود بهذه الآيات ، حيث ذكرتهم بنعمة الله عليهم بالتوراة ، فيها الهدى والنور، كما ذكرتهم آيات سابقة بخلاصهم وتحررهم من فرعون ، وما الى ذاك ، ثم وبخهم الله بعبادة العجل كفراً وجحوداً لنعمته،وكرر ذكر رفع الجبل فوقهم لتمردهم وعصيانهم ، وكذب بمنطق العقل دعواهم انهم أبناء الله وأحباؤه ، وان الجنة خالصة لهم لا يدخلها أحد غيرهم ، وأمرهم – ان كانوا صادقين – بتمني الموت ، لأن من اعتقد انه للجنة قطعاً آثر الموت المريح على حياة البلاء والشقاء .

ثم أخبر القرآن ان اليهود أشد الناس حرصاً على حياة الدنيا ، بل هم أحرص عليها من الذين لا يؤمنون بجنة ولا نار ، بل ان الواحد منهم يتمنى لو عاش ألف سنة ، ولكن تعميره لا يجديه شيئاً ، ولا ينجيه من العذاب .. والغرض من الجدال بهذا المنطق العقلي السليم هو الزام اليهود الحجة بأنهم كاذبون في دعواهم الايمان بالتوراة ، وفي زعمهم بأنهم شعب الله المختار .

قال الشيخ المراغي في تفسيره: « جاء في الأخبار ان عبدالله بن رواحة كان ينشد وهو يقاتل الروم :

يا حبذا الجنة واقترابها   طيبة باردة شرابهـا

وان عمار بن ياسر في حرب صفين قال :

غداً نلقى الأحبه   محمداً وصحبـه

فان لم يتمن اليهود الموت فما هم بصادقي الايمان ، وهذه حجة تنطبق على الناس عامة ، فيجب على المسلمين أن يجعلوها ميزاناً يزنون بها دعواهم اليقين بالايمان ، والقيام بحقوق الله ، فان ارتاحت نفوسهم لبذل أرواحهم في سبيل الله كانوا مؤمنين حقاً ، وان ضنوا بها اذا جد الجد ودعا الداعي كانوا بعكس ما يدعون » .

المصلحة هي السبب لا الجنسية :

ونحن لا نشك أبداً بأن مسألة تكذيب اليهود لمحمد (ص) ليست مسألة ايمانهم بخصوص ما يتنزل عليهم من الوحي تعصباً لجنسيتهم ، كلا ، والف كلا .. ان الدافع الوحيد للتكذيب هو مصالحهم الشخصية ، ومنافعهم المادية ، انهم يعيشون على الغش والربا والدعارة ، ومحمد (ص) يحرم ذلك ، فكيف يؤمنون به ؟. والدليل انهم كفروا بتوراتهم ، وقتلوا أنبياءهم ، ولا سبب الا حرصهم على المنفعة الذاتية ، وكل من حرص على منفعته لا يجدي معه جدال بالحسنى ، وفي قوله تعالى : « ولتجدنهم أحرص الناس على حياة » اشعار بهذه الحقيقة . وما عدا هذه الآية الكريمة من المحاجة انما جرت معهم مجرى النقاش ، والالزام بالحجة ، تماماً كما تقول : لو سلمنا جدلاً .

شعار اسرائيل سمعنا وعصينا :

(ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون) . تحدث القرآن عن غرائب بني اسرائيل ، وكرر الحديث عنها وعنهم ، تحدث

عن خصائصهم وشعارهم ، وعما اختلفوا فيه على عهد موسى وبعده ، ويتلخص شعارهم الذي يدينون به ولا يحيدون عنه ، يتلخص بقولهم : « سمعنا وعصينا» ، كما جاء في الآية ٩٤ من سورة البقرة والآية ٤٥ من سورة النساء . أي سمعنا من الله وأنبيائه وعصينا الله والأنبياء ، وقد التزموا هذا الشعار في عهد موسى نفسه حتى شكاهم إلى ربه ، ووصفهم بالفاسقين ، وهو يقول بحسرة ولوعة : « رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين — ٢٥ المائدة » ، وفي آية ثانية وصفهم بالسفهاء : « قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا — ١٥٥ الأعراف » . وما زالوا على هذا الشعار والمبدأ إلى يومنا هذا ، ففي سنة ١٩٦٧ قررت هيئة الأمم المتحدة التي تمثل شعوب الأرض شرقها وغربها ، قررت انسحاب اسرائيل من القدس ، فما كان جواب مندوبها إلا أن قال : « الأمم المتحدة تنكة زبالة » كما نشرت الصحف .

قل من كان عدواً لجبريل الآية ٩٧ — ١٠٠ :

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ على قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ★ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ★ وَلَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِها إِلَّا الْفَاسِقُونَ ★ أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ★

المعنى :

(قل من كان عدواً لجبريل) .. أي فهو كافر عليه لعنة الله .. وأجمع أهل التفسير على ان سبب نزول هذه الآية ان اليهود سألوا النبي (ص) عن الملك الذي ينزل عليه بالوحي ؟. فقال : هو جبريل . قالوا : ذاك عدونا ،

لأنه ينزل بالشدة والحروب ، وميكال بالسلام والرخاء ، ولو كان ميكـال هو الذي يأتيك بالوحي لآمنا بك .

لقد جعلوا النزاع في ظاهره أولاً حول شخصية محمد (ص) ، وانهم يريدون نزول الوحي على واحد من شعب اسرائيل ، لا من شعب العرب – كما زعموا – ولما ألزمهم الله ونبيه بالحجة حوّلوا النزاع الى شخص جبريل ، لا محمـد .. والحقيقة – كما قدمنا – انه لا نزاع على محمد وجبريل ،ولا عرب وعروبة ، ولا يهود ويهودية ، لا شيء أبداً الا مصالحهم الذاتية .. الا الدعارة والخمر والربا والاحتكار .. ولكنهم ينافقون ، ويتستّرون بالأكاذيب والأباطيل .

ومن باب النقاش والإلزام بالحجة قال سبحانه : (فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقاً لما بين يديه) . أي ان عداوتـكم لجبريل لا وجه لها ، لأنه مجـرد أداة وواسطة لتبليغ الوحي من الله الى محمد .. وهذا الوحي يشتمل على تصديق ما تضمنته توراتـكم من صفات محمد وعلامات نبوته ، وفي الوقت نفسه هو هدى وبشرى للمؤمنين ، وعليه يكون معنى عدائـكم لجبريل عداء لله وللوحي وللتوراة، ولهدى الله لخلقه ، وبشراه للمؤمنين .

(ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بهـا الا الفاسقون) . أي ان ما أتى به محمد (ص) لا يقبل الشك بعد ان اقترن بالحجج والبراهين ، ولا ينكره الا كافر بالله ، معاند للحق . والمراد بالفسق هنا فسق العقائد ، أي الكفر ، لا فسق الأفعال الذي يجتمع مع الايمان .

(أو كلما عاهدوا عهـداً نبذه فريق منهم) . والعهود التي نبذها ونقضها اليهود كثيرة : منها الايمان بمحمد ، ومنها عدم اعانة المشركين عليه ، ومنها تصديق الأنبياء وعـدم قتلهم ، ومنهـا ان لا يعبدوا الا الله ، وغير ذلك .. فكذّبوا محمداً ، وأعانوا عليه أهل الشرك أعداءه وأعداءهم،وكذّبوا الأنبياء ، وصلبوا السيد المسيح ، وعبدوا العجل ، وفعلوا الأفاعيل .

واتبعوا ما تتلو الشياطين الآية ١٠٢ :

وَاتَّبَعُوا ما تَتْلُو الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ وَما كَفَرَ سُلَيْمانُ وَلَكِنَّ

الشَّياطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَما أُنْزِلَ عَلى المَلَكَيْنِ بِبابِلَ هَارُوتَ وَمارُوتَ وَما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمونَ مِنْهُما ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ المَرْءِ وَزَوْجِهِ وَما هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ ما يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ ما شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كانُوا يَعْلَمونَ ★

المعنى :

تكلم المفسرون هنا وأطالوا ، ولا مستند لأكثرهم سوى الاسرائيليات التي لا يقرها عقل ولا نقل،وسوّد الرازي حوالى عشرين صفحة في تفسير هذه الآية ، فزادها غموضاً وتعقيداً ، ونفس الشيء فعل صاحب مجمع البيان ، أما السيد قطب فأخذ يشرح التنويم المغناطيسي ، والأحلام ، والتأثير والانفعالات بالايحاء وما اليه ، وهذا هو الهروب بعينه . وبقيت أمداً غير قصير أبحث وأنقب في الكتب والتفاسير ، فما شفى غليلي شيء منها ، حتى تفسير الشيخ محمد عبده وتلميذيه المراغي وصاحب المنار ، وخير ما قرأته في هذا الباب ما جاء في كتاب « النواة في حقل الحياة » للسيد العبيدي مفتي الموصل ، لأنه قد اعتمد على قول جماعة من علماء الآثار ، وهذا ما قاله بالحرف :

« ما زلت أجهل معنى الآية الكريمة ، لا يشفي غليلي فيها مفسر،حتى وقفت على تاريخ جمعية البنائين ، فتبينت معناها . وحيث اضطربت كلمة المفسرين ، حتى عرضوا الآية للجمع بين النقيضين ، وحتى دخلها شيء من الأساطير التي تنبو عنها مغازي الشريعة الغراء رأيت من واجب الخدمة لكتاب الله أن أثبت هنا كلمة في ذلك :

« لما عظم ملك سليمان (ع) استراب ملك بابل الطامع في سورية وفلسطين ، وحل منه الجزع محل الطمع ، فأوفد الى بيت المقدس رجلين من دهاة بطانته ،

يبثان من التعاليم ما عسى أن يفسد على سليمان ملكه ، فاعتنقا اليهودية ، وأظهرا الزهد باسم الدين ، فالتف من حولهما الناس ، كما هو شأن العامة ، واستهويا الرأي العام ، فشرعا يفسدان الأفكار ، ويوغران الصدور على سليمان ، حتى رمياه بالكفر ، فكان هذا الرجلان بظاهر حالهما من الزهد والتقشف كملكين — بفتح اللام — ، ولكنهما في الواقع شيطانان ، وكانت تعاليمهما كالسحر بما يعضدها من حسن البيان ، وطالما استعمل لفظ الملك في الرجل الصالح ، ولفظ الشيطان في الرجل الطالح، ولفظ السحر في العبارة الفاتنة .. من ذلك قوله تعالى عن يوسف حكاية عن صويحباته : « ان هذا الا ملك كريم ..» وقوله سبحانه: « شياطين الأنس والجن يوحي بعضهم لبعض زخرف القول غروراً » .. وقوله حكاية عن الوليد : « ان هذا إلا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر » .. وفي الحديث : « ان من البيان لسحراً » .

« وقد أنبأنا التاريخ بما كان من شأن بختنصر ملك بابل من غزوه فلسطين بعد سليمان ، وتخريبه بيت المقدس ، ونرى القرآن يؤيد حوادث التاريخ بقوله في سورة الاسراء : « وقضينا الى بني اسرائيل لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً » .

« اذا عرفت هذا فنقول : ان الضمير في قوله تعالى : (واتبعوا) عائد الى يهود المدينة الذين تقدمت هذه الآية اثنتان وستون آية متتابعة في حقهم .. ومتى عرفت هذا ، ثم تدبرت الآيات المتصلة بآية سليمان ، ووقفت وقفة تدقيق وامعان عند قوله : (على ملك سليمان) وما اكتنفها من مضامين ودلالات علمتَ ان معنى الآية الكريمة ان يهود الحجاز كانوا يكيدون للنبي العربي بالمكائد والدسائس المقنّعة، والدعاية المزوقة اقتداء بالمارقين من أسلافهم الذين أعانوا رسل بابل في تقويض ملك سليمان » .

الايضاح :

ونفسر الآية على أساس فهم العبيدي لها : (واتبعوا) . أي اتبع يهود

المدينة الذين كانوا على عهد محمد (ص) . (ما تتلو الشياطين). المراد بالشياطين المشعوذون ، ومنهم الرجلان البابليان اللذان ظهرا بمظهر القداسة ، وهما في الواقع من الأبالسة . (على ملك سليمان) . أي ان يهود المدينـة استعملوا الدسائس والمكائد ، ضد محمد ، تماماً كما استعمل ذلك أسلافهم اليهود ضد ملك سليمان .

(وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) . أي كل ما كانوا ينسبونه الى سليمان فهو بريء منه ، وانما هو من عنـد الدساسين واختراعاتهم . (يعلمون الناس السحر) . أي يلقنون الناس الأشياء الباطلة الكاذبة . (وما أنزل عـلى الملكين) . أي الرجلين اللذين هما من بابل وتظاهرا بالقداسة والتقوى .. وليس المراد من الانزال الوحي من الله ، كالوحي للأنبياء ، بل مجرد الالهام أو التعلم ، وما اليه . (وما يعلمان من أحد ، حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر). كانوا يقولون ذلك دجلاً ونفاقاً ، ليوهموا الناس ان علومهـم إلهية ، وان صناعتهم روحانية ، وانهم صحيحو النية ، تماماً كما يقول الدجال لمن يعلمه كتابة البغض والمحبة : اياك أن تكتب هذا لتفريق الزوجين الشرعيين ، أو لمحبة امرأة متزوجة بغير زوجها .

(فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه) . أي ما يحسبون انه يفرق بين المرء وزوجه على نحو ما يأخذ الانسان من الدجال كتابة الحب والبغض معتقداً الصدق والتأثير .. وتجمل الاشارة الى ان الآية لا تدل على ثبوت التأثير ولا نفيه، لأن قوله : (يتعلمون ما يفرقون به) ليس حكماً جازماً بتحقق التفريق بين الزوجين على كل حال،بل معناه يتعلمون ما وضع لأجل التفريق بين الزوجين ، تماماً كقولك شرب الشفاء ، أي ما وضع لأجل الشفاء .. واختصاراً ان الآية من حيث ترتب الاثر مجملة سلباً وايجاباً . وكثيراً ما تقتضي الحكمة الإلهيـة البيان من جهة ، والاجمال من جهة ، بخاصة في غير العقائد .

(وما هم بضارين من أحد الا باذن الله) . أي لا يستطيعون اضرار واحد من الناس أياً كان بسبب القراءة والكتابة،فاذا تضرر فانما ذلك من باب الصدفة والاتفاق مع سبب من الأسباب الخارجية ، فالمراد باذن الله السبب الخارجي الذي يترتب عليه الضرر .

(ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) . لأنه مجرد شعوذة ، والشعوذة تضر ولا تنفع . (ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق) . أي انهم عالمون بأن من اختار الشعوذة على الحق لا نصيب له عند الله . (ولبئس ما اشتروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) . أي انهم قد استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير ، ومر تفسيره في الآية ٦١ .

ولو انهم آمنوا الآية ١٠٣ :

وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ★

المعنى :

بعد ان عدّد الله مساوىء اليهود ، ودسائسهم ضد محمد (ص) قال : ما كان أغناهم عن هذا الكفر والجحود ، ولو آمنوا بمحمد كما أمرتهم التوراة لاراحوا واستراحوا ، ونالوا عند الله الدرجات العلى ، قال أمير المؤمنين (ع) : ان التقوى دار حصن عزيز ، والفجور دار حصن ذليل ، لا يمنع أهله ، ولا يحرز من لجأ اليه ، ألا وبالتقوى تقطع حمة الخطايا ، وباليقين تدرك الغاية القصوى.

ام تريدون ان تسألوا رسولكم الآية ١٠٨ – ١٠٩ :

أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ★ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ★

المعنى :

(أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى) . بعد ان قال الله سبحانه للمؤمنين : لا تبالوا باعتراض من اعترض على النسخ وغيره من أحكام دينكم ؛ لأن الأمور كلها بيده ، ويختار منها الأصلح لكم ولغيركم ، بعد هذا قال لهم: مـاذا تبتغون من رسولكم محمد (ص) ، وقد جاءكم بالبراهين الكافية الوافية ؟ أتريدون أن تتعنتوا كما فعل اليهود مع موسى ، وسألوه ما لا يجوز سؤاله ؟.. ان الانسان قد يشك ، ويطلب الدليل المقنع الذي يزيل الشك ، اما ان يطلب جعل الجبل ذهباً ، والصحراء الجرداء رياضاً فهذا مجرد معاندة ومكابرة ، فلا تكونوا أيها المسلمون من المكابرين المعاندين .

(ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل) . ان كل من يقف من الحق موقفاً مجرداً ، ويطلب الدليل المعقول على اثباته فهو مؤمن بالحق، كمبدأ، وكل من يقف من الحق موقف المكابر المتعنت ، ويطلب فوق المعقول ، وأكثر مما يستدعيه الاستدلال والاثبات فهو كافر بالحق .. ومن لم يثق بما جاء به محمد (ص) ، وطلب الزيادة فقد اختار العناد على الانصاف، والكفر على الايمان .

(ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم) . كل انسان يود أن يكون الناس ، كل الناس على دينه ، قال أحد الفلاسفة : ان أسعد يوم عندي أن أرى من يوافقني على رأيي .. ولكن جماعة من اليهود كانوا يبذلون جهوداً كبيرة لفتنة المسلمين ، وارتدادهم عن دينهم الى الجاهلية الأولى ، لا لشيء إلا بغياً وحسداً ، مع العلم انهم يستطيعون الاسلام كما فعل غيرهم ، ولكنهم خافوا على أسواقهم وأرباحهم من الخمر والميسر والدعارة .

وقد استغل اليهود انكسار المسلمين يوم أحُد للدس على النبي ، فقد جاء في الأخبار انهم بعد وقعة أحد كانوا يدعون شباب المسلمين الى بيوتهم ، ويقدمون لهم الخمر ، ويغرونهم ببناتهم ، كما يفعلون اليوم ، وفي كل يوم ، ثم يشككون المسلمين بالقرآن ونبوة الرسول الأعظم (ص) . وأحس النبي بهذا التدبير الرهيب، فنهى عن مجالس اللهو ، وشدد النكير على من يتعاطى الزنا والخمر والميسر ولحم

الخنزير ، فامتنع المسلمون عن الذهاب الى بيوت اليهود التي فتحوها لهذه الغاية.. وهي المسماة اليوم بالبار والكازينو .

(من بعد ما تبين لهم الحق) . أي ان اليهود قد حاولوا ارجاع المسلمين الى الكفر والضلال على علم منهم ان الاسلام هو الحق ، وان الشرك وانكار نبوة محمد هو الباطل ، ولا يختص هذا باليهود ، فان أكثر الناس تجحد الحق وتعانده ، لا لشيء الا لأنه لا يتفق مع مطامعهم ، فان الانسان مسير بوحي من عاطفته ومنافعه ، لا بوحي من دينه وعقله ، قال أمير المؤمنين (ع) : أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع .

وقالوا لن يدخل الجنة الآية ١١١ - ١١٣ :

وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ ★ بَلىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ★ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارىٰ عَلىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّٰهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ★

المعنى :

(وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هوداً أو نصارى) . قال صاحب مجمع البيان : « هذا ايجاز ، وتقدير الكلام قالت اليهود : لن يدخل الجنة الا من كان يهودياً ، وقالت النصارى : لن يدخل الجنة الا من كان نصرانياً .. وانما قلنا : ان الكلام مقدر هذا التقدير ، لأن من المعلوم ان اليهود لا يشهدون للنصارى بالجنة ، ولا النصارى يشهدون بذلك لليهود ، فعلمنا انه أدرج الخبر

عنهما للايجاز من غير اخلال شيء من المعنى ، فان شهرة الحال تغني عن البيان المفصل » .

احتكار الجنة :

يظهر من هذه الآية الكريمة ان اليهود والنصارى يؤمنون بنظرية الاحتكار منذ القديم ، وانها عندهم تشمل نعيم الدنيا والآخرة .. وأيضاً يظهر ان احتكار الجنة مختص برجال الدين ، وعلى هذا الأساس كانت الكنيسة تبيع صكوك الغفران للعصاة والآثمين بعد أن تقبض الثمن ، وقد كسبت بذلك أموالاً طائلة ، ولكن على حساب تشجيع الجرائم ، وانتشار الفساد .. ومما كانت تكتبه الكنيسة للعاصي في صك الغفران انه: « يغلق أمامك — الخطاب للعاصي — الباب الذي يدخل منه الخطاة الى العذاب والعقاب ، ويفتح الباب الذي يؤدي الى فردوس الفرح ، وان عُمِّرتَ سنين طويلة فهذه النعمة تبقى غير متغيرة ، حتى تأتي ساعتك الأخيرة باسم الآب والابن وروح القدس » .

(تلك أمانيهم) جمع الأماني ، لأنها كثيرة ، منها أمنيتهم أن يرجع المسلمون كفاراً ، ومنها ان يعاقب أعداؤهم ، ومنها ان الجنة لهم وحدهم .

(قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) . كل دعوى تحتاج الى دليل ، وأيضاً كل دليل نظري يحتاج الى دليل ، حتى ينتهي الى أصل عام ثبت بالبديهة والوجدان ، ومعنى ثبوته كذلك أن يتفق على صحته جميع العقلاء ، ولا يختلف فيه اثنان ، تماماً كهذا الأصل : « كل دعوى تحتاج الى دليل » .. اللهم الا اذا كانت الدعوى بديهية ، على ان الدعوى البديهية لا يسمى القائل بها مدعياً ، لأن الدعوى مأخوذ في مفهومها الافتقار الى الدليل ، أما القضية الواضحة بذاتها فدليلها معها ، وملازم لها لا ينفك عنها بحال ، والا لم تكن بديهية .. واختصاراً لا يسوغ أن تقول : أين الدليل لمن قال : العشرة أكثر من الواحد — مثلاً — .

وجاء في تفسير المنار عند ذكر هذه الآية ما يتلخص بأن السلف الصالح من المسلمين كانوا يسيرون على هذا الأصل ، فيقيمون الدليل على ما يقولون ، ويطلبونه من الناس على ما يدعون ، ولكن الخلف الطالح — على حد تعبير

صاحب التفسير ، عكسوا الآية ، فأوجبوا التقليد ، وحرّموا الاستدلال إلا على صحة التقليد فقط ، ومنعوا العمل بقول الله ورسوله ، وأوجبوا العمل بقال فلان، وقال علان » . كما عبر صاحب تفسير المنار .

(بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه) . هذا تكذيب لدعواهم بأن الجنة لهم وحدهم دون الناس أجمعين ، والمراد بالوجه في الآية النفس والذات ، قال تعالى : « كل شيء هالك إلا وجهه » . والمعنى ان كل من آمن بالله مخلصاً له في أعماله اخلاصاً لا يشوبه شرك ولا رياء فهو من المكرمين عند الله ، لأنه لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، أما قوله سبحانه: «وهو محسن» فاشارة الى أن التقرب الى الله انما يكون بالعمل الصالح ، لا بالأعمال القبيحة الضارة ، لأن الله سبحانه لا يطاع من حيث يُعصى .

(وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) . قال صاحب مجمع البيان نقلاً عن ابن عباس ان نصارى نجران تنازعوا مع اليهود عند رسول الله (ص) ، فقال رجل من اليهود للنصارى : ما أنتم على شيء ، فأجابه رجل من النصارى : ليست اليهود على شيء ، فنزلت هذه الآية، تسجّل قول كل من الفريقين في حق الآخر .

الدين المصلحة عند اليهود والنصارى :

وبالمناسبة ، فان المعروف عن الدين المسيحي انه ينص صراحة على ان اليهود وأولادهم من بعدهم يتحملون مسؤولية صلب « الإلـه » .. ومع ذلك فان بابا روما بذل جهد المستميت عام ١٩٦٥ لتبرئة يهود الجيل الحالي والأجيال السابقة من تبعة صلب المسيح ، وعقد من أجل ذلك أربعة مؤتمرات ، واصطدم مع الكنيسة الشرقية ، وبلغت تكاليف المؤتمرات ٢٠ مليون دولار ، والهدف الأول والأخير سياسي بحت،وهو تقوية «دولةاسرائيل» ،وتدعيم مركزها في فلسطين ، وسياستها في العالم .. وعلى الأصح تقوية الاستعمار ، وتدعيم قواعده في الشرق بعامة ، والبلاد العربية بخاصة .. وان دل هذا على شيء فانما يدل على أن الدين عند بعضهم ، منافع مادية ، وكفى .

وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مالَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ★

(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) . قال صاحب مجمع البيان :

« سأل اليهود والنصارى محمداً (ص) ان يهادنهم ، وأظهروا له انه اذا هادنهم وأمهلهم اتبعوه وآمنوا به فآيسه الله منهم ومن موافقتهم . وهذا يدل على انه لا يصح ارضاء اليهود والنصارى بحال من الأحوال ، لأنه تعالى علق رضاهم بأن يصير يهودياً أو نصرانياً ، واذا استحال ذلك استحال ارضاؤهم » .

والحقيقة ان أكثر أهل الأديان والأحزاب على هذه النزعة ، ولا خصوصية لليهود والنصارى في ذلك ، بل ان بعض الناس لا يرضى عنك الا اذا جعلت من نفسك عبداً له ، وقد استنكر القرآن الكريم هذه النزعة البغيضة ، ودعا الى التعايش الديني مع جميع أهل الأديان ، وقدس جميع الرسل والأنبياء، وذكرهم بكل خير ، وأوجب على أتباعه الاعتراف بهم والايمان بنبوتهم، وهذا من أقوى البواعث للتآخي بين أهل الملل والنحل ، وتعاون بعضهم مع بعض .

وعلى أية حال ، فان الله خص اليهود والنصارى بالذكر ، كي ييأس النبي ويقنط من متابعتهم له ، كما قال صاحب المجمع .

(قل ان هدى الله هو الهدى) . قدمنا عند تفسير الآية ٢٦ : « يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً » فقرة « الهدى والضلال » ان الهدى يطلق على معانٍ : منها بيان الحق ، ومنها التوفيق الى الهداية وعمل الخير ، ومنها الثواب الخ .. والمراد بالهدى هنا الاسلام الذي أوحاه الله الى نبيه محمد (ص) ، وما عداه هوى ، لا هدى .. والمعنى قل يا محمد لليهود والنصارى : ان ما أنا عليه هو الحق ، وما أنتم عليه باطل وضلالة ، فكيف أترك الحق ، واتبع الضلال ؟.

أعداء الدين والمبدأ :

أخبر الله جل وعز نبيه الكريم بأن اليهود والنصارى لن يرضوا عنه ، حتى يتبع ملتهم ، ومع علمه سبحانه بعصمة نبيه محمد (ص)،وانه لن يتبع أهواءهم بحال فقد وجه اليه هذا التحذير : (ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير) .

وذكر المفسرون لصحة هذا النهي والتحذير وجهين : **الأول** ان المعصية ممكنة الصدور من النبي ذاتاً ، ممتنعة عرضاً ، أي انه يترك المعصية مع قدرته على فعلها ، والا لم يكن له فضل في تركها ، وجاء النهي والتحذير بالنظر الى ما هو ممكن بالذات ، بغض النظر عما هو ممتنع بالعرَض ، أي بلحاظ العصمة .

الوجه الثاني : ان الخطاب هنا من باب « اياك أعني واسمعي يا جارة » . أي هو موجه للنبي في الظاهر ، وللناس في الواقع .

وقد تصورت وجهاً ثالثاً : وهو ان النبي ربما دار في خلده أن يتقرب من اليهود إلى حد ما .. عسى أن يهتدوا ، أو يستعين بهم على ما يبتغيه من الخير ، أو يخفف من غلوائهم ، ويكف بعض شرورهم .. فبين الله له ان اعداء الدين والمبدأ لا يرضيهم منك شيئاً إلا أن تترك ما أنت عليه من الحق ، وتتبع ما هم عليه من ضلال .. ثم نهاه عن مهادنتهم والتقرب منهم ، لأن ذلك يساعدهم ، ويشد من عضدهم من حيث لا يريد .. وهذه التقوية والمساندة محرمة عليك يا محمد ، وعلى غيرك ، تماماً كما يحرم اتباع دينهم .. هذا ، الى أن اليهود قد جُبلوا على الشر والفساد ، ومعاندة الحق وأهله ، والاساءة إلى من أحسن اليهم ، ولا تجدي معهم أية محاولة للسلم ، وكف الأذى .. وخير الأجوبة ان لله أن يأمر وينهى المعصوم كما يأمر وينهى غير المعصوم،بالنظر لجلاله سبحانه ، وإذا كان من فرق بين المعصوم وغيره فهو بالنسبة الى غيره تعالى لا بالنسبة اليه.

ثم ان هذا النهي والتحذير يدمغ من يتملق لأعداء الدين والوطن متذرعاً انه يريد استغلالهم لمصلحة المؤمنين .. ولكن العكس هو الصحيح فان عدو الدين والمبدأوالوطن لا يسالم إلا على أساس التجارة والمساومة،وان يكون هو الرابح دائماً وشعاره الوحيد خذ ولا تعطِ ، فان لم تستطع فخذ أكثر مما تعطي .. ولقد بين

الله جل وعز حقيقة هؤلاء التجار بأوضح بيان وأبلغه ، حيث قال : « ولتجدنهم أحرص الناس على حياة – ٩٦ البقرة » .

وقالوا كونوا هوداً أو نصارى الآية ١٣٥ – ١٣٨ :

وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ★ قُولُوا آمَنَّا باللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ★ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ★ صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ★

المعنى :

(وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا) . الضمير في قالوا يعود الى أهل الكتاب ، والمعنى قال اليهود ، كونوا يهوداً تهتدوا ، لأن الهداية بزعمهم تنحصر بهم وحدهم ، وقال النصارى مثل قول اليهود. وقال الله لنبيه الأكرم محمد (ص) : (قل بل ملة ابراهيم) ، أي لا نتبع اليهودية ، ولا النصرانية ، بل نتبع ملة ابراهيم . وقد ذكرنا في تفسير الآية ١١١ – ١١٣ ما يلقي ضوءاً على هذه الادعاءات وما اليها .

ورُبَّ قائل يقول : اليهود قالوا : نحن المحقون فقط ، والنصارى قالوا : بل نحن فقط .. ومحمد (ص) قال : بل ابراهيم هو المحق لا اليهود ولا النصارى . وكل هذه الأقوال مصادرات وادعاءات بظاهرها ، واذا صح لليهود

والنصارى أن يستعملوا هذا النحو من المنطق الباطل ، فانه لا يصح نسبة مثله الى الله ورسوله ، فما هو الوجه ؟.

الجواب : ان الغرض من قوله : (بل ملة ابراهيم) هو النقض على اليهود وافحامهم ، لا اثبات الحقيقة بالذات ، ويجوز للانسان أن ينقض على خصمه بشيء لم يكن حجة في نفسه ، بل حجة عند الخصم فقط ، أو ينقض عليه بمثل ما هو حجة عنده ، كالنقض على النصارى بآدم الذي لا أب له ، حيث قالوا: المسيح رب ، لأنه من غير أب ، فينقض عليهم بأن آدم من غير أب ، فينبغي أن يكون رباً أيضاً ، مع انكم تنفون عنه الربوبية .. ويسمى هذا النوع من المنطق بالمنطق الجدلي ، ووجه النقض على اليهود والنصارى ، وافحامهم فيما نحن فيه :

ان اليهود والنصارى مختلفون ديناً وعقيدة ، وكل طائفة تكفّر الأخرى،وهم في الوقت نفسه متفقون على صحة دين ابراهيم ، وبديهة ان ابراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ، بل كان (حنيفاً — أي موحداً — وما كان من المشركين) . أي لم يكن ابراهيم يهودياً ، لأنه لم يقل : عزير ابن الله ، ولا جعل لله شبيهاً كما زعم اليهود بأن الله شيخ أبيض الرأس واللحية ، ولم يكن نصرانياً ، لأنه لم يقل المسيح ابن الله، لأن ذلك هو الشرك واقعاً .. وما دام كل من اليهود والنصارى يعترفون بدين ابراهيم فيلزمهم أن يكونوا موحدين،بل ويحجوا أيضاً الى بيت الله الحرام ، تماماً كما كان يعتقد ويفعل ابراهيم ، وكما اعتقد وفعل محمد ، مع العلم بأنهم لم يوحدوا ولم يحجوا ، فاذن هم كاذبون بنسبتهم الى دين ابراهيم ، ومحمد (ص) هو الصادق الأمين على دين الله ، وملة ابراهيم .

وبتعبير ثانٍ ان الأخذ بالمتفق عليه،وهو دين التوحيد الذي كان عليه ابراهيم، وعليه الآن محمدٌ أولى من الأخذ بالمختلف فيه ، وهو اليهودية المشبهة،والنصرانية المثلثة .

(قولوا آمنا بالله) . الخطاب للمسلمين . (وما انزل الينا) . وهو القرآن . (وما انزل الى ابراهيم) . وهي صحف إبراهيم،وقيل : انها عشر . (واسماعيل وإسحق) . هما ولدا ابراهيم ، واسماعيل أكبر من اسحق ، وأمه هاجر ، وأم اسحق سارة . ويعقوب ، ابن اسحق ، والصحف لم تنزل اليهم جميعاً ، وانما

انزلت الى ابراهيم فقط ، ولكن صحّت نسبة الانزال الى الجميع بالنظر الى أنهم متعبدون بها ، وداعون اليها ، تماماً كما يصح لنا نحن المسلمين أن نقول : انزل القرآن الينا ، لأننا نؤمن ونعمل به ، وندعو اليه .

(والاسباط) . هم حفدة يعقوب من أبنائه الاثني عشر ، وهم بمنزلة القبائل العربية من ذرية اسماعيــل ، وفي الأسباط أنبياء كثيرون كداود ، وسليمان ، ويحيى ، وزكريا ، وأيضاً فيهم المؤمنون الذين تعبدوا بصحف ابراهيم (ع) .

(وما أوتي موسى وعيسى) . التوراة والانجيل ، (وما أوتي النبيون من ربهم). كالزبور المنزلة على داود ، (لا نفرق بين أحد منهم) . أي نؤمن بالجميع ، سواء من كان له كتاب يؤثر ، أو لم يكن ، ولسنا كاليهـود والنصارى الذين آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض ، بل الجميع عندنا سواء ، من حيث الاعتراف بنبوتهم .. وبديهة ان الايمان بجميع الأنبياء انما يجب بنحو الاجمال ، ولسنا مكلفين بالتفاصيل إلا بعد البيان من كتاب أو سنة .

(ونحن له مسلمون) . أي معترفون له بالوحدانية ، ومخلصون في العبودية .

(فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) . أي فان آمنوا ايماناً صحيحاً ، وهو التوحيد الخالص من شوائب الشرك ، واعترفوا بجميع الأنبياء بما فيهم محمد، تماماً كما آمن المسلمون بجميع الأنبياء دون استثناء فعندها يكونون مهتدين .. وليس المراد أن يؤمنوا بدين مثل دين الاسلام ، إذ لا مثيل للاسلام اطلاقاً .

(وان تولوا فانما هم في شقاق) . كل من عاند الحق فقد شق العصا ، وبدد الشمل . (فسيكفيكهم الله) إذ لا يحيق المكر السيء إلا بأهله .

والكلمة الجامعة باختصار لكل ما قدمنـاه هي ان الاسلام يرفض التعصب ، ويدعو للتعاون على أساس الخير والعدل ، ويعترف بالحـق أينما كان ويكون ، ويدعو أتباعه أن يفتحوا قلوبهم للناس ، كل الناس في مودة واخلاص .

(صبغة الله) وهي دين الحق الذي يطهّر القلوب والعقول من الأقذار والأكدار، لا الغمس بالماء الأصفر ، كما تفعل النصارى ، ولا غير ذلك . قال محيي الدين ابن عربي في تفسيره :

« ان كل ذي اعتقاد ومذهب باطنه مصبوغ بصبغ اعتقاده ، ودينه ومذهبه، فالمتعبدون بالملل المتفرقة مصبوغون بصبغ نيتهم،والمتمذهبون بصبغ إمامهم وقائدهم،

والحكماء بصبغ عقولهم ، وأهل البدع والأهواء المتفرقة بصبغ أهوائهم، والموحدون بصبغة الله خاصة التي لا صبغ أحسن منها ، ولا صبغ بعدها » .

قل أتحاجوننا في الله الآية ١٣٩ - ١٤١ :

قُلْ أَتُحَاجُّونَنا فِي اللهِ وهُوَ رَبُّنا ورَبُّكُمْ ولَنا أَعْمالُنا ولَكُمْ أَعْمالُكُمْ ونَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ★ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وإِسْماعِيلَ وإِسْحٰقَ ويَعْقُوبَ والْأَسْباطَ كانُوا هُوداً أَوْ نَصارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ ومَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللهِ ومَا اللهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ★ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها ما كَسَبَتْ ولَكُمْ ما كَسَبْتُمْ ولا تُسْأَلُونَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ ★

المعنى :

(قل أتحاجوننا في الله) . سبق في تفسير الآية ٩٢ - ٩٦ فقرة « المصلحة هي السبب ، لا الجنسية » ان اليهود عارضوا النبي حرصاً على مصالحهم ، وعلى المال الذي كانوا يجمعونه من بذل العرض .واباحته ، ومن الربا والغش ، والخمر والميسر ، وما اليه مما حرمه الاسلام ، وقد برزوا المعارضة بأسباب لا تمت الى الواقع بشبه . من تلك الأسباب ما قاله المفسرون في تفسير هذه الآية من ان اليهود قالوا للنبي (ص) : انك لست نبياً ، لأن الله لا يرسل الأنبياء الا من اليهود . وبالمناسبة يزعم اليهود ان الله لهم وحدهم وانه إله قبيلة ، وليس إله العالم .

وأيضاً أنكر زعماء النصارى ، وصناديد قريش نبوة محمد (ص) خوفاً على مكانتهم ومصالحهم ، وتذرعوا بالأباطيل كما تذرع اليهود ، حيث قال النصارى

– كما جاء في التفاسير – : لو أرسل الله نبيـاً لكان منا لا من العرب ، أما صناديد قريش فقالوا : لو أرسله من العرب لاختاره من الطبقة الثرية القوية ، كما أشارت الآية ٣١ من الزخرف : « لولا نزل هـذا القرآن على رجـل من القريتين عظيم »[١] . والآية ٨ من الفرقان : « أو يلقى اليه كنز ، أو تكون له جنة يأكل منها » .

وكل شيء يقبل الخصام والحجاج ، حتى وجود الله الا شيئاً واحداً فانه لا يقبل النقاش أبداً عند المعترفين بوجود الله ، ألا وهو تخصيص رحمة الله وانعامه على فرد دون فرد : « أم يقسمون رحمة ربك » .. ولذا أمر الله نبيه محمداً(ص) أن يقول للذين استنكروا انعام الله عليه بالنبوة أن يقول لهم : أتحاجوننا في الله، وأنتم تعلمون انه تعالى أعلم بمن يصلح للرسالة ، وبمن لا يصلح لها،فلا تعترضوا على ربـكم ... وان علينا وعليكم التسليم لحكمه ، لا المجادلة في ارادته واختياره، وهذا معنى قوله تعالى : « هو ربنا وربـكم » .

(لنا أعمالنا ولـكم أعمالـكم) . هذا تماماً كقوله سبحانه : (لـكم دينكم ولي دين) . أي ان خصامكم في اختيار الله وانعامه عليّ تعود آثاره عليكم وحدكم ، تماماً كما يعود ضرر الكفر على الكافر ، ونفع الايمان على المؤمن . (ونحن له مخلصون) من دونـكم ، لأنـكم تتحكمون عـلى الله ، وتريدونه أن ينـزل على رغبتكم ، أما نحن فنفوّض الأمر كلّه اليه ، ونستسلم لحكمه .

(أم تقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هوداً أو نصارى) . هذا عطف على أتحاجوننا في الله ، والمعنى بأي الأمرين تتشبثون ؟. أفي قولـكم بأن الله لا يرسل من العرب نبياً ، أم بدين ابراهيم وبنيه وحفدته ؟. فان تشبثتم بالأول فان الله أعلم حيث يجعل رسالته،وان تشبثتم بالثاني فان ابراهيم كان حنيفاً مسلماً لا يهودياً ولا نصرانياً ، لأن اليهودية والنصرانيـة حدثتا بعده وبعد بنيه والاسباط .. فعلى كلا التقديرين قولـكم باطل لا مبرر له .. ويرشدنا القرآن في هذه المحاورة الى الأسلوب الذي ينبغي أن نتبعه مع الخصم،وان نعتمد في حصاره وافحامه على منطق العقل الذي يقتنع به ويتسالم عليه جميع العقلاء .

---

[١] المراد بالقريتين مكة والطائف ، والرجل الذي عنوه في مكة الوليد بن المغيرة،وفي الطائف عروة بن مسعود.

(قل أأنتم أعلم أم الله) . قدمنا ان كلاً من اليهود والنصارى قالوا : نحن أولى بالنبوة .. فأمر الله نبيه الكريم أن يرد عليهم بقوله : أأنتم أعلم حيث يجعل رسالته،أم هو ؟.. ان الرسول لله ومن الله ، ومع هذا تريدون أنتم أن تختاروه ؟ وهل أنتم أوصياء عليه ؟ تعالى الله علواً كبيراً .. وهل أجهل وأسخف ممن يقول لك : أنا أعلم منك بما يعجبك ويرضيك ، وبما يغضبك ويؤذيك ؟ وهل أكثر حمقاً من جاهل لا يعرف شيئاً يقول لمن اخترع سفينة الفضاء – مثلاً – أنا أعرف بها منك ؟.. ولست أعرف قولاً أبلغ في التجهيل والتقريع من قوله تعالى: أأنتم أعلم أم الله .. نستغفره ونعوذ به مما يقول ويفعل المبطلون .

(ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) . من الله متعلق بشهادة ، أو بمحذوف صفة للشهادة ، تقديره شهادة كائنة من الله .. ومعنى الكلام ان عندكم يا معشر اليهود والنصارى شهادة من الله قرأتموها في التوراة والانجيل ، وهي ان الله سبحانه سيبعث نبياً عربياً من أبناء اسماعيل (ع) ، ومع ذلك كتمتم الشهادة، وتجرأتم على الله بتحريف كتابه تعصباً للباطل ، وعناداً للحق ، فاستوجبتم اللعنة والعذاب .

(تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم) . هذه الآية تقدم ذكرها بالحرف الواحد برقم ١٣٤ .. وردت هناك لبيان ان اخلاص ابراهيم (ص) وعظمته لا تجدي اليهود والنصارى شيئاً،وجاءت هذه الآية هنا لبيان ان أعمال اليهود والنصارى تباين عقيدة ابراهيم وعمله .. اذن دعواهم بأنهم على ملة ابراهيم كذب وافتراء وتكلمنا عند تفسير الآية ٤٨ عن التكرار في القرآن .

ما ولاهم عن قبلتهم الآية ١٤٢ :

سَيَقُولُ السُّفَهاءُ مِنَ النَّاسِ ما وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كانُوا عَلَيْها قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ ★

المعنى :

(سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها) . كان

الأنبياء السابقون يصلون الى بيت المقدس ، وقد صلى النبي (ص) اليه بأمر الله أمداً غير قصير ، ولكنه (ص) كان يتمنى لو يحول الله القبلة الى الكعبة ، وحقق الله تعالى امنيته ، كما يأتي قريباً .

والمراد بالسفهاء اليهود ، لأنهم هم الذين عابوا على المسلمين رجوعهم في الصلاة عن بيت المقدس الى الكعبة ، ولفظة (سيقول) تدل بظاهرها على اعلام الله سبحانه نبيه الأكرم بقول السفهاء قبل وقوعه منهم ، وصدوره عنهم ، أما قول من قال بأن لفظة (سيقول) وان كان ظاهرها الاستقبال ، ولكن المراد منها الماضي ، وان الله خاطب بها رسوله بعد ان قال السفهاء ، لا قبل أن يقولوا ، وجاءت بصيغة المستقبل ايحاء بأن ما قالوه كان مقدراً ومترقباً ، أما هذا القول فانه تأويل للظاهر من غير دليل يدل عليه ، أو ضرورة تدعو اليه .

وعلى كل ، فلقد أمر الله سبحانه رسوله الأعظم محمداً (ص) أن يجيب هؤلاء السفهاء بأن (لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) . أي ان الجهات كلها لله ، والكعبة وبيت المقدس اليه سواء . ولكن الحكمة والمصلحة تارة تستدعي أن يهدي من يشاء من عباده الى بيت المقدس ، وتارة الى الكعبة .

قد نرى تقلب وجهك في السماء الآية ١٤٤ – ١٤٥ :

قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ★ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ ★

المعنى :

قال صاحب مجمع البيان : « روي عن الإمام جعفر الصادق (ع) انه قال: تحولت القبلة الى الكعبة بعد ما صلى النبي (ص) بمكة ثلاث عشرة سنة الى بيت المقدس ، وبعد مهاجرته الى المدينة صلى الى بيت المقدس سبعة أشهر ، ثم وجهه الله الى الكعبة، وذلك ان اليهود كانوا يعيرون رسول الله (ص) ، ويقولون له : أنت تابع لنا ، تصلي الى قبلتنا ، فاغتم رسول الله (ص) من ذلك غماً شديداً، وخرج في جوف الليل ينظر الى آفاق السماء ، ينتظر من الله تعالى أمراً في ذلك، فلما أصبح وحضر وقت الظهر كان في مسجد بني سالم ، وصلى فيه من الظهر ركعتين ، فنزل عليه جبريل (ع) فأخذ بعضديه ، وحوله الى الكعبة ، وأنزل عليه : (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام) فصلى ركعتين الى بيت المقدس ، وركعتين الى الكعبة » .

(فول وجهك شطر المسجد الحرام) . وصف المسجد بالحرام ، حيث يجب تقديسه ، ويحرم هتكه ، والكعبة جزء من المسجد الحرام ، وهو جزء من الحرم الذي يشمل مكة وضواحيها المحددة في كتب الفقه ، باب الحج ، مسألة محرمات الاحرام ، والصيد في الحرم .

والمعروف من طريقة القرآن الكريم ان كل تكليف شرعي موجه بظاهره لرسول الله (ص) يدخل فيه عموم المكلفين ، مثل : « وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل – هود ١١٤ » . ولا يختص التكليف به وحده إلا مع القرينة، كقوله تعالى : « ومن الليل فتهجد به نافلة لك – الاسراء ٧٩ » . فان لفظة لك تدل على ان هذا التكليف لا يشمل سواه .. وأيضاً من طريقة القرآن ان التكليف الموجه الى المكلفين يدخل فيه محمد (ص) دون أدنى فرق من هذه الجهة بينه وبين غيره ، وعليه فان الأمة داخلة في قوله تعالى: (فول وجهك شطر المسجد الحرام) .

(وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) . أي أينما كنتم في بحر أو بر أو سهل أو جبل في الشرق أو في الغرب فعليكم أن تستقبلوا المسجد الحرام بمقدم البدن ، ولا يجوز أن تستدبروه في الصلاة ، أو تضعوه على اليمين أو الشمال ..

وعلى هذا تختلف قبلة المسلمين باختلاف الأقطار ، فقد تكون بالنسبة إلى أهـل قطر في الغرب ، والى غيرهم في الشرق ، ومن أجل هـذا اهتم المسلمون بأمر القبلة ، ووضعوا علماً خاصاً يسمى بعلم « سمت القبلة » بخلاف النصارى الذين يلتزمون دائماً جهة الشرق ، واليهود جهة الغرب أينما كانوا ، حتى ولو استلزم ذلك ادبارهم لبيت المقدس .

وتسأل : اذا كانت الأمة تدخل في خطاب التكليف الموجه للرسول . وخطاب التكليف للأمة يشمل الرسول ، فلماذا الجمع بين الخطابين في آية واحدة ، وموضوع واحد ، وبدون فاصل أيضاً ، حيث قال جل من قائل : فول — يا محمد — وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم — أيها المسلمون — فولّوا وجوهكم شطره ؟.

الجواب : ان التحول كان من الحوادث العظيمة في الاسلام ، كما انه جاء وفقاً لرغبة الرسول الأعظم (ص) فأراد الله سبحانه أن ينبه الى ذلك ويؤكده بالتكرار ..

هذا ، الى ان التكليف هو بالأصالة لمحمد (ص) لأنه جاء مراعاة لرغبته ، وبالتبع لأمته .

متى يجب استقبال اهل القبلة ؟

الكعبة قبلة لمن هو داخل المسجد الحرام الذي تقع الكعبة فيه ، والمسجد قبلة لأهل الحرم ، أي لأهل مكة وضواحيها ، والحرم أو الجهة التي هو فيها قبلة لأهل المشرق والمغرب .

ويجب استقبال القبلة في الصلاة اليوميـة ، وركعات الاحتياط ، والأجزاء المنسية من الصلاة ، وسجدتي السهو ، ولكل صلاة واجبة بما في ذلك ركعتا الطواف ، والصلاة على الميت ، ويجب الاستقبال أيضاً بالميت عند احتضاره ودفنه ، وأيضاً عند الذبح والنحر .. أما الصلاة المستحبة فيجب الاستقبال بها حال الاستقرار ، ولا يجب حال المشي والركوب .

اهل القبلة :

أهل القبلة ، وأهل القرآن ، وأهل الشهادتين ، والمسلمون ألفاظ تترادف على معنى واحد ، أما اسم المحمديين فقد اخترعه لنا ، وأطلقه علينا أعداء الاسلام ، يقصدون بذلك اننا أتباع شخص ،لا أهل دين سماوي، تماماً كالبوذيين أتباع بوذا ، والزرادشتيين أتباع زرادشت .

ومهما يكن ، فان الغرض من هذه الفقرة التنبيه على ان الأمة الاسلامية على اختلاف بلادها ، وألوانها ، وألسنتها تجمعها وتوحد بينها أصول واحدة هي أعز وأغلى من حياتها ، لأن المسلمين جميعاً يستهينون بالحياة من أجل تلك الأصول، ولا يستهينون بها من أجل الحياة ، ومن تلك الأصول الايمان بالله وكتابه ، وبمحمد (ص) وسنته ، والصلاة الى القبلة .. فمن كفّر من يصلي الى القبلة ، وأخرجه من عداد المسلمين فقد أضعف قوة الاسلام ، وشتت كلمة المسلمين ، وأعان أعداء الدين على الدين ، من حيث يريد ، أو لا يريد .

(وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم) . المراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى ، لا خصوص اليهود – كما قيل – لأن اللفظ عام ، ولا دليل على التخصيص .. واختلف المفسرون في ضمير (انه) هل يعود الى الرسول ، أو الى المسجد الحرام ، وسبب الاختلاف انه قد تقدم ذكر الرسول في قوله تعالى : « قد نرى تقلّب وجهك » . وأيضاً تقدم ذكر المسجد الحرام ، ونميل نحن الى اعادته الى المسجد ، لأنه أقرب لفظاً الى الضمير ، والضمير يعود الى الأقرب ، وعليه يكون المعنى ان أهل الكتاب يعلمون حق العلم بأن ابراهيم (ع) أبا الأنبياء وكبيرهم هو الذي رفع قواعد البيت ، ولكنهم رفضوه لا لشيء الا لأنه في يد العرب ، وهم سدنته وحماته ، ولو لم يكن في يد العرب لكان اليهود والنصارى أسبق الناس اليه ، وأكثرهم تقديساً له .

(ولئن أتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك) . فضلاً عن اتباع ملتك ، فأعرض عنهم ، حيث لا تجدي معهم حجة ولا منطق بعد ان أعماهم الجهل والتعصب .

(وما أنت بتابع قبلتهم) . ربما طمع بعض أهل الكتاب ان يعود النبي (ص)

الى القبلة التي كان عليها .. فحسم الله طمعهم بقوله : وما أنت بتابع قبلتهم ، كما حسم أمل النبي (ص) باتباع قبلته بقوله : ما تبعوا قبلتك .

(وما بعضهم بتابع قبلة بعض) . اليهود يصلون الى المغرب ، والنصارى الى المشرق ، ولا تترك طائفة ما هي عليه ، وتتبع الأخرى ، فكيف يتبعون قبلتك يا محمد ؟.. بل ان بين فرق اليهود بعضها مع بعض ، وبين فرق النصارى كذلك أكثر مما بينهم وبين المسلمين .. والمذابح التي حصلت بين الكاثوليك وبين البروتستانت لا مثيل لفظاعتها في جميع العصور .

(ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذن لمن الظالمين) . ومحال أن يتبع النبي (ص) أهواءهم ، لأنه معصوم .. ولكن الغرض من هذا النهي أن يتشدد النبي (ص) في معاملته مع اليهود ، ويتصلب في موقفه منهم ، اذ لا خير في مهادنتهم ، ولا أمل في سلمهم ، ولا تجدي أية محاولة لردعهم عن الكيد والفساد ، لأنهم جبلوا على الشر ، ومعاندة الحق ،والاساءة لمن أحسن اليهم ، وقد مر الكلام في ذلك عند تفسير الآية ١٢٠ فقرة « أعداء الدين والمبدأ » .

الاسلام وأهل الأديان المتعصبون :

من المعقول جداً أن يختلف العلماء من كل نوع وصنف في مسألة غير دينية، وبعد التذاكر والتدارس يتفقون على ما كانوا فيه مختلفين — ولقد وقع هذا بالفعل — أما إذا اختلف العلماء من أديان شتى في مسألة دينية فاتفاقهم بحكم المحال، حتى ولو قام ألف دليل ودليل ، وقد ثبت عند علماء النفس ان تحول الناس عن كيانهم أيسر بكثير من تحولهم عن دينهم .. ذلك ان أكثر الناس يعتمد دينهم على التعصب لدين الآباء والأجداد .. وما عرف عن دين من الأديان انه نعى على تقليد الآباء غير الاسلام .. فلقد استند في تثبيت أصوله الى العقل وحده . ومن استعرض آيات القرآن ، والأحاديث النبوية يرى انها تهتم بمتابعة العقل بقدر ما تهتم بالايمان بالله،لأن هذا الايمان لا ينفك أبداً عن الهداية بنور العقل السليم .

يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الآية ١٤٦ – ١٤٧ :

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ★ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ★

المعنى :

(الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) . أي ان الكثير من علماء اليهود والنصارى على معرفة صحيحة وجلية بنبوة محمد (ص)، تماماً كمعرفتهم بأبنائهم التي لا شك فيها ، ولا ريب ، لأن التوراة والانجيل بشّرا به، وذكراه بنعوته وصفاته التي لا تنطبق على غيره .. قال تعالى في الآية ١٥٧ من الاعراف: « يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل » . وفي الآية ٦ من الصف : « واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » .

كان عبد الله بن سلام من أحبار اليهود ، ثم أسلم ، وقال فيما قال : أنا أعلم بنبوة محمد مني بابني .. فقيل له : ولمه ؟ قال اني لا أشك في محمد أنه نبي ، أما ولدي فلعل والدته قد خانت .

(وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) . أجل ، يكتمونه حتى ولو قرأوا اسم محمد (ص) في اللوح المحفوظ حرصاً على الرئاسة الدنيوية ، والمصالح الشخصية .. ولا يختص العناد للحق باليهود والنصارى ، لأن السبب عام ، والباعث واحد ، وقد رأينا بعض الشيوخ ينكر فضل زميله بغياً وحسداً .

(الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) . النبي (ص) لا يشك أبداً فيما جاءه من ربه ، ومحال ان يشك ، والله سبحانه يعلم ان نبيه الأكرم لا يشك .. وانما الغرض بيان ان ما أنزل عليه (ص) غير قابل للشك والريب اطلاقاً ، فاذا ما أنكره منكر ، وجحده جاحد فما ذاك إلا تعصباً وعناداً .

بيني وبين مبشر :

في ١٥/٧/١٩٦٣ زارني في بيتي مستشرق ايطالي يتقن الحديث بالعربيـة ، ويبشر بالمسيحية ، وجرى بيني وبينه محاورات شفاهاً وكتابة ، وقال لي فيما قال : ان القرآن يعترف صراحة بالانجيل ، فلماذا ينكره المسلمون ؟.

فأجبته بأن القرآن يعترف بالانجيل الذي بشّر بنبوة محمد (ص) ، كما نطقت الآية ٦ من الصف : « ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » ، والآيـة ١٥٧ من الاعراف : « يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيـل » . ثم ان القرآن يقول : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » . وانجيلكم يقول : ان عيسى إله ، فكيف تريدون منا أن نؤمن به ، وفي نفس الوقت نؤمن بالقرآن ؟.

وإذا كان النصارى يمنعون التناقض والتهافت بحكم العقل فقط ، ويجيزونه في الدين والعقيدة فان المسلمين يرونه محالاً وممتنعاً في العقل وفي الدين وفي كل شيء ، لأن أصول الدين الأساسية ترتكز عندهم على العقل وحده .

ان الذين يكتمون ما أنزل الله الآية ١٧٤ ـ ١٧٦ :

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ ما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ ★ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَما أَصْبَرَهُمْ عَلى النَّارِ ★ ذلِكَ بِأَنَّ اللهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ★

المعنى :

(ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما

يأكلون في بطونهم إلا ناراً) . قيل : ان هذه الآية نزلت في أهل الكتاب الذين كتموا وصف محمد (ص) ونبوته ، ومهما كان سبب النزول فان المراد كل من عرف شيئاً من الحق وكتمه بالتأويل والتحريف لمنفعته الشخصية ، يهودياً كان أو نصرانياً ، أو مسلماً ، لأن اللفظ عام ، والعبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص سبب النزول .

وقد هدد الله سبحانه هذا الضال المضل في العديد من الآيات : منها ما تقدم في الآية ١٤٦ و ١٥٩ ، وما يأتي في سورة آل عمران ، والنساء ، والمائدة ، ومنها هذه الآية ، وكلها غضب ووعيد بأشد العذاب والعقاب ، لأن الحق يجب تقديسه واعلانه بكل وسيلة ، ودفع الشبهات عنه ، وتحدي من يتحداه ، وتنفيذه بقوة السلاح ، والتضحية في سبيله بكل عزيز ، اذ لا قوام للدين، ولا للنظام ، ولا للحياة الا به .

(ما يأكلون في بطونهم الا النار) . أي ما يوجب العذاب في النار ، فهو من باب اطلاق المسبب ، وهو النار ، على السبب ، وهو أكل الحرام .. وذكر البطون ، مع العلم بأن الأكل لا يكون الا في البطن ، للاشارة الى انه لا همّ لهم الا امتلاء بطونهم .

(ولا يكلمهم الله يوم القيامة) . كناية عن اعراضه عنهم ، وغضبه عليهم . (ولا يزكيهم) من الذنوب بالمغفرة . (اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) . الضلالة اتباع الهوى ، والهدى اتباع كتاب الله ، وشراء الضلالة بالهدى أن يؤثر الباطل على الحق ، والهوى على الهدى .

(فما أصبرهم على النار) . ليس هذا اخباراً عن صبرهم على النار ، ولا تعجباً من صبرهم عليها ، لأن التعجب منشأه الجهل بالسبب، وهو ممتنع في حقه تعالى ، وانما القصد تصوير اقدامهم وجرأتهم على الله بترك أحكامه وحدوده ، واتباعهم الباطل والضلال ، القصد تصوير حالهم هذه ، وتمثيل مآلهم الذي لا يمكن الصبر عليه بحال ، قال الرازي : لما أقدموا على ما يوجب النار صاروا كالراضين بعذاب الله ، والصابرين عليه .. فهو كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان : ما أصبرك على القيد والسجن ؟.

وتسأل : هذا حال من عرف الحق وكتمه ، فما هو حال من لم يعرف شيئاً

مما أنزل الله ، ومع ذلك يقول : هذا حلال ، وذاك حرام ، ولا مستند له الا الوهم والخيال ؟.

الجواب : ان هذا أسوأ حالاً ممن عرف الحق وكتمه ، لأنه قد أقام نفسه مقام الله جل وعلا ، واتخذ منها مصدراً للتشريع ، والتحليل والتحريم .

التجاذب بين الحق والباطل:

نقل صاحب المنار في تفسيره عن الشيخ محمد عبده انه قال في تفسير هذه الآية : « ان في المسلمين من كتم ما أنزل الله بالتحريف والتأويل ، تماماً كما فعل اليهود بكتمان وصف الرسول ، وهؤلاء المسلمون يشعرون بجاذبين متعاكسين: جاذب الحق الذي عرفوه ، وجاذب الباطل الذي ألفوه ، ذاك يحدث لهم هزة وتأثيراً ، وهذا يحدث لهم استكباراً ونفوراً ، وقد غلب عقولهم ما عرفوا ، وغلب قلوبهم ما ألفوا ، فثبتوا على ما حرفوا ، وصاروا الى حرب عوان بين العقل والوجدان ، يتصورون الخطر الآجل ، فيتنغص عليهم التلذذ بالعاجل ، ويتذوقون حلاوة ما هم فيه ، فيؤثرونه على ما سيصيرون اليه .. أليس هذا الشعور بخذل الحق ، ونصر الباطل ناراً تشب في الضلوع ؟. أليس ما يأكلونه من ثمن الحق ضريعاً لا يسمن ، ولا يغني من جوع ؟ » .

وهذا صحيح بالنسبة إلى بعض الأفراد الذين يحسون بوخز الضمير وتأنيبه ، وهم يقترفون الذنوب .. ولكن بعض الأفراد قد ألفوا الباطل ، واعتادوه ، حتى أصبح طبيعة ثانية لهم ، ويشعرون من أعماقهم بالعداء لكل ما فيه رائحة الحق والانسانية .. والآن أكتب هذه الكلمات في شهر حزيران سنة ١٩٦٧ ، وفي هذا الشهر المشؤوم تغلب الاسرائيليون على بعض أطراف البلاد العربية بمعاونة بريطانيا وأمريكا ، وأخرجوا أهلها من ديارهم ، وشردوا أكثر من مئتين وخمسين ألفاً ، وحرقوا الألوف من الرجال والنساء والأطفال بقنابل النابالم . وقد بارك هذه الفضائح كثيرون ، وطربوا لها ، وتمنوا لو ان اسرائيل استمرت في طغيانها الى غير حد..ان الهوى عندهم قد طغى على العقل والوجدان،حتى لم يبق لهما عيناً ولا أثراً فصار من فقدوهما تماماً كالبهائم، وقد وصف الله هؤلاء بأنهم قوم لا يعقلون ، ولا يفقهون،وبأنهم كالانعام ، بل أضل سبيلاً .

سل بني اسرائيل الآية ٢١١ – ٢١٢ :

سَلْ بَني إِسْرائِيلَ كَمْ آتَيْناهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقابِ ★ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَياةُ الدُّنْيا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ ★

المعنى :

(سل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بيّنة) . ليس المقصود من قوله : سل بني اسرائيل السؤال على الحقيقة ، لأن النبي (ص) يعلم أحوالهم ، ولا المقصود الحكاية عما كانوا عليه، كما هو الشأن في الآيات السابقة ٤٩ وما بعدها، وانما القصد أن يعتبر المسلمون ويتعظوا بحال بني اسرائيل ، ووجه العظة ان بني اسرائيل قد جاءتهم الرسل بالمعجزات والبينات ، واليد البيضاء ، وقلب العصا حية، وفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المنّ والسلوى ونتق الجبل ، ومع ذلك عصوا وخالفوا ، فعاقبهم الله بالمذلة والهوان في الدنيا ، والعذاب الأليم في الآخرة .

غرائب اسرائيل :

من المفيد ان نختم تفسير هذه الآيات بما جاء في تفسير الرازي :

« قال أبو القاسم الانصاري : كان السحرة مشركين ، ولما رأوا آية واحدة هي انقلاب العصا ثعباناً آمنوا بالله وبموسى ، وتحملوا من أجل ايمانهم العذاب الشديد في الدنيا ، ولم يرجعوا عن الايمان ، أما بنو اسرائيل فقد رأوا ما رآه السحرة ، وأيضاً رأوا اعتراف السحرة وايمانهم بموسى ، ثم رأوا الآيات التسع مدة مديدة ، ثم رأوا انفلاق البحر اثني عشر طريقاً سلكوها بأنفسهم ، ورأوا هلاك عدوهم بأعينهم ، ومع هذا كله لما خرجوا من البحر ورأوا قوماً يعبدون

البقر قالوا لموسى : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، وما إن سمعوا صوتاً من عجل حتى عكفوا على عبادته ».

وكم تمنيت ، وأنا أفسر الآيات التي نزلت في بني اسرائيل ، وحكت شذوذهم وغرائبهم ، كم تمنيت أن تتألف لجنة من العلماء بالانسان وغرائزه لدراسة الاسرائيليين وطبيعتهم في ضوء سيرتهم وتاريخهم القديم والحديث لنعلم هل هم من البشر ظاهراً وواقعاً ، أو انهم لا يشبهون الناس في شيء ، ولا أحد من الناس يشبههم في شيء إلا في الشكل والصورة ؟ كما يومىء الى ذلك الكثير من آي القرآن الكريم

قصة طالوت الآية ٢٤٧ : ★ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ★

تلخيص القصة

كان لموسى (ع) بعد موته خلفاء من الأنبياء يقيمون أمر الله في بني اسرائيل الواحد تلو الآخر ، ومن هؤلاء الخلفاء نبي ذكره القرآن ، ولم يسمه ، ولكنه كان في عهد داود (ع) ، كما يستفاد من الآيات ، وقال كثير من المفسرين : انه صمويل ، وفي ذات يوم أتاه جماعة من بني اسرائيل ، وقالوا له : أقم علينا أميراً نصدر عن رأيه في تدبير الحرب ، ونقاتل معه في سبيل الله ، فقال لهم نبيهم - وكان قد سبر أحوالهم - اني أتوقع تخاذلكم إذا كتب عليكم القتال ، ودعيتم الى الجهاد

قالوا : كيف نتخاذل ، وقد أخرجنا العدو من ديارنا ، وحال بيننا وبين أبنائنا ؟!. فاستخار الله نبيهم فيمن يصلح للقيادة ، فأوحى الله سبحانه : اني قد اخترت عليهم طالوت ملكاً ، وقيل انه سمي طالوت لطوله ، ولما أخبرهم

النبي بأن الله قد اختار طالوت ، قالوا : كيف يكون له الملك علينا ، وهو غير عريق النسب ، وفارغ اليد من المال ؟!.

فقال النبي : ان زعامة الجيش لا تحتاج الى نسب ونشب ، وانما تحتاج الى الشجاعة ، والمعرفة بتصريف الأمور ، والله سبحانه قد منح طالوت الكفاءة العلمية والخلقية ، والقدرة الجسمية ، وسائر مؤهلات الزعامة والرئاسة .. فقالوا: نريد معجزة تدل على مكانته هذه .. قال : آية ذلك أن يعود اليكم التابوت ، تأتيكم به الملائكة بأمر الله تعالى .. قيل : ان هذا التابوت كان فيه بقية ألواح موسى وعصاه ، وثيابه وشيء من التوراة ، وكان قد سلبهم اياه الفلسطينيون في بعض المعارك الحربية .. وقيل : بل رفعه الله الى السماء بعد وفاة موسى .. ولما جاء التابوت بمعجزة من الله سبحانه صحت عندهم العلامة ، وأقروا لطالوت بالسلطان والقيادة .

وقادهم طالوت الى جهاد عدوهم ، وأخبرهم بأنهم سيمرون على نهر يمتحن به اخلاص المخلصين منهم ، فمن كان صابراً محتسباً فلا ينهل منه الا بمقدار ما يأخذه باليد ، فمن امتثل فهو المخلص الذي يوثق به ، أما الذي ينهل ، حتى يرتوي فلا معول عليه في الحرب والجهاد ، ولما مروا على النهر عصوا كعادتهم ، وشربوا الا نفراً قليلاً ثبتوا على الصدق والايمان .

ولما التقى الجمعان : بنو اسرائيل بقيادة طالوت ، والفلسطينيون بقيادة جالوت خاف أكثر الاسرائيليين ، وقالوا لطالوت : لا طاقة لنا بجالوت وجنوده . وقال المؤمنون القليلون منهم الذين لم يشربوا من النهر : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، ودعوا الله سبحانه أن يمنحهم الصبر والثبات ، والنصر على العدو ، فاستجاب لهم ربهم بعد أن علم منهم العزم والصدق في النية ، وقتل داود جالوت ، وانهزم العدو شر هزيمة ، وصار لداود بقتل جالوت من الصيت والسمعة ما ورث به ملك بني اسرائيل . وآتاه الله بعد ذلك النبوة ، وأنزل عليه الزبور ، وعلمه صنعة الدروع ، وعلوم الدين ، وفصل الخطاب كما قال تعالى: « وآتاه الله الملك والحكمة » .

هذا ملخص ما دلت عليه الآيات الكريمة ، أما زواج داود ببنت طالوت ،

ومحاولة هذا الغدر بزوج ابنته ، ومقلاع داود وأحجاره ، وقصته مـــع السبع والدب ، أمـا هـذه وما اليها مما جاء في كتب التفاسير فلا سند لها الا الاسرائيليات .

أما العبرة من الاشارة الى هذه القصة وتدبرها فهي ان الـذي تجب له القيادة من يتمتع بالكفاءة العلمية والخلقية ، لا صاحب الحسب والنسب، والجاه والمال، وان النصر والغلبـــة تكون بالصبر والايمان ، لا بكثرة العدد ، وان السبيل الى معرفة الطيب والخبيث هي التجربة والابتلاء .

سورة آل عمران

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ★ اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ★ نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ ٱلتَّوْرَاةَ وَٱلْإِنْجِيلَ★ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ

(نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه) . المراد بالكتاب القرآن ، وهو مصدق للكتب المنزلة على الأنبياء السابقين ، وبديهة ان تصديق ما انزل على الأنبياء لا يستلزم تصديق الكتب التي ينسبها اليهم بعض الطوائف .. وها نحن المسلمين نؤمن بقول رسول الله (ص) ، ومع ذلك لا نؤمن بكل ما في كتب الحديث المروية عنه ، أما من يؤمن بالكتب المنزلة على الأنبياء السابقين فعليه أن يؤمن حتماً بالقرآن ، وإلا ناقض نفسه بنفسه ، لأن القرآن مصدق لتلك الكتب ، فتكذيبه تكذيب لها بالذات .

(ونزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس) . ووصف التوراة والانجيل بالهدى يستلزم انهما قد انزلا بالحق ، كما ان وصف القرآن بأنه نزل بالحق يستلزم أن يكون هدى للناس .. إذن ، فكل واحد من الكتب الثلاثة حق وهدى .

والمراد بالهدى هنا بيان الله سبحانه للحلال والحرام على لسان أنبيائه ، وهذا البيان يفيد العلم بأحكام الله ، أما العمل بها فيحتاج إلى هدى من نوع آخر زائداً على البيان ، ولا أجد لفظاً أعبّر عنـــه سوى التوفيق ، وهو المشار اليه بقوله تعالى : « انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء – القصص ٥٦ ».

التوراة والانجيل :

يطلق القرآن لفظ التوراة على ما أنزله الله تعالى من الوحي على موسى (ع) ، ويطلق لفظ الانجيل على الوحي الذي أنزله على عيسى (ع) . ولكن القرآن قد بيّن وسجّل ان التوراة والانجيل اللذين يعترف بهما هما غير التوراة والانجيـــل الموجودين الآن عند اليهود والنصارى،قال تعالى في الآية ٤٥ من سورة النساء : « من الذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه » . وقال في الآية ١٤ من سورة المائدة : « ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذُكّروا به ». وفي الآية ١٥ من السورة المذكورة : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب » .

والمبشرون المسيحيون أعرف الناس بهذه الحقيقة ، ومع ذلك يدلسون ويوهمون العوام بأن القرآن يعترف بالتوراة والانجيل اللذين لعبت بهما يد التحريف .. ان القرآن بكامله هو كلام واحد ، وجملة واحدة ، لا يجوز الايمان ببعضه،والكفر ببعضه الآخر .

والتوراة كلمة عبرانية ، ومعناها الشريعة ، وتطلق عند أهل الكتاب عـــلى خمسة أسفار : الأول سفر التكوين ، وفيه الكلام عن بدء الخليقـــة ، وأخبار الأنبياء ، الثاني سفر الخروج ، وفيه تاريخ بني اسرائيل وقصة موسى ، الثالث سفر التثنية ، وفيه أحكام الشريعة اليهودية ، الرابع سفر اللاويين ، واللاويون هم نسل لاوي أحد أبناء يعقوب،وفيه العبادات والمحرمات من الطيور والحيوانات، الخامس سفر العدد ، وفيه احصاء لقبائل بني اسرائيل وجيوشهم، وهذه الأسفار الخمسة هي من مجموعة أسفار تبلغ تسعة وثلاثين سفراً ، ويطلق النصارى عليها اسم العهد القديم .

أما الإنجيل فكلمة يونانية الأصل،ومعناها البشارة ، والأناجيل عند المسيحيين أربعة : الأول انجيل متى ، ويرجع تاريخ تأليفه إلى حوالي سنة ٦٠ بعد الميلاد، وقد ألف باللهجة الآرامية . الثاني انجيل مرقص ، وألفه باللغة اليونانية حوالي سنة ٦٣ أو ٦٥ ، الثالث انجيل لوقا ، ألفه باللغة اليونانية بتاريخ انجيل مرقص، الرابع انجيل يوحنا ، ألفه باللغة اليونانية حوالي سنة ٩٠ بعد الميلاد .

وقد استقر رأي المسيحيين في أوائل القرن الخامس الميلادي على اعتماد سبعة وعشرين سفراً من أسفارهم ، وقالوا : انها موحى بها لأصحابها من الرب ، ولكن بمعانيها لا بألفاظها ، وأطلقوا عليها اسم العهد الجديد ، للمقابلة بينها وبين ما اعتمد من أسفار اليهود المقدسة التي أطلقوا عليها اسم العهد القديم ، فالقديم يرجع إلى عهد موسى ، والجديد الى عهد عيسى ، ومعنى العهد الميثاق . ومر ما يتصل بهذا الموضوع عند تفسير الآية ٣ من سورة البقرة فقرة « يؤمنون بما أنزل اليك » .

أيضاً اليهود ٢٣ ــ ٢٥ :

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ★ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ★ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ★

المعنى :

(ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون) . قال المفسرون : المقصود من الذين أوتوا نصيباً من الكتاب هم اليهود ، وإنما قال هنا أوتوا نصيباً من الكتاب ، ولم يقل

اوتوا الكتاب ، أو أهل الكتاب ، كما في الكثير من الآيات ، لأن اليهود الذين حاجوا النبي (ص) ، ودعاهم الى التوراة لتحكم بينهم لم يحفظوا كل ما فيها ، وإنما حفظوا بعضاً منها، كما قال كثير من المفسرين ، أو حفظوا ألفاظ التوراة، ولم يتدبروا معانيها ، كما قال الشيخ محمد عبده .

وكثيرون هم الذين يدعون الايمان بالكتب السماوية والقيم الانسانية ، ولا يعملون بها ، وإذا احتُج عليهم بما يؤمنون توانوا أو تأولوا ، والأمثلة على ذلك لا تحصيها كثرة ، منها : ان الذين أثاروا الحروب وقتلوا الملايين يزعمون انهم من أنصار السلام .

ومنهـا : ان الدول التي اضطهدت الأحرار والملونين تدعي الايمان بالحق والعدالة .

ومنها : اليهود الذين دعاهم النبي (ص) إلى كتابهم وتوراتهم ، وقال لهم: هلموا اليها ، فإن فيها صفتي ، فاعرضوا وعنادوا .. فنزلت هذه الآية : «يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون » .

وقال جماعة من أهل التفسير : انها نزلت في يهودي زنى بيهودية ، واختلف اليهود في أمرهما الى فريقين : فريق أراد الرجم ، وفريق أراد التخفيف ، ولما اشتد بينهم النزاع تحاكموا الى النبي (ص) ، فحكم بالرجم ، فرفض الفريق الذي لا يتفق الرجم مع أهوائهم ، فدعاهم النبي (ص) الى حكم التوراة التي نصت على الرجم فتولوا ، وهم معرضون .

ومهما يكن سبب النزول ، فان الآية جارية وشاملة لكل من أعلن شعاراً ، ثم تجاهله ، وأعرض عنه عند العمل ، لأن العبرة بالأعمال، لا بالسمات والشعائر، قال الإمام علي (ع) : لن يفوز بالخير الا عامله ، ولا يجزى جزاء الشر الا فاعله .

(ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياماً معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون) . لقد سجل الله على اليهود في كتابه العزيز ألواناً من القبائح والرذائل .. منها : قتلهم الأنبياء الذي ذكره في العديد من الآيات . ومنها عبادتهم العجل . ومنها : قولهم : لن يدخل الجنة الا من كان هوداً . ومنها: انهم أبناء الله وأحباؤه . ومنها : زعمهم بأن النار لن تمسهم الا قليلاً .

ونقل صاحب تفسير المنار عن استاذه الشيخ محمد عبده انه قال : « ليس في كتب اليهود التي بين أيديهم وعد بالآخرة ولا وعيد » .. ونقل عن اليهود عدم ايمانهم بالآخرة كثيرون من أهل التتبع والتثبت ، وهذا النقل يتنافى مع قول القرآن عنهم : لن تمسنا النار الا أياماً معدودات ، وقولهم : لن يدخل الجنة الا من كان هوداً .. وغير بعيد أن أسلاف اليهود كانوا مؤمنين بالآخرة، ثم حرّف الخلف ، وحذف من كتبهم الدينية كل ما له صلة بالآخرة .. وفي تفسير المنار نقلاً عن الشيخ عبده أيضاً ان الباحثين الأوروبيين أثبتوا ان التوراة كُتبت بعد موسى (ع) بمئات السنين .

وأغرب من كل ذلك ادعاء اليهود بأن الله متحيز لهم ، وانه لهم وحدهم، وانه خلق من عداهم من الناس لخدمتهم ومصلحتهم ، تماماً كالحيوانات .. ومن أجل هذا يسمّون أنفسهم بشعب الله المختار ..

وبصرف النظر عن استحالة هذا الزعم وبطلانه بحكم العقل فإنه رجم بالغيب، وتحكّم على الله ، حيث لا يعرف أمر من أمور الغيب الا بوحي من الله تعالى، وقد نطق الوحي بلعنهم وخزيهم وعذابهم ، وسيتجلى لهم هذا الخزي والعذاب في يوم لا حيلة لهم في دفعه .. والى هذا أشار سبحانه بقوله : (فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون). فلا يُنقص من ثواب المطيع شيئاً ، وقد يزداد ، ولكن لا يزاد أبداً على عقاب العاصي ، وقد ينقص العقاب ، بل قد يعفو الله ويصفح .

واني على علم اليقين بأن من رجا الله في دنياه هذه ، ولم يرجُ سواه ، متكلاً عليه وحده في النوائب مهما تكن النتائج ، مؤمناً ان من عداه ليس بشيء الا أن يكون وسيلة وأداة ، انا على يقين ان هذا سيجد عند الله ما يرضيه لامحالة برغم ما له من سيئات وهفوات .

تعالوا الى كلمة سواء الآية ٦٤ — ٦٨ :

قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ ٱللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ

ٱللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا ٱشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ★ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ★ هَا أَنْتُمْ هٰؤُلاَءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَٱللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ★ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلٰكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ★ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهٰذَا النَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱللهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ★

المعنى :

(قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله). يؤمن اليهود بالتوراة، ويؤمن النصارى بالتوراة والانجيل ، ويؤمن المسلمون بالتوراة والانجيل والقرآن ، وقد أجمعت هذه الكتب الثلاثة على ان وراء الكون مدبراً حكيماً .. ولكن النصارى بالغوا في الغلو ، فجعلوا لله شركاء ، ونسبوا له ولداً، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، يحللون لهم ، ويحرّمون ، ويغفرون الخطايا والذنوب، ويبيعون أذرعاً في السماء .. روي ان عدي بن حاتم قال لرسول الله : ان الله يقول في كتابه العزيز : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » . مع ان النصارى لا يعبدون الأحبار والرهبان .. فقال له الرسول (ص) : أما كانوا يحللون لكم ويحرّمون، فتأخذون بأقوالهم ؟. قال عدي : نعم . قال (ص): هو ذاك .

وما زلنا ، ونحن في القرن العشرين ، نقرأ في الصحف ، ونسمع من الاذاعات ان فلاناً تشرّف بمقابلة البابا ، ومنحه البابا البركة ، وكذا يمنح البركة الكردينال والبطريرك .. أما المسلمون فإنهم يعتقدون ان البركة لا تكون ولن تكون الا من الله : « رحمة الله وبركاته عليكم - ٧٣ هود » .

أما اليهود فقد أنكروا عيسى (ع) ، وحاولوا صلبه ، وكفروا بمحمد(ص)، وهم على علم من صدقه ، قال تعالى : « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » .

وجادل النبي أهل الكتاب بالتي هي أحسن ، وأورد عليهم أنواع الدلائل ، ولم يدع لهم منفذاً ، ولكنهم أصروا على الكفر ، ثم دعاهم الى المباهلة ، ولكنهم فضلوا أداء الجزية بصغار على الاعتراف بالحق .. ورغم هذا كله فقد ظل حريصاً على أن يؤمنوا ، وهذا شأنه مع كل جاحد ، حتى خاطبه الله تعالى في الآية ١٠٣ من سورة يوسف : « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » وفي الآية ٣٧ من سورة النحل : « ان تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل » .

وتأكيداً للحجة على المعاندين ، واظهاراً لحقيقتهم لدى النبي ، والناس أجمعين قال تعالى : يا محمد دع جدالهم ومباهلتهم ، واسلك معهم هذا المنهج الذي يشهد كل ذي لب انه العدل والحق .. بل انه البديهة والضمير والوجدان، وذلك أن تدعوهم الى ما أقره العقل والكتب السماوية بكاملها ، وهو أن تستووا جميعاً في عبادة الله وحده لا شريك له .. لا يعبد بعضكم بعضاً ، ولا يعلو بعضكم على بعض ، وهذه هي كلمة سواء .

(فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) . أي فإن لم يقبلوا ، حتى هذه البديهة ، وأبوا الا الشرك والعناد فأعرض عنهم ، وقل لهم أنت ومن آمن بك: (اشهدوا بأنا مسلمون) . وفي اشهاد الكافرين على اسلام المسلمين فائدتان :

الأولى : اشعار الكافرين بعدم المبالاة بهم وبكفرهم ، وان محمداً ومن معه يؤمنون بالحق ، وبه يعملون ، حتى ولو كفر أهل الشرق والغرب .

الفائدة الثانية : الاشارة إلى أن المسلمين يتميزون عن غيرهم بعبادة الله الواحد الأحد ، ولا يتخذ بعضهم بعضاً ارباباً من دون الله ، ولا لأحد منهم كائناً من كان سلطة التحليل والتحريم ، وغفران الذنوب ، كما هي الحال عند غيرهم .

(يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل إلا من بعده أفلا تعقلون) . جادل القرآن أهل الكتاب بالعقل والمنطق ، ثم دعاهم إلى المباهلة ، ثم إلى كلمة سواء ، وهي الإيمان بالله وحده ، ثم استأنف القرآن

جدال أهل الكتاب من جـــديد ، وعاد الى ما كان عليه أولاً ، كعادته من التعرض للشيء، ثم الانتقال إلى غيره ، ثم الرجوع اليه .. عاد الى أهل الكتاب، وذكر بعض أقوالهم وأبطلها ، ذكر قول اليهـــود : ان ابراهيم كان يهودياً ، وقول النصارى انه كان نصرانياً ، ورد هذا الزعم بالبديهة ، لأن اليهودية حدثت بعد موسى ، وبينه وبين ابراهيم ألف سنـــة ، والنصرانية حدثت بعد عيسى ، وبينه وبين ابراهيم ألفـــا سنة ، كما جاء في تفسير روح البيان ، فكيف يكون السابق على دين اللاحق (أفلا تعقلون) .

ويذكرنا قول النصارى واليهود بنادرة يتناقلها اللبنانيون ، ويتندرون بها، وهي أن رجلين تصاحبا صدفة في سفر ، ولما أخذا بالحديث سأل أحدهمـا صاحبه : هل حججت في مكة المكرمة ؟ فقال له : أجل أديت ما عليّ ، والحمد لله . فقال له صاحبه : هل رأيت زمزم هناك ؟ قال : نعم ، انها بنت كويّسة .. قال له : ويلك . انها بئر ماء ، وليست بنتاً .. قال : اذن حفروها بعد مـــا أديت الفريضة .

وحكاية المذاهب والفرق التي حدثت بعد الرسول الأعظم (ص) تشبه حجـة هذا الرجل الى حد بعيد .. وكل من أخـــذ دينه عن انسان فهو من هذا النوع إلا إذا ثبت النص عليه من الرسول الأعظم (ص) كثبوت حـــديث الثقلين الذي أوجب الأخذ والتعبد بكتاب الله وأهل بيت رسول الله ، وساوى بينهما، وذكرنا ذلك عند تفسير الآية ٣٩ من سورة البقرة .

(ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به عـــلم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) . قد يتخصص الانسان بعلم من العلوم، أو بموضوع من الموضوعات ، وعليه فله أن يجادل فيـه ويناقش ، وليس من الضروري أن يكون مصيباً في جميع أقواله وجداله ، وانما المهم أن يكون من أهل المعرفة به، ولو في الجملة .. اما أن يجادل ويناقش في أمر لا يعرف عنه شيئاً ، ويبعد عنه كل البعد ، أما مثل هذا الجدال والنقاش فهو جهل وحماقة .

وأهل الكتاب لهم علم بدينهم الذي اعتقدوا بصحته ، فيكون لجدالهم فيـــه وجه ، ولو بحسب الظاهر ، أما جدالهم في دين ابراهيم فلا وجه له واقعاً ، ولا ظاهراً ، لأنهم لا يعرفون عنه شيئاً .

(ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين).
لم يكن يهودياً ، لأن بينه وبين موسى ألف سنة ، ولم يلتق في عقيدته وواقعه بالديانة اليهودية، لأنها محرفة عما جاء به موسى (ع) ، ولم يكن ابراهيم نصرانياً، لأن بينه وبين عيسى ألفي سنة ، ولم يلتق بالديانة المسيحية ، لأنها محرفة عما جاء به عيسى (ع) .. وإذا لم يكن ابراهيم مسلماً بالمعنى المعروف فإنه في واقعه وايمانه يلتقي مع الاسلام ، لأنه يؤمن بالله المنزه عن الشريك والشبيه ، وهذا الايمان هو الأصل الأساسي لدين الاسلام ، وبهذا يتبين لنا الجواب عن سؤال من يسأل : ان القرآن أنزل بعد ابراهيم فكيف يكون مسلماً ؟ وسبق البحث مفصلاً في أن جميع الأنبياء كانوا مسلمين عند تفسير الآية ١٩ من هذه السورة .

والحنيف هو المائل عن الأديان الباطلة الى دين الحق ، أما قوله تعالى: (وما كان من المشركين) فان فيه تعريضاً بالنصارى القائلين : المسيح ابن الله، وباليهود القائلين : عزير ابن الله، وبالعرب الذين كانوا يعبدون الأصنام .. وكان ابراهيم موضع اجلال هذه الفرق الثلاث .

(ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) . أي ان احق الناس بالانتساب الى دين ابراهيم الذي يجله الجميع هم الذين استجابوا لدعوته من أمته ، أو يلتقون معه ويلتقي معهم في العقيدة والإيمان ، كمحمد ومن معه . قال الإمام علي (ع) : ان أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاءوا به ، ثم تلا الآية ، وقال : ان ولي محمد من أطاع الله ، وان بعدت لحمته ، وان عدو محمد من عصى الله وان قربت قرابته . (والله ولي المؤمنين) به، وحده لا شريك له ، ولا يلجأون الى غيره في كشف الضر، وطلب النفع .

ولا شيء أدل على عظمة الإمام واخلاصه لله وللحق وتجرده عن الغايات والأهداف الدنيوية من قوله هذا ، وعدم تشبثه بالقرابة ، مع العلم بأنه أقرب الناس لحمة للرسول (ص) ، وما ذاك الا لأنه يستمد عظمته من نفسه وأعماله لا من الأرومات والقرابات ، ولا من التمويه والتغطيات .

وما يضلون الا أنفسهم الآية ٦٩ – ٧١ :

وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ★ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأَنْتُم تَشْهَدُونَ★ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ★

الاسلام قوة للاديان السماوية :

(ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا أنفسهم وهم لا يشعرون) . المراد بطائفة من أهل الكتاب جماعة من رؤساء أديانهم .. وتنطبق هذه الآية كل الانطباق على المبشرين المسيحيين .. انهم يحاولون جهد المستطيع أن ينصّروا المسلم ، فإن استعصى عليهم حاولوا تضليله وتشكيكه في الإسلام ، مكتفين أن يكون لادينياً .. ولكنهم بهذا يسيئون الى أنفسهم ، من حيث لا يشعرون ، لأن ضعف الإسلام كدين يوجه الناس الى الايمان بوجود مدبر حكيم وراء هذا الكون – يعني انهزام جميع الأديان ورؤوسها الذين يسيرون في هذا الاتجاه ، ومنهم القائمون على الديانة المسيحية .. وبهذا نجد تفسير قوله تعالى : « وما يضلون الا أنفسهم وما يشعرون » .

ولا أدري لماذا لم يتنبه المفسرون الى هذا المعنى مع وضوحه ، حيث قالوا : ان المراد بإضلال أهل الكتاب لأنفسهم هو عقابهم غداً على محاولتهم اضلال المسلمين . أما الشيخ محمد عبده والرازي فقد فسرا ضلالهم لأنفسهم بأن محاولة اضلال المؤمنين لم تجدهم نفعاً ، بل تعود عليهم بالخيبة والفشل ، إذ ما من مسلم يستجيب لهم، وينخدع بأضاليلهم .. والصحيح ما ذكرناه من ان ضعف الإسلام هو ضعف للاديان السماوية وأهلها .

وعلى أية حال ، فإن الإسلام بأصوله ومبادئه أقوى من أن تهزمه الديانة المسيحية وغيرها من الديانات ، فلقد دخل في دين الإسلام أفواج من الوثنيين وأهل الكتاب عن رضى واقتناع ، وفيهم العلماء والمتنورون ، وما عرفنا واعياً واحداً ترك الإسلام بعد أن اعتنقه وعرف حقيقته .

قال الكونت الفرنسي هنري دي كاستري في كتاب «الإسلام سوانح وخواطر» فصل « الإسلام في الجزائر » ، قال ما نصه بالحرف : « لقد شاهدنا الإسلام يبرهن على قوته وحياته باكتساب الوثنيين في افريقيا ، وتجنيدهم تحت راية القرآن .. وليس من أهل الإسلام من يمرق عنه الى غيره .. ومن الصعب على أحد المسيحيين أن يُنصّر مسلماً ، والسبب هو اعجاب المسلم كل الاعجاب بكونه من الموحدين » .

وبالمناسبة اشير الى هذه النادرة الطريفة : في العشرة الثالثة من هذا القرن ، أعني القرن العشرين ذهب جماعة من المبشرين المسيحيين الى مدينة العمارة بالعراق؛ وجميع أهلها شيعة مسلمون، ذهبوا الى هذه المدينة بقصد تحويل أهلها أو البعض منهم الى النصرانية ، وأنشأوا لهذه الغاية مدرسة ومستوصفاً في المدينة ، وبثوا الدعايات ، وأقاموا الحفلات ، وبذلوا الأموال الطائلة .. وكان خطيبهم يعتلي المنبر ، ويعدد ، ويردد معجزات السيد المسيح (ع) .. ولكن كلما ذكر معجزة صاح المسلمون بأعلى أصواتهم: صلوات الله على محمد وآل بيت محمد .. ولما تكرر ذلك مرات ومرات ، ولم تجدهم الأموال والمدرسة والمستوصف نفعاً يئسوا وعادوا من حيث أتوا خائبين خاسرين .

(يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون) . المراد بآيات الله هنا الدلائل على نبوة محمد (ص) وصدق القرآن، وسمو تعاليم الإسلام : (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) . المراد بالحق هنا ما استبان لأهل الكتاب من صدق الإسلام ونبيه .. وقد كان بعض أهل الكتاب، وما زالوا يدسون ويكيدون للمسلمين ودينهم ، وينسبون الى نبيهم وإليهم والى قرآنهم الأكاذيب والافتراء .. من ذلك على سبيل المثال : « ان محمداً كان يدعو الناس الى عبادته في صورة وثن من ذهب ، وانه كان يضرب بالطبل والزمر ، وانه مختل الأعصاب مضطرب العقل » الى غير هذه الألفاظ التي تدل

على الحقد والضعة والخساسة[1] .

وقال الدكتور زكي نجيب محمود في كتاب « أيام في أمريكا » : انه حضر في الولايات المتحدة تمثيلية كلها سخرية من القرآن ، وازدراء للاسلام، واستخفاف وتحقير لمحمد (ص) .. هذه هي بلاد النور والحضارة ، والتي تزعم انها تحمل شعار الدين ، وتلقي قنابلها على المستضعفين باسم محاربة الإلحاد .

آمنوا وجه النهار واكفروا آخره الآية ٧٢ - ٧٤ :

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ★ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى ٱللهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ★ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَٱللهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ★

المعنى :

(وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون) . أي يرجع المسلمون عن الإسلام ، وتشير الآية الى خدعة تواطأ عليها جماعة من رؤساء أهل الكتاب ، وخلاصتها أن يظهروا الاسلام أول النهار ، ويرتدوا عنه في آخره عسى أن يقع بعض ضعاف النفوس والعقول من المسلمين في الشك والبلبلة ، ويقول لولا ما ظهر لهم من

[1] هذه البذاءات وما اليها جاءت في مقدمة كتاب الإسلام سوانح رخواطر الفرنسي دي كاستري ، نقلها المؤلف من كتب كثيرة ، وضعها الغربيون للشتم والطعن بالإسلام ونبي الإسلام ، ثم فندها ، ورد عليها بالحجة ومنطق الحق .. وصدق الله حيث يقول : ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك ٧٥ آل عمران.

عدم صدق محمد (ص) لم يكفروا بعد أن آمنوا به ..

وتسأل : هل نفذوا هذه الحيلة التي تواطأوا عليها ، أو ان الله سبحانه أخبر نبيه وفضحهم قبل أن يقدموا على التنفيذ ؟

الجواب : ان كل ما دلت عليه الآية انهم قالوا ، أما وقوفهم عند حد القول ، أو تجاوزهم عنه إلى الفعل فقد سكتت عنه ، ونحن أيضاً نسكت عما سكت الله عنه .. وعليه فلا وجه لما جاء في كثير من التفاسير انهم صلوا مع النبي صلاة الصبح، ثم رجعوا آخر النهار ، وصلوا صلاتهم ، ليرى الناس انه قد بدت لهم ضلالة الدين . اللهم الا أن يصح النقل بذلك .

(ولا تؤمنوا إلا لمن اتبع دينكم) . كثيراً ما يساء فهم هذه الآية،ويُستشهد بها على انها من كلام الله سبحانه ، لا من كلام اليهود ، بل سمعت أكثر من واحد يلفظ بها (ولا تأمنوا) معتقداً ان الله سبحانه أراد بهذه الآية أن لا نأتمن إلا من كان على ديننا .

والصحيح ان الآية بقية من كلام المعاندين الماكرين من أهل الكتاب .. وقد نقلها الله تعالى حكاية لكلامهم، أي ان بعض أهل الكتاب قالوا لبعضهم الآخر: آمنوا أول النهار ، واكفروا في آخره ، وقالوا أيضاً : (لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) . والمراد من لا تؤمنوا،الاطمئنان ، لا الأمانة ولا الاعتقاد ، وإلا تعدت بالباء لا باللام ، والمعنى ان بعض أهل الكتاب قال لبعض : لا تطمئنوا لأحد إلا لمن اتبع دينكم ، تماماً كقوله تعالى : ويؤمن للمؤمنين،أي يطمئن لهم .

(قل ان الهدى هدى الله) . هذه جملة معترضة خاطب الله بها نبيه قبل أن ينتهي من حكاية أقوال أهل الكتاب ، والقصد من قوله : (الهدى هدى الله) الرد على محاولة أهل الكتاب المجرمة ، وخديعتهم بإظهار الإسلام ، ثم اظهار الارتداد عنه ، ليشككوا بذلك ضعاف العقول من أتباع الرسول الأعظم (ص)، القصد الرد عليهم بأن هذه الخديعة لا تجديهم شيئاً ، لأن الإسلام هداية من الله لا تزيله ولا تزعزعه المكائد والمصائد .. قال تعالى : « ومن يهد الله فما له من مُضِلّ – ٣٧ الزمر » .

(أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجّوكم عند ربكم) . هذا آخر ما حكاه

هنا من كلام أهل الكتاب . وخلاصة المعنى ان رؤوس أهل الكتاب كانوا يعتقدون بينهم وبين أنفسهم بأنه يجوز أن يرسل الله نبياً من غير بني اسرائيل، وان النبوة ليست وقفاً عليهم .. ولكنهم بعد ان جاء محمد (ص) أظهروا أمام الناس، حسداً وبغياً، ان كتبهم وديانتهم تحتم أن يكون النبي من بني اسرائيل وحدهم ، دون غيرهم ، أظهروا هذا ، وهم يعلمون بأنهم كاذبون ومعاقبون، ومحجوجون غداً عند الله ، وخافوا أن يصل علمهم بأنهم كاذبون محجوجون عند الله ، أن يصل الى المسلمين ، فيزدادوا تمسكاً بالإسلام ، لذلك قال بعضهم لبعض : اياكم أن تقولوا أمام المسلمين : اننا نحن أهل الكتاب نعتقد بأنه يجوز أن يؤتي الله النبوة لغير اسرائيلي، أو تقولوا أمام المسلمين : انّا محجوجون غداً ومغلوبون ، لكتماننا الحق ومعاندته .

وبتعبير ثان ان أهل الكتاب ، وبخاصة اليهود، قد علموا علماً أكيداً انهم على ضلال بتكذيبهم محمداً (ص) ، وخافوا أن يخبر المسلمين مخبر منهم بهذه الحقيقة ، فتواصوا بالتستر على ضلالهم ، واظهار ان النبي لا يكون ولن يكون عربياً .

هذا هو خلق اليهود منذ وجدوا ، حتى اليوم ، والى آخر يوم .. يكذبون ويعلمون انهم يكذبون ، ويتخذون ستاراً واهياً من التلبيس والتمويه ، ولكن سرعان ما يفتضحون .. وليس القرآن الكتاب الوحيد الذي سجل رذائلهم وجرائمهم فإن كتب الأديان ، وبخاصة الإنجيل ، وكتب التاريخ والصحف والاذاعات كلها تردد وتكرر تاريخهم المجرم الآثم .. وهذا هو السر في اضطهاد الأمم لهم ، والتنكيل بهم من عهد فرعون الى عهد هتلر .. وما استطاعت أمة على وجه الأرض قديماً وحديثاً ان تحتملهم الا الولايات المتحدة .. لأن شبه الشيء منجذب اليه .

(قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) . قال المفسرون: المراد بالفضل هنا خصوص النبوة والرسالة ، وانها بيد الله تعالى يختار لها من هو جدير بها ، وكفؤ لها ، سواء أكان اسرائيلياً ، أو عربياً ، وانه سبحانه قد رد بذلك على اليهود الذين أعلنوا بأن الله لا يبعث نبياً الا منهم .

هذا ما قاله أهل التفسير ، واستدلوا بأن السياق يـــدل عليه ، لأنه بصدد الحديث عن أهل الكتاب ومزاعمهم الكاذبة ، وخدعهم الباطلة .

والذي نراه ان الفضل في الآية باقٍ على عمومه ، وانه يشمل النبوة والحكمة والهداية والإسلام ، وغيره من الفضائل ، وكما يتحقق الرد على اليهود مع ارادة خصوص النبوة من الفضل كذلك يتحقق مع ارادة العموم ، لأن النبوة من جملة أفراد الفضل والفضيلة .

آمنا بجميع الأنبياء الآية ٨٤ ـ ٨٥ :

قُلْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسٰى وَعِيسٰى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ★ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ★

المعنى :

مرّت الآية الأولى مع تفسيرها في الآية ١٣٦ من سورة البقرة ، والخلاصة ان كلاً من اليهود والنصارى يؤمنون ببعض الأنبياء ، ويكفرون ببعض ، أما المسلمون فإنهم يؤمنون بالجميع لأن دعوة الأنبياء واحدة ، وهدفهـــم واحد ، فالتفرقة بينهم من حيث الايمان بنبوتهم حكم على الشيء الواحد بالسلب والايجاب في آن واحد .

أما الآية الثانية ، وهي قوله تعالى : (ومن يبتغِ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منهِ) فيعرف المراد منها من مراجعة تفسير قوله تعالى : (ان الدين عند الله الإسلام) الآية ١٩ من هذه السورة .

وتجمل الاشارة الى اني رأيت البعض يستدل بالآية ٦٢ من سوره البقرة : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » يستدل البعض بهذه الآية على انه لا فرق بين المسلم واليهودي والنصراني ما دام كل منهم يؤمن بالله واليوم الآخر .. وهذا خطأ من وجهين : الأول ان المراد بالمذكورين في الآية كل من مات على الايمان والعمل الصالح من أهل الأديان السابقة على محمد (ص) . وقد بيّنا ذلك مفصلاً عند تفسير الآية . الثاني ان لفظ الآية وان كان عاماً بظاهره لكل زمان الا ان قوله تعالى : (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) يخصص آية اليهود والنصارى بالمؤمنين منهم قبل عصر محمد (ص) ، أما من آمن بالله واليوم الآخر ، ولم يؤمن بمحمد بعد بعثته مع بلوغه دعوته فإن ايمانه ليس بشيء (وهو في الآخرة من الخاسرين).

بنو اسرائيل والطّعام الآية ٩٣ ـ ٩٥ :

كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ★ فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ★ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ★

المعنى :

(كل الطعام كان حلاً لبني اسرائيل) . لهذه الآية قصة تتلخص بأن أكثر من آية صرحت ان محمداً (ص) ومن معه هم على ملة ابراهيم ، يؤمنون بالله، وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء .. ومعنى هذا في ظاهره ان كل ما كان حراماً في دين هؤلاء الأنبياء

فهو حرام في دين الإسلام ، وكان اليهود يعتقدون ان لحوم الإبل وألبانها كانت محرمة في دين الأنبياء المذكورين ، وقد رأوا محمداً (ص) يحللها ، مع ان هذا التحليل يتنافى مع قوله : انه على ملة ابراهيم،وانه يؤمن بما أنزل على ابراهيم، والأنبياء من بعده .

واعتماداً على هذا الزعم أشاع اليهود وأذاعوا بقصد الطعن والتشكيك في الاسلام ان محمداً يناقض نفسه بنفسه .. يحلل من الطعام ما كان محرماً في ملة ابراهيم ، وفي نفس الوقت يدعي انه على ملة ابراهيم .. فرد الله عليهم بقوله : (كل الطعام كان حلاً لبني اسرائيل) . أي ان ابراهيم ومن جاء بعده لم يحرموا لحوم الإبل وألبانها، بل كل الطعام كان حلاً لهم .. واليهود كاذبون مفترون في نسبة التحريم إلى أنبيائهم .

(الا ما حرم اسرائيل على نفسه) . اسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ، وكان قد امتنع من تلقائه عن بعض الأطعمة ، لسبب يعود اليه خاصة ، ولم يمتنع عنه ، لأن الله قد حرمه .. بل كما يمتنع أحدنا عن التدخين، أو غيره لأسباب صحية ، وما اليها .. ولكن جرت سنة بني اسرائيل على اتباع أبيهم في تحريم ما كان قد حرمه هو على نفسه .. وكان ذلك (من قبل أن تنزل التوراة) ذكر الله سبحانه هذا القيد ، لأنه قد حرّم عليهم أنواعاً كثيرة بعد التوراة بسبب الذنوب التي اقترفوها ، كما أشارت الآية ١٦٠ من النساء : « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً » أما الأنواع التي حرمت عليهم بعد نزول التوراة فقد جاء ذكرها في الآية ١٤٦ من الانعام : « وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون » . والتفصيل في محله .

وتجمل الاشارة هنا الى ان المسلمين متفقون كلمة واحدة على ان الأصل هو الحل في جميع المأكولات والمشروبات ، حتى يثبت العكس .

(قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) . هذا تحد لليهود ان يحضروا التوراة ، وهي المعتمد عندهم ، أن يحضروها ويقرأوا نصوصها على الملأ إن

كانوا صادقين في دعواهم تحريم لحم الإبل أو غيره .. ولكنهم بعد هذا التحدي تواروا ، ولم يجسروا على اتيان التوراة ، لأنهم على علم اليقين بصدق النبي ، وكذبهم .

(فمن افترى .. بعد ذلك) . أي بعد ظهور الحجة ، وقيام الدليل على الحق . (فأولئك هم الظالمون) ، لأنهم ضلوا وأضلوا بالإصرار على الباطل ، ومعاندة الحق . (قل صدق الله) . في ان كل الطعام كان حلاً لبني اسرائيل ، وان محمداً رسول الله حقاً . (فاتبعوا ملة ابراهيم) في استباحة لحوم الإبل وألبانها (حنيفاً) مستقيماً على دين الحق .

ولا بد من الاشارة الى ان محمداً (ص) كان على ملة ابراهيم ، وملة جميع الأنبياء في العقيدة وأصولها ، أما شريعته فإنها مستقلة عن كل الشرائع ، مع العلم بأنها جميعاً قائمة على المصالح .. ولكن المصالح تختلف باختلاف الظروف والمناسبات .. واتفاق الشرائع في تحليل الأطعمة لا يستلزم وحدتها من جميع الجهات .. وعلى أية حال ، فإن القصد من الآيات التي شرحناها هو تكذيب اليهود فيما نسبوه الى الأنبياء من تحريم بعض الأطعمة .

أول بيت الآية ٩٦ ـ ٩٧ :

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ★ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ★

المعنى :

(ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين) . سبق الكلام مفصلاً في تفسير الآية ١٤٢ وما بعدها من سورة البقرة عما قال اليهود حول تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة ، ولهذه الآية صلة بآيات سورة البقرة،

بخاصة قول السفهاء هناك : « ما ولاهم عن قبلتهم » .

وقوله تعالى : (ان أول بيت وضع للناس) لا دلالة فيه انه أول بيت وجد على وجه الأرض ، بل هو ظاهر في انه أول بيت وضع للطاعات والعبادات ، لأن الناس ، كل الناس، شركاء فيه ، وبديهة ان الناس جميعاً لا يشتركون في بيت واحد الا اذا كان موضوعاً لجهة عامة ، كالعبادة والطاعة، أما سائر البيوت فكل بيت منها يختص ببعض الناس دون بعض .

ثم ان بعض أهل التفسير سودوا الصفحات في التحقيق ونقل الأقوال في الكعبة: هل هي أول بيت بني على وجـــه الأرض ، أو غيرها أسبق في البنـاء .. ولا جدوى وراء هذا البحث ، لأنه لا يمت الى أصول الدين ، أو فروعه بسبب ، ولا يطلب الاعتقاد به ايجاباً ولا سلباً .

(مباركاً وهدى للعالمين) . والمراد بالبركة هنا زيادة الثواب ، قال رسول الله (ص) : « فضل المسجد الحرام على مسجدي كفضل مسجــدي على سائر المساجد ... صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه .. من حج ولم يرفث ، ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .. الحج المبرور ليس له أجر الا الجنة » . الى غير ذلك كثير .. اما ان المسجد الحرام هدى للعالمــين فلأنه يذكر بالله سبحانه ، ويوحي بالخشوع والخضوع . ٩٧

(فيه آيات بيّنات مقام ابراهيم) . كأنّ سائلاً يسأل : ما الدليل على ان الكعبه قديمة ، وانها أول بيت وضع للعبادة ، وليس بيت المقدس ؟.

وهذه الآية تصلح جواباً عن هـذا السؤال ، لأن ابراهيم قديم ، وهو الذي بنى الكعبة ، فتكون قديمة بقدم بانيها ، أما بيت المقدس فقد بناه سليمان ، وهو يسمى معبد سليمان حتى الآن ، وبين ابراهيم وسليمان عدة قرون .. ونقل صاحب تفسير المنار عن كتب اليهود ان سليمان بنى بيت المقدس سنة ١٠٠٥ قبل الميلاد.. والدليل على ان ابراهيم هو الذي بنى الكعبة الآثار الواضحة والموجودة حتى الآن، منها مقام ابراهيم ، فإن العرب ما زالوا يتناقلون بالتواتر أبـاً عن جد ان هذا الجزء الخاص من المسجد الحرام كان موضع قيام ابراهيم للصلاة والعبادة . فكما دل اسم معبد سليمان على انه هو باني بيت المقدس ، فإن اسم مقام ابراهيم يدل على انه هو باني الكعبة ، وانها قديمة بقدمه .

ضربت عليهم الذلة الآية ١١٢ :

ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ ٱللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ ٱللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ ٱللهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ★

المعنى :

(ضُربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضُربت عليهم المسكنة) . اتفق المفسرون على ان هذه الآية نزلت في اليهود ، كما اتفقوا على ان المراد منها ان الله سبحانه قد سلبهم العزة والكرامة ، وكتب عليهم الذل والهوان من يوم الإسلام الى آخر يوم ، لأنهم قد بلغوا من الفساد والطغيان حداً لم يبلغه أحد من قبلهم ، ولن يبلغه أحد من بعدهم ، وبعد ان اتفق أهل التفسير على هذا اختلفوا فيما بينهم على نوع الذلة والمسكنة التي لازمت اليهود ، والتصقت بهم في كل جيل .

وهذا الاختلاف بين المفسرين ناشيء عن اختلاف أوضاع اليهود في عصر التفسير ، حيث كانوا يدفعون الجزية للمسلمين .. أقصد ان قول المفسر جاء انعكاساً لما كان عليه اليهود في عصر المفسر .. وليس هذا بغريب ما دام الانسان يتأثر – حتماً – بما يسمع ويرى ، وتفسيري التالي لهذه الآية يخضع لهذه القاعدة .

ومهما يكن ، فإن الذي أفهمه من ذل اليهود وهوانهم الذي عنته الآية انهم مشتتون في شرق الأرض وغربها ، وموزعون بين الدول مع الأقليات ، فهم دائماً تابعون غير متبوعين ، ومحكومون غير حاكمين في دولة منهم ولهم ، مستقلة لها كيانها وشأنها بين الدول .

أما اسرائيل التي قامت أخيراً في تل أبيب فانها دولة في الاسم فقط ، أما في

الواقع فهي قاعدة من قواعد الاستعمار ، تماماً كمطاراته وثكناته العدوانية . وقد ظهرت هذه الحقيقة بأوضح معانيها بعد عدوان اسرائيل على الأراضي العربية في ٥ حزيران سنة ١٩٦٧ . لقد أوجد الاستعمار اسرائيل ليتخذها أداة لتحقيق مآربه، ولو تخلى عنهـا يوماً واحداً لتخطفها العرب من كل جانب .. وهذا هو الذل والهوان بعينه . ان العزيز يستمد قوته من نفسه ، ويذود عن كيانه بساعده ، لا بسواعد الناس .

وبهذا يتبين معنا ان المراد بحبل من الناس المساعدات المادية والمعنوية التي تمد الدول الاستعمارية بها قاعدتهـا الاستعمارية اسرائيل ، ومن أجل هذا نؤمن إيماناً لا يشوبه ريب بأن دولة اسرائيل ستزول بزوال الاستعمار لا محالة ، والاستعمار في طريقه الى الزوال آجلاً أو عاجلاً ، وليس هذا القول مجرد أمنية ، وانما هو نتيجة حتمية لمنطق الحوادث .. كما جاء في الحديث النبوي : « لا تقوم الساعة، حتى تقاتلوا اليهـود .. وان الحجر ليقول – أي بلسان الحال – يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله »[1] .

أما حبل الله فهو كناية عن مشيئته تعالى،أي ان اليهود يلازمهم الذل والهوان إلا أن يشاء الله ، فهو تماماً كقوله سبحانه : « النار مثواهم خالدين فيهـا إلا أن يشاء الله » .

ثم بيّن سبحانه السبب الموجب لذلهم ومسكنتهم ، وغضب الله عليهم ، بينه بقوله : (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) . تقدم مثله في الآية ٦١ من سورة البقرة .

ولك أن تسأل : ان غير اليهود من الأمم والطوائف قد كفروا بآيات الله ، وقتلوا الأبرياء ، وعصوا ، واعتـدوا ، ومع ذلك لم يضرب الله عليهم الذلة والمسكنة ، فما هو السر لتخصيص اليهود ؟

الجواب : ان الانسان قد يطغى ، بل ويتمادى في الطغيان بدافع من مصلحته ومنافعه ، اما أن يطغى لا لشيء إلا حباً بالغي والطغيان ، كغاية ، أما هـذا فلم يعهد من أحد إلا من اليهود فقط .. وهـذا الشغف بالظلم والبغي من صميم

---

١ رواه البخاري في الجزء الرابع ، باب قتال اليهود ، ومسلم في القسم الثاني من الجزء الثاني ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ، فيتمنى أن يكون مكان الميت .

دين اليهود وعقيدتهم ، فهم يعتقدون ان الله معهم دون غيرهم ، بل ضد كل من عداهم ، وانـــه ما خلق الناس إلا من أجلهم ، وإلا لكي يفعلوا بهم ما يشتهون ، تماماً كما يفعل الانسان بالحيوان ، ولا شيء أدل على ذلك من سيرتهم قديماً وحديثاً، بخاصة فظائعهم في فلسطين، وبصورة أخص ما فعلوه في دير ياسين من ذبح النساء والأطفال .

لقد كانوا من قبل يقتلون الأنبياء يوم كان في الدنيا أنبياء ، أما اليوم فيقتلون المصلحين كبرنادوت[1] ، والنساء والأطفال ، لأن المهم في عقيدتهم ، وحسب فطرتهم هو قتل الأبرياء أنبياء كانوا ، أو مصلحين أو أطفالاً لا فرق .. وقد نصت توراتهم على استباحة دم النساء والأطفال ، وحثت على هتكه واراقته .

وبالجملة ، فان الكفر بآيات الله،وقتل المصلحين والأبرياء ، والبغي والاعتداء، كل ذلك وما اليه دين وعقيدة لليهود ، فإذا ارتكب اليهودي جريمة بحق غير اليهودي فإنما يرتكبها تلذذاً واشباعاً لرغبته ، لا سداً لحاجته ، وإذا كف فإنما يكف خوفاً ، لا تعففاً ، وهذا هو وجه الفرق بين اليهود وغيرهم ، فلا غرابة إذا جازاهم الله بالذل والهوان أينما ثقفوا .. اما دولة اسرائيل الحديثة الخبيثـــة فانها الى زوال لا محال ، وأقوى الشواهد هو ارتباطها بالاستعمار حدوثاً وبقاء ، توجد بوجوده ، وتزول بزواله .. وزواله حتم ، وان امتد الزمن ، مـا دامت البشرية تأباه بفطرتها وتقاومه بدمائها .. وما ذكرناه هنا عن اليهود متمم لكلام سابق في فقرة « لا قيـــاس على اسرائيل » عنـــد تفسير الآية ٦٣ و ٦٦ من سورة البقرة .

ضُربت الذلة على اسرائيل بحكم التوراة :

جاء في القرآن الكريم عن بني اسرائيل قوله تعالى : « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا – ١١٢ آل عمران » . وتكلمنا مطولاً حول هذه الآية في ج ٢ ص ١٣٣، وقلنا : ان اسرائيل قاعدة من قواعد الاستعمار ، وانها زائلة لا محالة عاجلاً أو آجلاً .

---

[1] رجل سويدي أرسلته الامم المتحدة سنة ١٩٤٨ ليقوم بدور رسول السلام في تنفيذ قرارات الأمم المتحدة حول قضيةفلسطين ، فاغتاله اليهود في القدس المحتلة بعد ثلاثة أشهر من بدء مهمته .

والآن ننقل من نصوص الأسفار – أي الكتاب المقدس عند اليهود – ما يدل بصراحة ووضوح على ان الله كتب على اسرائيل الذلة والمسكنة حتى يومها الأخير. فقد جاء في سفر الملوك الثاني اصحاح ١٧ الآية ١٩ و ٢٠ : « فغضب الرب جداً على اسرائيل .. فرذل الرب كل نسل اسرائيل وأذلهم » . وفي سفر ارميا اصحاح ٩ الآيــة ١٥ و ١٦ : « ها أنا ذا أطعم هذا الشعب أفسنتينا واسقيهم العلقم وأبددهم في أمم لم يعرفوها هم ولا آباؤهم ، وأطلق وراءهم السيف حتى افنيهم » . وأيضاً في سفر التثنية اصحاح ٢٨ الآية ٦٢ و ٦٣ : « فتبقون نفراً قليلاً .. فتستأصلون من الأرض » . الخطاب لبني اسرائيل ، الى غير ذلك من النصوص الدالة على بغي اليهود وفسادهم وذلهم وهوانهم .

ونسأل الصهاينة : اذا كنتم شعب الله المختار كما تزعمون فلماذا حكم الرب عليكم وعلى نسلكم بالذلة والرذالة والتشريد الى ان تستأصلوا من الأرض ؟ وكيف قطع الرب عهداً على نفسه أن يجعل اورشليم رجماً ومأوى لبنات آوى كما جاء في سفر ارميا اصحاح ٩ الآية ١١ : « واجعل اورشليم رُجماً ومأوى بنات آوى، ومدن يهوذا اجعلها خراباً بلا ساكن » ؟. وما هو الكتاب المقدس لدولتكم الدينية العنصرية كما قال بومبيدو رئيس جمهورية فرنسا . هل هو التوراة التي وصفتكم ووصفت عاصمتكم بقولها : « هكذا قال الرب : أيتها المدينة – أي اورشليم – السفاكة الدم .. يا نجسة الاسم يا كثيرة الشغب ، هوذا رؤساء اسرائيل كل واحد حسب استطاعته كانوا فيك لأجل سفك الدماء – سفر حزقيال اصحاح ٢٢ الآية ٣ و ٦ » .

لقد وصف القرآن الكريم بني اسرائيل بأبشع النعوت وأقبحها ، ولكنه لم يزد شيئاً عما جاء في التوراة والكتاب المقدس عند اليهود .. وقد جاء ذم اورشليم في انجيل لوقا اصحاح ١٣ : «يا اورشليم يا اورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين» ويقول الانجيل : ان اليهود في كل زمان ومكان يشاركون في الجريمة أجدادهم الذين صلبوا السيد المسيح لأنهم راضون بأفعالهم مؤمنون بأقوالهم : انه ابن زنا ودجال .. وما جاء في الانجيل يتفق تماماً مع المبدأ الاسلامي القائل : « العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء » .

ومن أجل هذا عارضت الكنيسة القبطية بابا روما حين أصدر هو وأعوانه وثيقة تبرئة يهود الجيل من دم المسيح .. وتجدر الاشارة إلى أن هـــذه الوثيقة أصدرها بابا روما قبيل عدوان اسرائيل على البلاد العربية بقليل .

سورة النساء

بِسْمِ اللهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا الآية ٤٤ ـ ٤٧ :

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ ٱلْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ★ وَاللهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللهِ نَصِيراً★ مِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِنْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً★ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً★

اسرائيل وقوى الشر :

(ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل) ، يدل سياق الكلام على ان المراد بالذين أوتوا نصيباً من الكتاب هم اليهود ، حيث وصفهم الله بالضلال.

وما عرف التاريخ قوماً أشد عناداً للحق ، وعداء للخير من اليهود ، فقد كانوا ضالين مضلين محرفين يوم كانوا أذلاء محكومين ، أما اليوم ، وبعد أن خلق لهم الاستعمار دولة القراصنة والسفاحين ، فلم يقفوا عند الضلال والاضلال والتحريف ، بل صاروا رمزاً للشر العالمي ، وسلاحاً فتاكاً يملكه كل مستعمر ومتآمر على العباد والبلاد ، ومقياساً يميز قوى الشر والغدر عن قوى الخير والتحرر .. فما من دولة استعمارية في هذا العصر تهدف الى استعباد الشعوب الا وتلجأ الى اسرائيل لتحقق أهدافها ومراميها ، وما من فئة مستغلة باغية في الشرق والغرب الا تستعين في حماية مصالحها بهذه العصابة الغاشمة الآثمة .

(والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً) . الله يعلم ، ونحن أيضاً نعلم ان اليهود ومن يساندهم أعداء الحق والانسانية ، ولم يعد هذا خافياً على أحد بعد أن أصبحت الصهيونية ودولة اسرائيل رمزاً للشر العالمي ، ولكن الكثير منا لا يعرف المنافقين العملاء ، لأنهم يختفون بثوب الأخيار ، ويموهون على البسطاء .. ولهؤلاء يوم يظهرون فيه على حقيقتهم ، ويتولى الله خزيهم ، واستئصال شأفتهم في أيدي المؤمنين والأحرار الطيبين .

ولكن الدلائل التي ظهرت تبشر ، ولله الحمد ، بتهيئة السبيل وتمهيده لانسان جديد يعرف كيف يقضي على أعداء الحق والانسانية .. ان انسان اليوم – وانسان الغد في كل مكان يختلف تماماً عن انسان الأمس .. انه يميز بين المخلص والخائن، ولا يخفى عليه هذا ، حتى ولو تقنّع بألف قناع وقناع ، يميز بينهما ، ويضع كلاً في مرتبته والمكان الذي يستحقه ، وعندها يعيش الناس بلا مشاكل وقنابل .. وقد أثبتت الحوادث وبخاصة نكبة ٥ حزيران ٦٧ ان مشاكلنا نحن العرب والمسلمين لم يكن لها من مصدر الا وجود غير الأكفاء في مركز القوة ، وهذا أمر عارض يزول مع الأيام.(من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه) . وفي الآية ٤١ من المائدة

« ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين – وهم الذين يريدون اخضاع العباد والبلاد لسياستهم – يحرفون الكلم من بعد مواضعه » . وفي الآية ٧٥ من البقرة: « يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون». تماماً كما فعلوا بقرار الأمم المتحدة بوجوب انسحاب اسرائيل من الأراضي التي احتلتها في ٥ حزيران سنة ١٩٦٧ ، وفسروه بوجوب المفاوضة مع العرب[1] وعرقلوا بذلك مهمة (غونار يارينغ) المبعوث الدولي لتنفيذ القرار .. وكل كلام لا يتفق مع مقاصدهم الشريرة يحرفونه عن مواضعه ، حتى ولو عقلوا وعلموا أنه من عند الله ، فلقد حرفوا التوراة من قبل ، ووضعوا مكان آيات العدل والرحمة الأمر بالسلب والنهب ، وقتل النساء والأطفال ، قال في تفسير المنار عند تعرضه لتفسير هذه الآية : « أثبت العلماء تحريف كتب العهد العتيق،والعهد الجديد بالشواهد الكثيرة ، وفي كتاب اظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي مئة شاهد على التحريف اللفظي والمعنوي فيها » . ثم ذكر صاحب تفسير المنار بعض الشواهد لهذا التحريف في الجزء الخامس ص ١٤١ طبعة ١٣٢٨ هـ وألف الشيخ جواد البلاغي كتاباً قيماً جامعاً في هذا الموضوع ، أسماه الرحلة المدرسية، وطبع أكثر من مرة .

لقد دعا النبي (ص) يهود الحجاز مراراً الى اتباع الحق ، وعدم تحريف الكلام،فكانوا يصرون على العناد : (ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع). أي غير مسموع منك ، ولا مجاب لك فيما تدعونا اليه .. وليس هذا بغريب من عناصر الشر ، ومصادر الفساد .

(وراعنا لياً بألسنتهم وطعناً في الدين) . قال المفسرون : ان اليهود قالوا للنبي (ص) : راعنا ، وهم لا يريدون المعنى الظاهر من هذه الكلمة ، وهو مراقبتهم والاصغاء اليهم ، وانما أرادوا الرعونة والحمق ، وهذا هو اللي والطعن في الدين . وسبق الكلام عن لفظة راعنا في تفسير الآية ١٠٤ من سورة البقرة، المجلد الأول ص ١٦٦ .

---

١ ألف علماء المسلمين العديد من الكتب في اعجاز القرآن ، وذكروا أنواعاً من هذا الاعجاز ، ولكن لم يذكروا منها وصف القرآن لطبيعة اليهود وحقيقتهم ، مع انه لا يقل اعجازاً عن غيره .

(ولو انهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم) . ولأن هذا القول أعدل وأفضل ، وأقوم وأسلم أعرضوا عنه ، ولم يتفوهوا بـه . قال الرازي في تفسير هذه الآية : « المعنى انهم لو قالوا بدل قولهم (سمعنا وعصينا) سمعنا وأطعنـا ، لأنهم يعلمون بصدقك ، وبدل قولهم (واسمع غير مسمع) واسمع فقط ، وبدل قولهم (راعنا) انظرنا ، أي تمهل علينا حتى نفهم عنك، لو قالوا هذا لكان خيراً لهم عند الله وأقوم ، أي أعدل وأصوب » .

(ولكن لعنهم الله بكفرهم) . وتمردهم على الحق ، وتعصبهم للباطـل ، ولعنة الله هي غضبه وسخطه (فلا يؤمنون إلا قليلاً) . لقـد دخل الناس في الاسلام أفواجاً من جميع الطوائف والأديان على مدى التاريخ إلا اليهود ، فمـا أسلم منهم إلا قليل كعبدالله بن سلام ، وبعض أصحابه ، بـل حاربوا الاسلام والمسلمين ، وما زالوا يكيدون لـه بكل الوسائل والدسائس ، وهذا من أقوى الأدلة على ان الاسلام حق وصدق .. والغريب ان قادة الاسلام ودعاته لم يستدلوا على عظمته وانسانيته بعداء اليهود الذين قالوا: « يد الله مغلولة » عدائهم للاسلام، ولكل من قال : لا إله إلا الله .

(يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما أنزلنا مصدقاً لما معكم) . ظاهر الخطاب يشمل اليهود والنصـارى ، لأنهم جميعاً من أهل الكتـاب .. وقيل : الخطاب مختص باليهود بقرينـة السياق . والمراد بما أنزلنا القرآن الكريم ، فانه مصدق للتوراة كما نزلت على موسى (ع) ، وللانجيل كما نزل على عيسى (ع) .

لقد دعا النبي (ص) اليهود الى الاسلام باعتباره حقاً من عند الله ، وقـدم لهم الدلائل والبينات مرات بعـد مرات .. ولكن ما لليهود والحق وبراهينه ؟.. انهم لا يدينون إلا بالربح والمال ، ولن يجدوا الربح العاجـل في الاسلام ، ولا في التوراة ، وانما يجدونه في الاحتكار والربـا ، وفي السلب والنهب ، والغش والخداع ، والدعارة والقمار ، واثارة الفتن والحروب ، وما الى هذه من المفاسد والموبقات : ومن أجل هذا سبقوا في هذا الميدان الأولين والآخرين ، والنبي (ص) يعلم هذا حق العلم،ولكنه دعاهم لالقاء الحجة فقط : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ـــ ١٦ الاسراء » .

(من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على ادبارها) . رأينا لهذه الآية أربعة تفاسير متناقضة ، وأرجحها فيما نرى تفسير الشيخ محمد عبده ، ويتلخص بأن الطمس كناية عن أن الله سبحانه يعمي عليهم السبيل، بحيث لا يستطيعون التوجه الى مقاصدهم ، تماماً كالذين يردّون الى الوراء كلما أرادوا التقدم الى الأمام .

(أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت) . وأصحاب السبت قوم من اليهود حرفوا الدين ، وتعدوا حدود الله ، فخذلهم وانتقم منهم في الدنيا قبل الآخرة، وتعرضنا لهم في تفسير الآية ٦٥ من سورة البقرة ص ٢٢٠ من المجلد الأول : وفي هذه الآية هدد الله خلفهم بأنهم إذا لم يرتدعوا عن الضلال والاضلال والتحريف فانه تعالى يخذلهم ، كما خذل أسلافهم .. وفي كثير من التفاسير ، ومنها تفسير الرازي ومجمع البيان والبحر المحيط قرأت جملة انقلها بالحرف ، وهي « عندنا انه لا بد من طمس أو مسخ في اليهود قبل قيام الساعة » .. اللهم آمين رب العالمين . (وكان أمر الله مفعولاً) لا رادّ لحكمه،ولا ناقض لأمره الذي يقول للشيء كن فيكون .. اللهم عجل هذا الأمر الذي يجعل دينك الأعلى ، وحزبك الأقوى .

ان الله لا يغفر ان يشرك به الآية ٤٨ - ٥٠ :

إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً★ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً★ أُنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْماً مُبِيناً★

(ألم تر الى الذين يزكون) . قال المفسرون : نزلت هذه الآية في اليهود ، وسواء أكان غرور اليهود هو السبب لنزول هذه الآية ، أو لم يكن فانها أصدق صورة عن مزاعمهم وادعاءاتهم التي لا مثيل لها في الكذب والافتراء ، مثل قولهم : نحن أبناء الله وأحباؤه ، وقولهم : لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً .

وقولهم : نحن شعب الله المختار ، أي ان الله لهم وحدهم ، وانه خلق الناس جميعاً عبيداً لهم .. ولم يكتفوا بهذا ، حتّى دفعهم الجهل والغرور الى القول : ان الله فقير ونحن أغنياء .

أجل ، لا أحد أغنى وأقدر منهم اطلاقاً على الاختلاق ، والتمويه ، والتزوير ، فبالأمس القريب أشاعوا وأذاعوا ، وملأوا الشرق والغرب صراخاً وعويلاً ان العرب يعدون العدة للهجوم عليهم ، في حين كانوا ومن يساندهم من دول الاستعمار يبيتون المكر والغدر ، ويدبرون عملية الاغتيال والهجوم على العرب ، وبعد أن أحكموا الخطة نفذوها على حين غرة ، واقترفوا من المظالم والمآثم ما أنسى الناس أعمال هتلر وجنكيزخان .

هذه صورة مصغرة من مزاعم اليهود ، ذكرناها على سبيل المثال، لا الحصر والاحصاء .. وهل تحصى مزاعم اسرائيل الكاذبة ، وفضائحها الآثمة ؟.

وتسأل : اذا كانت هذه هي حال اسرائيل فكيف استطاعت أن تقيم دولة مضى عليها أكثر من عشرين عاماً حتّى الآن ؟.

الجواب : ان دول الاستعمار هي التي صنعت اسرائيل لحماية مصالحها في الشرق، وليس لليهود من الدولة الا الاسم ، أما بقاؤها الى اليوم فلبقاء الاستعمار الذي ضرب عليها خيمة من الأوكسجين .. وهو في طريقه الى الزوال، وان طال الزمن، وبديهة ان صنيع الشيء يزول بزواله .

(انظر كيف يفترون على الله الكذب) بقولهم : نحن شعب الله المختار .. وأبناء الله وأحباؤه . وما إلى ذلك . « وقد خاب من افترى » .

يؤمنون بالجبت والطاغوت الآية ٥١ ـ ٥٢ :

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ★ أُولَئِكَ

المعنى :

(ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) . وصف الله سبحانه اليهود في الآيات السابقة بالضلال والاضلال والتحريف واللي في الكلام،وتزكية النفس كذباً وافتراء ، ثم وصفهم في هذه الآية بأنهم (يؤمنون بالجبت والطاغوت) أي بالأصنام التي يعبدها قريش .

وتسأل : كيف قال سبحانه عن اليهود انهم (يؤمنون بالجبت والطاغوت) مع العلم بأنهم لا يعترفون بأصنام قريش ؟.

الجواب : أجل ، ان اليهود لا يعترفون بأصنام قريش بينهم وبين أنفسهم ، ولكنهم اعترفوا بها دجلاً ونفاقاً ، وتعصباً وعناداً لمحمد (ص) ومن آمن به ، وقالوا لعبدة الأصنام : أنتم أهدى سبيلاً من المسلمين .. وكان الأولى باليهود أن يناصروا المسلمين على عبدة الأصنام ، لأن المسلمين أهل كتاب ، ويعترفون بالتوراة على العكس من عبدة الأصنام ، فلما خالف اليهود الحق ووقفوا مع المشركين وصفهم الله تعالى بأنهم كعبدة الأوثان (يؤمنون بالجبت والطاغوت) .

وبهذا نجد تفسير قوله تعالى : (هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً) . أي ان اليهود قالوا : المشركون أهدى سبيلاً من المؤمنين ، فالجواب عن السؤال موجود في الآية نفسها .

وبهذا يتبين ان (هؤلاء) اشارة الى عبدة الأوثان ، وان اللام في (للذين كفروا) للتعليل ، أي ان اليهود قالوا ما قالوا من أجل ارضاء الذين كفروا، وهم مشركو قريش ، ولم يقولوا ذلك ايماناً منهم بما قالوا .

(أولئك لعنهم الله) . وهم اليهود الذين نافقوا وصدقوا بالأصنام تعصباً وعناداً للمسلمين المصدقين بنبوة أنبيائهم ، كموسى وداود وسليمان ، ويحيى وزكريا .

(ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً) . الا أميركا التي سلحت اسرائيل ، وساندتها يوم ٥ حزيران ، ودافعت عنها في الأمم المتحدة ومجلس الأمن دفاعاً لا ينساه كل عربي مخلص ، ولا مسلم مؤمن ، مهما طال الزمن .. ونحن على ما بنا من جراح نؤمن ايماناً لا ريب فيه بأن الله وحده هو الناصر القاهر ، وان العاقبة في النهاية للحق والعدل ، وما على طلابـه الا أن يصبروا ولا يتعجلوا الوصول ، ويصمدوا ولا يهابوا سلاح العدو أياً كان .. وبالتالي أن يستفيدوا من التجارب .

لا يؤتون الناس نقيراً الآية ٥٣ – ٥٥ :

أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لاَ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً★ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَـا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً★ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً★

المعنى :

ما زال الكلام عن اليهود ، فقد وصفهم الله سبحانه في الآية ٤٤ بالضلال والاضلال ، وفي الآية ٤٥ بعدائهم المؤمنين ، وفي الآيـة ٤٦ بتحريف الكلام واللي فيه ، وفي الآية ٤٩ بتزكيتهم لأنفسهم ، وفي الآيـة ٥٠ بالافتراء ، وفي الآية ٥١ بالعناد والتعصب ، وتفضيل عبدة الأصنام دجلاً ونفاقاً على الموحدين، ثم وصفهم سبحانه بالبخل في هذه الآية :

(أم لهم نصيب من الملك فإذاً لا يؤتون الناس نقيراً) . والمعنى ان اليهود ليس لهـم دولة وملك ، ولو كان لهم نصيب من السلطان لاحتكروا جميـع الخيرات ، ولم يتركوا لأحد شيئاً ، حتى ولو كان مقدار النقير الحقير .. وصدق

الله العظيم ، ونبوءة القرآن الكريم ، فقد كانوا، وما زالوا لا يطيقون نعمة الله على عبدٍ من عباده ، فإن استطاعوا انتزاعها منه بالدس والمؤامرة ، أو بالربا، أو بالأغراء ببناتهم ونسائهم فعلوا،وان كان لهم شيء من القوة سلبوا ونهبوا وأجروا الدماء نهراً ، فمن اليوم الذي اغتصبوا فيه أرض فلسطين سنة ١٩٤٨ أخرجوا أهلها من ديارهم بعد أن أقاموا مذابح للنساء والأطفال في أكثر من مكان .. وفي سنة ٦٧ قامت اسرائيل بمساندة الاستعمار بعملية الاغتيال لأجزاء أخرى من البلاد العربية ، وكررت فعلتها الأولى من الذبح والتشريد ، وليس هذا بغريب على تاريخهم وطبيعتهم .

وقد ملك العرب ، وامتد سلطانهم مئات السنين ، وانتشر شرقاً وغرباً،وكان اليهود من جملة رعاياهم ، فأقاموا العدل بين الجميع ، وأحسنوا لليهود وغيرهم من أهل الأديان ، حتى قال المنصفون من علماء الغرب كغوستاف لوبون : «ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب » وشهد غيره منهم بمثل شهادته .. ولا بدع (فكل اناء بالذي فيه ينضح) كما قال ابن الصيفي .

ومن المفيد أن ننقل ما ذكره صاحب المنار عند تفسير هذه الآية منذ ٦٠ عاماً حين كانت فلسطين في حكم العثمانيين ، قال ما نصه بالحرف :

« وحاصل معنى الآية ان هؤلاء اليهود أصحاب أثرة وشح مطاع يشق عليهم ان ينتفع منهم أحد ، فإذا صار لهم ملك منعوا الناس أدنى النفع وأحقره ».

(فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيراً) . اختلف المفسرون : هل الضمير في (به) يعود الى محمد (ص) أو الى ابراهيم أو الى الكتاب ؟. والأرجح الذي يتلائم مع المعنى ، ويساعد عليه الاعتبار انه يعود الى كل نبي آتاه الله الكتاب والحكمة ، ولفظ (كل نبي) وان لم يذكر في الآية صراحة فإنه مفهوم من مجموع الكلام وسياقه .. وعلى أية حال ، فلا خلاف في أن معنى الآية انه لا غرابة ان لا يؤمن هؤلاء وأمثالهم بمحمد (ص) فإن الأنبياء السابقين آمن بهم فريق ، وكفر بهم فريق ، والفريق الكافر كان كثيراً كما قال سبحانه : « فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ــ ٢٦ الحديد » . (وكفى بجهنم سعيراً) . أي احتراقاً والتهاباً لمن صدّ عن الحق .

هذا ما قاله عالم من علماء المسلمين في تفسير هذه الآية : « أم لهم نصيب من الملك فاذاً لا يأتون الناس نقيراً » . قاله قبل أربعين عاماً من قيام دولة اسرائيل بفلسطين ، وان دل هذا على شيء فانما يدل على صدق محمد (ص) في نبوته ورسالته ، حيث أخبر بوحي من السماء قبل أكثر من ألف وثلاثمئة سنة ان اليهود لو ملكوا لكان منهم الذي حدث بالفعل سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٦٧ : « أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين — ٢٢ الزمر » .

(أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) . هذه صفة أخرى من صفات اليهود وهي الحسد ، والمراد بالناس محمد (ص) ومن معه من المؤمنين: وحسدهم اليهود على ما افاء الله عليهم من دين الحق ، والتمكين في الأرض.. ولما عجز اليهود عن رد هذه النعمة عن المسلمين تحالفوا ضدهم مع المشركين ، وبثوا الدعايات الكاذبة ضد الاسلام ونبي الاسلام،وفي النهاية دارت عليهم دائرة السوء ، وطردوا من الحجاز بما كانوا يفعلون .

(فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً) . المراد بالكتاب زبور داود ، وتوراة موسى ، وبالحكمة النبوة والعلم . والمعنى لماذا تحسدون أيها اليهود محمداً (ص) والعرب على النبوة والتمكين في الأرض ؟ فان الله قد وهب من قبل مثل ذلك لأسلافه ، كيوسف وداود وسليمان .

(فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيراً) . اختلف المفسرون : هل الضمير في (به) يعود الى محمد (ص) أو الى ابراهيم أو الى الكتاب ؟. والأرجح الذي يتلائم مع المعنى ، ويساعد عليه الاعتبار انه يعود الى كل نبي آتاه الله الكتاب والحكمة ، ولفظ (كل نبي) وان لم يذكر في الآية صراحة فإنه مفهوم من مجموع الكلام وسياقه .. وعلى أية حال ، فلا خلاف في أن معنى الآية انه لا غرابة ان لا يؤمن هؤلاء وأمثالهم بمحمد (ص) فإن الأنبياء السابقين آمن بهم فريق ، وكفر بهم فريق ، والفريق الكافر كان كثيراً كما قال سبحانه : « فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون — ٢٦ الحديد » . (وكفى بجهنم سعيراً) . أي احتراقاً والتهاباً لمن صدّ عن الحق .

أرض الله واسعة الآية ٩٧ ـ ١٠٠ :

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً★ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً★ فَأُولَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللهُ عَفُوّاً غَفُوراً★ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً★

المعنى :

كان للمسلمين في عهد الرسول (ص) هجرتان من مكة : احداهما الى الحبشة، وكانت لخمس سنين من مبعثه ، والثانية الى المدينة ، وكانت بعد ثماني سنين من الأولى ، ومن الصحابة من هاجر الهجرتين ، كجعفر بن أبي طالب الذي ختم حياته بالشهادة بعد أن قُطعت يداه ، فأكرمه الله عنهما بجناحين يطير بهما في الجنة ، ومن أجلهما سُمي الطيار .

أما سبب الهجرة فهو الابتعاد عن الوقوع في التهلكة ، واللجوء الى مكان الأمن ، وتدبير الخطة للجهاد المنظم ، ومصارعة الباطل وصرعه .. وبالهجرة وفضلها انتصر الاسلام على أعدائه ، ولولاها لانطفأت شعلته ، وتحول الى رماد تذروه الرياح ، ومن هنا كانت الهجرة حينذاك هي الفضيلة العظمى ، والمنقبة الأولى التي لا يدانيها شيء .

بين هجرة الرسول من مكة المكرمة
وهجرة الفلسطينيين من الأرض المقدسة :

من عجيب الصدف وغرائبها أن يتفق – من غير قصد – وصولي بتفسير القرآن الكريم الى آيات الهجرة – مع أول السنة الهجرية لعام ١٣٨٨ ، واسرائيل تحتل أرضنا المقدسة ، وأهلنا يهاجرون منها فراراً من التنكيل والتقتيل الجماعي الذي مارسته اسرائيل ، وما زالت تمارسه .

وقد أوحت إليّ هذه الصدفة بالمقارنة بين اعتداء المشركين في مكة على المسلمين ، واخراجهم من ديارهم ، وبين الاعتداء الاسرائيلي – وبالأصح – الاعتداء الاستعماري على الأرض المقدسة ، واخراج أهلها من ديارهم . ثم انتقلت من هذه المقارنة الى استخراج العبرة والعظة من جهاد النبي (ص) والمسلمين في هجرتهم ، وتدبير الخطط واحكامها الذي بلغ بالمسلمين الى أوج النصر على عدوهم ، وتحطيم طغيانه وعدوانه ، وأوقف صناديد قريش الذين أخرجوا النبي من مكة ، أوقفهم بين يديه أذلاء مستسلمين ، يستمعون اليه ، وهو يقول لهم : «ما تظنون اني فاعل بكم » ؟

وقد يظن البعض ان الهدف الأول من هجرة النبي والمسلمين هو مجرد الهروب بدينهم من المشركين الذين تعرضوا لهم بالأذى ، ومنعوهم من ممارسة الشعائر والأعمال الدينية ، تماماً كما يلتجىء العابد الزاهد الى المسجد ، ليقيم فيه صلاته بعيداً عن الضوضاء والغوغاء ... كلا ، لقد كانت هجرة المسلمين أبعد وأعمق من ذلك ... والدليل ما حققته من نتائج وأهداف . لقد كانت هجرة الرسول بالاضافة الى الهروب بالدين – خطة مرسومة ومدبرة تمهيداً للمعركة الفاصلة ، تماماً كانسحاب الجيش من ميدان القتال الى موقع آخر من مواقعه استعداداً للهجوم المعاكس والانقضاض على العدو بضربة قاضية لا تقوم له بعدها قائمة .

وبعد أن وصل النبي الى المدينة آخى بين أصحابه ، وجمع القلوب المتخاصمة ، وأذاب ما فيها من عصبية وأحقاد ، وحين تم له ذلك بدأ يرغّب المسلمين في الجهاد ، ويحثهم على الدفاع عن كيانهم وعقيدتهم ، ويضمن الجنة لمن يقتل في سبيل الله ، والعزة والكرامة دنياً وآخرة لمن ينجو من القتل . ولما أخذت هذه

التعاليم سبيلها الى نفوسهم شرع في تجنيدهم وتأليف السرايا ، يبعثها هنا وهناك .. وقادها بنفسه أكثر من مرة ، وحققت الاستقرار والأمن للمسلمين ، كما أقلقت راحة قريش وسلامتها .. ثم تحولت السرايا الى معارك كبرى ، والمسلمون يبذلون أرواحهم وأموالهم ، حتى جاء نصر الله والفتح : « وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا » . ١٦

وأحسب ان هذه الاشارة كافية لاستخراج العبرة التي يجب أن ننتفع بها في نكبتنا باسرائيل ومن ساند اسرائيل .

هاجر النبي (ص) من مكة لاعتداء المشركين عليه وعلى أصحابه ، وهاجر الفلسطينيون من الأرض المقدسة لاعتداء الصهيونية والاستعمار عليهم وعلى نسائهم وأطفالهم . وكانت هجرة المسلمين آنذاك ابتعاداً عن الوقوع في التهلكة، وانسحاباً من ميدان المعركة لتجميع القوى ، والاستعداد للضربة القاضية على العدو . ويجب أن يكون خروج الفلسطينيين من ديارهم بهذا القصد والروح،ولهذه الغاية بالذات، لا بقصد اخلاء البيت للصوص يسرحون فيه ويمرحون .

وبدأ النبي هجرته بالتآخي بين أصحابه .. وعلى قادة العرب والمسلمين أن يبدأوا بالتآخي والتصافي بين القلوب ، وان يوحدوا كلمتهم لمجابهة العدو ، تماماً كما فعل النبي قبل أن يجابه المشركين . ومن حاد عن هذا السبيل فقد التقى مع اسرائيل ، وحقق امنيتها من حيث يريد أو لا يريد .

وأرسل النبي السرايا ليقلق أمن المشركين ، وأمدّ المسلمون هذه السرايا بكل ما يحتاجون .. ويجب على العرب والمسلمين أن يشجعوا الفدائيين من الفلسطينيين وغيرهم ، ويمدوهم بالمال والعتاد ويتعاونوا معهم الى أقصى الحدود ، ليقلقوا راحة اسرائيل وأمنها .. وعبأ النبي جميع المسلمين للمعركة الفاصلة الكبرى ، واستأصل الشرك من جذوره بعد أن رسخ قروناً في كل جزء من أرض الجزيرة العربية .. وهذا ما يجب أن يفعله قادة العرب والمسلمين .

واذا لم نعتبر بهذا الدرس من تراثنا وتاريخنا، ونكون جميعاً جنوداً من جنود الله والوطن فلسنا جديرين باسم العرب والعروبة ، ولا باسم الإسلام والمسلمين .. بل ولا باسم الانسان والانسانية بعد أن أصبح هذا العصر عصر الفداء والكفاح والتحرر من كل ما فيه شائبة الظلم والاستغلال .

فقالوا أرنا الله جهرة الآية ١٥٣ – ١٥٤ :

يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّماءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُبِيناً★ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً★

المعنى :

(يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء) . المراد بأهل الكتاب هنا يهود المدينة الذين وقفوا من محمد (ص) موقف العدو المتعنت ، وكادوا له الكيد المستمر،وكانوا أول من ابتُلي بهم من أهل الكتاب .. ومن تعنتهم وقحتهم ما أشار اليه سبحانه في هذه الآية من طلبهم أن ينزل النبي عليهم كتاباً من السماء يشهد له ، على أن يروه رأي العين ، وبديهة انهم قالوا ذلك على سبيل التعنت ، لا طلباً للحجة ، لأن ما تقدم من معجزاته كافية وافية في الاقتناع لمن طلب الحق لوجه الحق .. وقد تولى الله تعالى الاجابة عن نبيه ، حيث قال عز من قائل :

(فقد سألوا موسى أكبر من ذلك) . أي لا غرابة ولا عجب اذا سألوك يا محمد أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فلقد سألوا موسى أكبر وأعظم من ذلك ، سألوه ان يروا الله بالذات ، (فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات) . سبق تفسير سؤالهم هذا واتخاذهم العجل في سورة البقرة الآية ٥٤ – ٥٧ ، المجلد الأول ص ١٠٤ . وتكلمنا عن جواز رؤية الله وأقوال المذاهب في ذلك ص ١٠٧ .

ومعلوم ان الذين سألوا الرؤية جهرة ، واتخذوا العجل إلهاً هم اليهود الأولون، لا يهود المدينة .. ولكن هؤلاء راضون ومؤمنون بكل ما فعل الآباء والأجداد ، ومن هنا صحت النسبة اليهم .

(وآتينا موسى سلطاناً مبيناً) . المراد بالسلطان الحجة الظاهرة ، والبرهان القاطع ، ولكن اليهود يهون عليهم كل شيء ، ولا يكترثون بشيء إلا بواحد من اثنين : اما المنفعة ، واما القوة ، ومن أجل هذا خوفهم الله سبحانه بالجبل الذي أشار اليه بقوله :

(ورفعنا فوقهم الطور) . الطور اسم الجبل الذي ناجى موسى عليه ربه ، وفي سورة التين : (وطور سينين) قال المفسرون : سينين وسيناء اسمان للموضع الذي فيه الجبل . أمر الله بني اسرائيل على لسان موسى أن يعملوا بالتوراة ، فأبوا ، فرفع الجبل فوقهم تخويفاً ، حتى قبلوا . وقوله تعالى (بميثاقهم) المراد بنقض ميثاقهم الذي قطعوه على أنفسهم بأن يلتزموا بالدين ، ثم رجعوا عنه ، ولولا الجبل لم يعودوا اليه . اذن ، فلا عجب اذا تمردت اسرائيل على الأنظمة الدولية ورفضت قرارات الأمم المتحدة ، ومجلس الأمن ، ونقضت جميع العهود والمواثيق مرات وكرات ، ولولا الخوف لم تقف عند حد .. لا عجب ولا غرابة، انها تنسجم بذلك مع تاريخ أسلافها الذين رفع الله فوق رؤوسهم الطور كي يفوا بالعهد والميثاق .

(وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً) . مر تفسيره في الآية ٥٨ من سورة البقرة ، المجلد الأول ص ١٠٩ . (وقلنا لهم لا تعتدوا في السبت) . أيضاً مر تفسيره في سورة البقرة الآية ٦٦ ، المجلد الأول ص ١٢٠ .

فبما نقضهم ميثاقهم الآية ١٥٥ ـ ١٥٩ :

فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا

قَلِيلاً★ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً★ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً★ بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً★ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً★

المعنى : أيضاً اليهود

(فبما نقضهم ميثاقهم) . أي لعناهم بسبب نقضهم الميثاق الذي التزموا به ، وأبرموه على أنفسهم ، وهو أن يؤمنوا ويعملوا بما جاءهم به موسى (ع) .. ثم غيّروا وبدّلوا ، وحرّموا ما أحل الله ، وحللوا ما حرم . (وكفرهم بآيات الله) . وهي الحجج والدلائل على نبوة عيسى ومحمد (ص) . (وقتلهم الأنبياء بغير حق) كزكريا ويحيى بعد ان قامت الأدلة على نبوتهما . (وقولهم قلوبنا غلف) . أي مغطاة لا يصل اليها شيء من دعوة محمد (ص) ، قالوا هذا للرسول الأعظم تيئيساً له من ايمانهم بنبوته ، واستجابتهم الى دعوته . (بل طبع الله عليها بكفرهم) . جملة معترضة بين المعطوفات ، جاءت للرد على قولهم : (قلوبنا غلف) والمعنى ليست قلوبكم غلفاً بطبيعتها ، وانما كفركم بمحمد وتماديكم في الغي والضلال هو الذي جعلها صلدة كالحجارة ، أو أشد قسوة .

وبعد ان بلغت قلوبهم مبلغاً لا تنفتح معه للحق بحال أصبحوا كمن خلقهم الله بلا قلوب ، وبهذا الاعتبار صحت نسبة الطبع عليها الى الله سبحانه . (أنظر تفسير الآية ٧ من صورة البقرة ، ج ١ ص ٥٣) . (فلا يؤمنون الا قليلاً) . كعبدالله بن سلام ، وثعلبة بن سعية ، وأسد بن عبيد الله وغيرهم . (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً) . كرر سبحانه نسبة الكفر الى اليهود ثلاث

مرات : الأولى بمناسبة ذكره لجحودهم آيات الله وقتلهم الأنبياء . الثانية بمناسبة قولهم : قلوبنا غلف . الثالثة عند ذكره لقولهم على مريم المنكر الذي لا يقوله الا اليهود الذين تناصرهم أمريكا « المسيحيــة » وتزودهم بالسلاح ليعتدوا على القدس، وينتهكوا الشعائر الدينية التي يقدسها المسيحيون والمسلمون، بخاصة الكنائس ومقابر المسيحيين .

(وقولهم انّا قتلنا المسيح عيسى ابن مــريم رسول الله) . وصفوه برسول الله تهكماً به وبدعوته . (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) . لمــا صمم اليهود على قتل السيد المسيح ألقى الله شبهه على أحد المجرمين المستحقين للقتل ، وقيل : ان هذا المجرم هو يهوذا الذي قاد الحملة ضد عيسى ، فأخذه اليهود، وعذبوه وصلبوه معتقدين انه السيد المسيح، وبعد الصلب فقدوا صاحبهم، فارتبكوا وتحيروا ، وقالوا : ان كان المصلوب عيسى فأين صاحبنا ؟ وان كان المصلوب صاحبنا فأين عيسى ؟.

(وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه) . اختلف اليهود والنصارى في السيد المسيح (ع) ، ووقفوا منه موقفين متناقضين ، فقــال اليهود : هو ابن زنا . وقال النصارى هو ابن الله . وأيضاً قال اليهود : صلبناه ، ودفن تحت الأرض الى غير رجعة . وقال النصارى : انــه صُلب ودُفن ، ولكنــه قام من تحت التراب ، ورجع الى الدنيا بعد ثلاثة أيام .. فرد الله سبحانه على الجميع بقوله: (ما لهم به من علم الا اتباع الظن) . والظن لا يغني عن الحق شيئاً ، والحق اليقين الذي لا ريب فيه هو ما أنبأنا الله به في قوله : (وما قتلوه يقيناً بــل رفعه الله اليه) . هذه هي الحقيقة رفعٌ الى الله تعالى ، لا قتل ولا صلب .

وهنا تتوارد الأسئلة : كيف حصل الرفع ؟ ومتى ؟ قبل صلب الشبيه ، أو بعده ؟ وهل الرفع كان بالروح فقط ، أو بها وبالجسد ؟ وهل رفع الى السماء الثانية أو الثالثة ، أو غيرها ؟ وماذا يصنع هناك ؟ وهل ينزل قبيل الساعة الى الأرض؟ الى غير ذلك من الأسئلة التي أجاب عنها القصاصون بما يشبه الأساطير.

والقرآن الكريم لم يتعرض لشيء من ذلك من قريب أو بعيد ، وكل ما دلت عليه آياته ان السيد المسيح لم يُقتل ولم يُصلب ، وان الله رفعه اليه ، وان الذي قُتل أو صُلب شخص آخر ، تخيل القتلة انه المسيح ، ولا شيء في القرآن أكثر

من ذلك ، ونحن لا نخرج عن نصوصه في مثل هذا الموضوع إلا بحديث متواتر.. بل لا نهتم بهذه الأسئلة وأجوبتها ما دمنا غير مسؤولين عنها ، ولا مكلفين بها. وسبق أن تعرضنا لما قيل في المسيح عند تفسير الآية ٥٨ من سورة آل عمران، فقرة الاختلاف في عيسى .

فبظلم من الذين هادوا الآية ١٦٠ - ١٦٢ :

فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ كَثِيراً ★ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ★ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً ★

المعنى :

(فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً) . ما زال الكلام عن اليهود وقبائحهم ، فقد ذكر سبحانه في الآيات السابقة وقاحتهم بطلبهم رؤية الله جهرة ، وعبادتهم العجل ، واعتداءهم في السبت ، ونقضهم الميثاق ، وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم الأنبياء ، وقولهم قلوبنا غلف ، وافتراءهم على مريم ، وتبجحهم بقتل المسيح .. وذكر هنا صدهم عن سبيل الله،وأكلهم الربا والرشوة ، وانه سبحانه بسبب هذه القبائح والفضائح حرم عليهم في الدنيا بعض الطيبات التي كانت حلالاً لهم ولغيرهم .

(وأخذهم الربا وقد نهوا عنه) . معطوف على بظلم من الذين هادوا . وقيل : ان اليهود أول من سنّ الربا وشرّع تحليله ، وتكلمنا عنه مفصلاً عند تفسير الآية ٢٧٥ من سورة البقرة ج ١ ص ٤٣٣ . (وأكلهم أموال الناس

بالباطل) . كالرشوة وغيرها من الوجوه المحرمة ، وقد وصفهم سبحانه في الآية ٤٢ من سورة المائدة بأنهم : « سماعون للكذب أكالون للسحت » . أما الطيبات التي حرمها عليهم فهي التي أشار اليها سبحانه بقوله : « وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانّا لصادقون » ١٤٦ الأنعام .

واذا قارنا بين سيرة اليهود منذ القديم، بخاصة في عهد موسى وعيسى ومحمد، وبين وسائلهم وطرائقهم اليوم لم نجد أي فرق بين يهود الأمس ويهود اليوم ، من حيث الضلال والفساد ، والعداء للانسانية وقيمها ، وعدم الخضوع الا (للطور) يُرفع فوق رؤوسهم.. وان دل هذا على شيء فانما يدل على ان الشر طبع أصيل في اليهود ، وجبلة لا تنفك عنهم ، ولا ينفكون عنها ، مهما تغيرت الأزمان ، وتطورت الأحوال ، تماماً كما لا ينفك اللدغ عن طبع العقارب ، ونفث السموم عن جبلة الأفاعي ، واذا وجد في كل انسان استعداد للخير والشر فان طبيعة اليهود متمحضة للشر وحده . واذا وجد منهم بين الحين والحين من يعرف الحق ، ويعمل به فانه قليل نادر ، والنادر لا ينقض القاعدة، بل يكرسها، وقد استثنى سبحانه هذه القلة بقوله :

(لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) . الراسخون في العلم هم العلماء العاملون بعلمهم ، لا المحيطون بما دُوّن في الكتب ، والمحققون المدققون في أبحاثهم ونظرياتهم ، وان لم يعملوا – كما يتوهم – . وقد استوحينا هذا المعنى من قول علي أمير المؤمنين (ع) : « العلم يهتف بالعمل ، فان أجابه والا ارتحل عنه » .

وتسأل : ان الله سبحانه عطف (المؤمنون) على (الراسخون في العلم) وأخبر انهما معاً يؤمنون بالقرآن والتوراة والانجيل ، وهذا الإخبار يصح بالنسبة الى الراسخين في العلم من اليهود ، ولا يصح بالنسبة الى المؤمنين بمحمد (ص)، لأن معناه على هذا ان المؤمنين يؤمنون ، وهو أشبه بقول القائل : الواقفون يقفون ، والنائمون ينامون ، والقرآن منزه عن مثله ، فما هو التأويل ؟.

الجواب : ان هذا السؤال أو الإشكال انما يتجه لو فسرنا المؤمنين في الآية بالمؤمنين من صحابة الرسول من غير أهل الكتاب ، كما فعل صاحب مجمع البيان ، ولم يمنعه الرازي وصاحب المنار وأكثر المفسرين .. أما اذا فسرنا المؤمنين باليهود المقلدين للراسخين في العلم منهم فلا يتجه السؤال ، اذ يكون المعنى ان الراسخين في العلم من اليهود والآخذين بأقوالهم من أهل ملتهم يؤمنون بالقرآن والتوراة والانجيل ، أولئك يؤمنون استدلالاً ، وهؤلاء يؤمنون تقليداً . ونحن نميل الى هذا التفسير : ونرجحه على الأول .

سورة المائدة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أخذ الميثاق من اليهود والنصارى الآية ١٢ ـ ١٤ :

وَلَقَدْ أَخذَ اللهُ مِيثَاقَ بَني إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ★ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ★

المعنى :

تحدث سبحانه في كتابه العزيز عن الكفار والمشركين بعامة ، وعن مشركي قريش بصورة خاصة لمـــا لاقاه النبي (ص) منهم ، وتحدث عن المنافقين الذين أظهروا الاسلام ، وأبطنوا الكفر ، وعن اليهود والنصارى ، ولكنه تحدث عن اليهود أكثر من الجميع ، لأنهم أكثر خلق الله عناداً للحق،وحقداً على الانسانية، ومر الكثير عنهم في سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء،ومعظم هذه السورة، أي المائدة فيهم وفي النصارى .

(ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبـــاً) . ذكر سبحانه انه بعث من بني اسرائيل اثني عشر نقيباً ، ولم يبين : هل كان هؤلاء الاثنا عشر زعماء اسباطهم الذين يمثلون ١٢ فرعاً من يعقوب ، وهو اسرائيل ، أو هم أنبياء أو أوصياء ؟ لم يذكر الله شيئاً من ذلك ، ونحن نسكت عما سكت الله عنه .. اجل ، ان الآية صريحة في انه قد كان لله ميثاق مع بني اسرائيل، يتضمن أن يقوم بنو اسرائيل بأمور خمسة ، وان الله يثيبهم بأمرين اذا وفـوا ، واذا نكثوا استحقوا منه تعالى الطردِ والعذاب ، أما الامور التي التزموا باداثهـــا والوفاء بها فهي :

١ ـ اقامة الصلاة . (لئن أقمتم الصلاة) .
٢ ـ ايتاء الزكاة . (وآتيتم الزكاة) .
٣ ـ الايمان برسل الله . (وآمنتم برسلي) .
٤ ـ نصرة الرسل . (وعزرتموهم) .
٥ ـ بذل المال في سبيل الله . (وأقرضتم الله قرضاً حسناً) . ويدل عطف القرض على الزكاة على انه كان الواجب في أموالهم أمرين : الزكاة ، والبذل في سبيل الله . ولقاء القيام بهذه الأمور الخمسة التي جاءت شرطاً في الميثاق يثيبهم الله بأمرين وقعا جزاء لهذا الشرط ، وهما :

١ ـ العفو عن السيئات . (لأكفرن عنكم سيئاتـكم) .
٢ ـ الجنة . (ولأدخلنـكم جنات تجري من تحتها الأنهار) .

هذا هو ميثاق الله مع بني اسرائيل شرطاً وجزاء ، وبعد ان بيّنه سبحانه خاطبهم بقوله : « فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل ». ومن ضل الصراط المستقيم فعاقبته الخزي والخذلان .

(فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم) . انهم ينقضون كل عهد الا عدم نقض العهد والميثاق ، وهذه سمة لهم لا تفارقهم أبداً، كما ان لعنة الله عليهم لا تنفك عنهم أبداً .. للتلازم والتلاحم بين نقض العهد ، وبين لعنة الله . (وجعلنا قلوبهم قاسية). كل من لا يتقي الشر والمعاصي فيت قلبه . قال الإمام علي (ع): من قل ورعه مات قلبه .

وتسأل : كيف نسب سبحانه قسوة قلوبهم اليه ؟ أليس معنى هذا انهم غير مسؤولين عن هذه القسوة ، لأنها من الله ، لا منهم ؟.

الجواب : ان الله بيّن لهم طريق الخير ، وأمرهم به ، وبيّن طريق الشر، ونهاهم عنه ، وأخذ منهم الميثاق على السمع والطاعة ، فأعطوه إياه ، ثم خانوا ونكثوا ، وأصروا على العصيان والتمرد ، فتركهم وشأنهم ، ولم يلجئهم الى عمل الخير ، إذ لا تكليف مع الإلجاء ، ولأنه تعالى لم يلجئهم صح ان ينسب القسوة اليه ، ومن أراد زيادة في التوضيح فليرجع الى ما قلناه عند تفسير الآية ٨٨ من سورة النساء ، فقرة الاضلال من الله سلبي ، لا ايجابي .

(يحرفون الكلم عن مواضعه) . تقدم تفسيره في سورة النساء الآية ٤٥ . (ونسوا حظاً مما ذكروا به) . ذُكّروا بالتوراة ، فحرفوا منها ما يتنافى مع أهوائهم ، وابقوا ما يشتهون . وإذ نقضوا ميثاق الله ، وحرّفوا كتابه الذي أنزله اليهم من السماء - فبالاولى أن ينقضوا ما يعطونه من مواثيق للعرب وغير العرب ، وان يحرفوا قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن .

(ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم) . لم يكتف يهود الجزيرة العربية آنذاك بانكار نبوة محمد (ص) ، حتى تآمروا عليه مع أعدائه ، وبيتوا له المكر والغدر ، فخاطبه الله بقوله : (لا تزال تطّلع على خائنة منهم) . اي انك لاقيت - يا محمد - الكثير من اليهود ، وستلاقي أيضاً الكثير منهم ، وان احسنت اليهم ، لأن المحسن والمسيء عندهم سواء (إلا قليلاً منهم) وهم

الذين أسلموا وصدقوا في اسلامهم كعبدالله بن سلام ومن معه . ورغم ذلك كله فان الله أمر نبيه أن يقابل اساءتهم بالاحسان : (فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين) .

وتسأل : أبعد أن وصفهم سبحانه بأقبح الأوصاف ، وان الخير لا يُرجى منهم بحال ، أبعد هذا يأمر نبيه بالصفح والعفو عنهم ؟ وهل يعرف اليهود معنى الصفح والعفو ؟ وهل يجوز الصفح عن الأفاعي والعقارب ؟

وأجيب عنه بأجوبة منها ان ضمير عنهم يعود على القليل منهم الذين أسلموا وأخلصوا . ومنها ان هذه الآية منسوخة بآية السيف . وهذان الجوابان محتملان، أما الأول فلأن الضمير بظاهره يعود على الأقرب ، وأما الثاني فلوجود النسخ في القرآن .

ويجوز أن يكون الأمر بالصفح عنهم نزل بعد أن قوي الإسلام ، وأصبح في حصن حصين لا يضره كيد اليهود ولا غيرهم من الكافرين .

قد جاءكم من الله نور الآية ١٥ ـ ١٦ :

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ★ يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ★

المعنى :

أمر الله سبحانه نبيه (ص) والمسلمين جميعاً أن يجادلوا أهل الكتاب بالتي هي أحسن ، ثم ضرب لهم أمثلة من هذا الجدال ليكونوا على بينة من معناه ومفهومه ، من ذلك أن يقول المسلمون لأهل الكتاب : « آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل اليكم وإلهنا وآلهكم واحد ونحن له مسلمون ـ ٤٦ العنكبوت » :

« قل يا أهـــل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله – ٦٣ آل عمران» .. وهناك آيات تحصي على أهل الكتاب بعض آثامهم،ومنها هذه الآية التي نفسرها، فقد ذكرتهم بتحريف التوراة والانجيل ، وعنادهم لمحمـــد الذي جاءهم بالهدى والنور .

(يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير) . المراد بالرسول محمد (ص) ، فإنه بيّن لليهود والنصارى فيما بيّن بعض ما أخفوه من الكتاب الذي معهم ، فالنصارى أخفوا التوحيد ، وهو اساس الدين ، واليهود أخفوا من العقيدة خبر الحساب والعقاب يوم القيامة، ومن الشريعة تحريم الربا ، ورجم الزاني ، كما أخفى اليهود والنصارى معاً بعثة محمد: « الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل – ١٥٦ الأعراف » .

لقد أطلع الله سبحانه محمداً (ص) على كل ما أخفـــاه وحرّفـــه اليهود من التوراة ، والنصارى من الانجيـــل ، ثم أخبرهم محمد (ص) بكثير ممـــا كانوا يخفون ، وسكت عن كثير مما يعلم من تحريفهم ، وهـــذا معنى قوله تعالى : « يبـــين لكم كثيراً ممـــا كنتم تخفون من الكتـــاب ويعفو عن كثير » . أي يسكت عنه .

وجاء هذا الإخبار من محمد (ص) دليلاً قاطعاً عـــلى نبوته ، ومعجزة من معجزات القرآن التي لا ينبغي لعاقـل أن يرتاب فيها ويشك ، لأن النبي (ص) كان أمياً لم يقرأ كتاباً ، ولم يخبره أحد عما في كتب اليهود والنصارى .

وتسأل : لماذا أخبرهم النبي بالبعض فقط ، دون الجميع ؟

الجواب : ان الغاية هي اعلامهم بأن الرسول عالم بما يخفون ، وهذه الغاية تحصل بالاخبار عن البعض ، كما تحصل بالاخبار عن الكل .. هذا ، الى انهم اذا علموا بأنه (ص) عالم ببعض ما أخفوه فقد علموا بأنه عالم بالكل .

موسى وقومه الآية ٢٠ – ٢٦ :

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ

فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحداً مِنَ الْعَالَمِينَ★
يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا
عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ★ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ
وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ★
قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ
فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ★
قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ
فَقَاتِلاَ إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ★ قَالَ رَبِّ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي
فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ★ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ
سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ★

المعنى :

هذه الآيات حلقة من قصة بني اسرائيل التي ذكرها سبحانه متفرقة في العديد من سور القرآن ، وكرر بعض حلقاتها مرات ، وهي – كما ترى – ظاهرة الدلالة ، واضحة المعنى :

(واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت احداً من العالمين) . ذكرهم موسى (ع) بنعم الله عليهم تمهيداً لما سيأمرهم به من الجهاد ، وعدّ من هذه النعم ثلاثاً : الأولى ان الله جعل فيهم أنبياء . الثانية : انه جعلهم ملوكاً ، أي مستقلين يحكمون

أنفسهم بأنفسهم ، ولا نعمة أعظم من الحرية . الثالثة : انه عاملهم بما لم يعامل به أحداً من الناس ، فأهلك عدوهم من غير جهاد وقتال ، وأنزل عليهم المن والسلوى بلا حرث ولا حصاد ، وأخرج لهم المياه العذبة من الحجر بلا حفر وتنقيب ، وأظل فوقهم الغمام بلا بناء وعناء .

وبهذه النعم الثلاث نجد تفسير الآية ٤٧ من سورة البقرة : « يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين » . فالتفضيل على أهل زمانهم كان بإرسال الأنبياء منهم ، وباستقلالهم ، وانزال المن والسلوى عليهم ، وما اليه . وبتعبير ثانٍ ان التفضيل لم يكن بالأخلاق والمناقب ، بل بكيفية المعاملة معهم .

(يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب - أي وعد - الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين) . بعد أن ذكرهم موسى بنعم الله عليهم أمرهم بغزو فلسطين ، وكان فيها الحيثيون والكنعانيون ، وأمرهم بالصبر والثبات في القتال ، وكان الله قد وعدهم السكنى بها في ذلك العهد . فقول موسى : « كتب الله لكم » اشارة الى هذا الوعد ، وليس معناه ان فلسطين ملك طلق لهم ، كما يزعم اليهود .

ولكن قوم موسى قالوا له جبناً وضعفاً : (يا موسى ان فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فإنا داخلون) . فهم يريدون نصراً رخيصاً ومريحاً ، لا يكلفهم قتيلاً ولا جريحاً ، تماماً كإغراق عدوهم فرعون .. ولكن رجلين صالحين منهم قاما فيهم مرشدين يحثانهم على السمع والطاعة لله ولرسوله ، واليهما أشار سبحانه بقوله :

(قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما - أي بالايمان - ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) . أي اغزوا القوم في عقر دارهم ، فيذلوا وينكسروا ، على أن تكونوا متوكلين حقاً على الله ، كما هو شأن المؤمنين المخلصين . ولكنهم عادوا الى جبلتهم من العناد والتمرد والقحة والصلافة .

و (قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك

فقاتلا إنا ههنا قاعدون) . أرأيت الى هذه الجرأة على الله ورسوله ؟.. الى هذه الوقاحة والصلافة : « اذهب أنت وربك » .. انه ربهم اذا خـدم مصالحهم الشخصية ، ولم يكلفهم بما يزعجهم ، وقتـل أعداءهم .. وهم (قاعدون) سالمون آمنون ، أما اذا انزعج خاطرهم بأدنى تكليف فهو رب موسى ، وليس بربهم .. ومعنى هذا في واقعه ان أهواءهـم وشهواتهم وحدها هي ربهم وإلههم الذي يستحق منهم العبادة والتقديس بحمده .

والحق ان هذه الظاهرة لا تخص اليهود وحدهم ، بل تشمل كل من عبد الله على حرف .. وما أكثرهم في المسلمين والنصارى .

(قال ربِّ اني لا أملك الا نفسي وأخي) . هذا التوجـه من موسى الى ربه يشعر بالشكوى من غربته بين قومه بعد الجهد الجهيد ، والعناء الطويل من أجلهم .. (اني لا أملك الا نفسي وأخي) ولا ملك ولا أمر لمن لا يطاع :

(فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) . لم يجد موسى بداً من الطلب اليه تعالى ان يفصل ويباعد بينه وبين قومه بعد نكولهم عن عهد الله وميثاقه .

(قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين) . هذا هو جزاؤهم:التيه في صحراء سيناء الجرداء ، يسيرون فيها لا يهتدون الى طريق الخروج،ولا يدرون أين المصير .. وهكذا يضربون في مجاهلها أربعين عاماً ، حتى يفنى كبراؤهم ، وينشأ بعدهم جيل جديد .

الفرد والجماعة في الاسلام الآية ٣٢ :

مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ كَتَبْنَا عَلى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ★

المعنى :

(من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل) . لقد كشفت قصة ولـــدي آدم ان في الناس نوعين : معتدياً ومعتدىً عليه .. ولحماية هذا من ذاك ، وصيانة الحياة ونظامها جعل الله لكل معتدٍ عقوبة يستحقها ، واعتبر قتل الأبرياء جريمة الجرائم كلها ، فقوله تعالى : (مَن أجل ذلك) اشارة الى جريمـــة القتل من حيث هي ، وليس اشارة الى قصة قابيل مع أخيه هابيل،وان كانت هي السبب الباعث على التشريع ، تماماً كما تُشرع السلطة قانوناً عاماً بسبب حادثة خاصة .

وتسأل : ان عقوبة القتل تعم بني اسرائيل وغيرهم ، فمـــا هو القصد من تخصيصهم بالذكر ؟

الجواب : أجل ، ان هذه العقوبة وغيرها عامة لهم ولغيرهم ، ولكن الله سبحانه خص اليهود بالذكر لأنهم أجرأ خلق الله على قتل عباده،واراقة دمائهم، وبذلك تشهد توراتهم التي أباحت لهم قتل النساء والأطفال ، ويشهد عليهم قتلهم الأنبياء في تاريخهم القديم ، وسيرتهم في فلسطين في تاريخهم الحديث .

(ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون) . أي ان رسل الله قد بلغوا اليهود حكم الله سبحانه ، وقالوا لهم بوحي منه : من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل النـــاس جميعاً .. ولكن الكثير من اليهود لم يكترثوا بهذا التحذير ، ومضوا مسرفين في سفك الدماء وانتهـــاك الحرمات .. وقوله تعالى : (بعد ذلك) اشارة الى انهم فعلوا ما فعلوا بعد إقامة الحجة عليهم ، وانقطاع كل عـــذر يمكن أن يتذرعوا به .. وهذا هو موقف القرآن من كل جاحد يحتج عليه بمنطق الحق ، ويدعوه اليه بالحكمة ، حتى اذا أصر على جحوده كان اصراره عناداً للحق بالذات ، لا لشخصية الداعي .

سماعون للكذب الآية ٤١ ــ ٤٣ :

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا

آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ★ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاؤُكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ★ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ★

المعنى :

(يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) . هذا خطاب من الله لرسوله (ص) ، يهون عليه أمر المنافقين واليهود ، لأن العاقبة ستكون عليهم لا لهم .. وهذه الجملة تختص بالمنافقين ، لأن الإيمان بالأفواه ، دون القلوب حقيقتهم وهويتهم .

والنهي عن الحزن نهي عن لوازمه ، وعدم ترتب الأثر عليه ، لأن الانسان لا اختيار له فيه ، وأي عاقل يختار الحزن لنفسه ؟ ولكن تبقى السيطرة معه للعقل والدين ، قال الرسول الأعظم (ص) : تدمع العين ، ويحزن القلب ،

ولا نقول ما يسخط الرب . وبعد أن ذكر سبحانه المنافقين أشار إلى قوم من اليهود بقوله :

(ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) . عاد الحديث عن اليهود ، وفي هذه الآيات أخبار اعتمدها المفسرون ، وتتلخص بأن التوراة كانت تنص على وجوب رجم الزاني .. وصادف في عهد الرسول (ص) ان زنى رجل وامرأة من أشرافهم ، فكره قوم من اليهود رجمهما ، وأرسلوا وفداً منهم إلى رسول الله ليسألوه عن حكم الزنا ، وقالوا للوفد : ان افتى بغير الرجم فاقبلوا ، وان افتى بالرجم فارفضوا .. فجاءوا الرسول ، فأفتاهم بالرجم ، فرفضوا زاعمين ان التوراة ليس فيها رجم ، ولما حاجّ الرسول بعض علمائهم اعترف بأن حكم التوراة هو الرجم ، تماماً كما أفتى الرسول ، وان اليهود خصوا حكم الرجم بالضعفاء ، وجعلوا الجلد مكان الرجم اذا زنى الشرفاء .

فالمراد بقوله : (سماعون للكذب) ان اليهود يقبلون الكذب من المنافقين ، ومن بعضهم البعض . والمراد من القوم في قوله : (لقوم آخرين لم يأتوك) أولئك الذين أرسلوا الوفد ليسألوا النبي (ص) ولم يأتوه بأنفسهم .

(يحرّفون الكلم من بعد مواضعه) . حيث وضعوا الجلد مكان الرجم . وتقدمت هذه الجملة بالمعنى في سورة البقرة الآية ٧٥ : « يسمعون كلام الله ثم يحرّفونه » . وأيضاً تقدمت بحروفها في الآية ٤٥ من سورة النساء .

(يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا) . أي قال الذين أرسلوا الوفد للوفد : ان أفتى محمد (ص) بغير الرجم فاقبلوا ، وإن أفتى بالرجم فارفضوا .

(ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً) . اختلف المفسرون في المراد من الفتنة .. قال الأشاعرة ، أي السنة : المراد من الفتنة الكفر ، ويكون المعنى ان أي عبد جعله الله كافراً وضالاً فلن يقدر أحد أن يدفع عنه الكفر والضلال .. وإنما ذهب الأشاعرة إلى هذا التفسير ، وفي مقدمتهم الرازي لأنهم يجيزون على الله أن يريد الكفر من عبده ، وأن يفعله فيه ، ثم يعذبه عليه .

وقال الشيعة والمعتزلة : المراد من الفتنة في هذه الآية العذاب ، ويكون المعنى

ان من يرد الله عذابه فلن يقدر أحد أن يدفع العذاب عنه .. وإنما قالوا ذلك لأنهم لا يجيزون على الله أن يفعل الشيء ، ثم يعاقب غيره عليه . ١٧

والذي نراه في تفسير هذه الآية ان الله سبحانه نهى اليهود عن الكذب والتحريف ، والمكر والخداع ، وتوعدهم بالعذاب إن خالفوا وتمردوا . ولكنهم أصروا على العناد ، ولم يكترثوا بالنهي ، ولا بالوعيد .. فتركهم الله وشأنهم ؛ ولم يردعهم بالقسر والقهر عن الفتنة ، لأنه تعالى يعامل الناس – فيما يعود إلى أفعالهم – معاملة المرشد الناصح ، لا معاملة القاهر الغالب .

وقد أكد سبحانه ذلك بقوله : (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم). أي لم يرد أن يلجئهم إلجاءً إلى تطهير القلوب وتزكية النفوس ، بل جعل لهم الخيار في ذلك ، وبهذا الاعتبار صحت نسبة الفتنة اليه تعالى .. وقد أوضحنا ذلك عند تفسير الآية ٨٨ من سورة النساء، فقرة « الاضلال من الله سلبي لا إيجابي ».

(سماعون للكذب أكالون للسحت) . كرر سبحانه (سماعون للكذب) مبالغة في الذم والقدح ، والردع والزجر ، والمراد بالسحت المال الحرام، كالربا وما اليه .. وأشد جرماً من الربا الأموالُ التي يقبضها العملاء من الدول الاستعمارية لتبقى شعوبهم متخلفة بائسة تتسول الرغيف ممن ينهب أقواتها وثرواتها .

(فان جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين) . هذا بيان لوظيفة الحاكم المسلم إذا تحاكم لديه خصمان من غير المسلمين .. وقد اتفق الفقهاء على انه إذا كان الخصمان من غير أهل الذمة فللحاكم الخيار ، إن شاء حاكمهما ، وإن شاء رفض ، حسبما يرجحه من المصلحة .. واختلفوا فيما إذا كان الخصمان من أهل الذمة ، فقال صاحب المنار – من السنة – : يجب على الحاكم أن يحاكمهما. وقال فقهاء الشيعة : بل هو مخير ان شاء حاكم ، وان شاء رفض .

وإذا حاكم يجب عليه أن يفصل بينهما بحكم الإسلام ، لا بأحكام دينهم، لقوله تعالى : (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) .

وإذا كان أحد المتخاصمين مسلماً ، والآخر غير مسلم وجب على الحاكم قبول الدعوى والحكم بما أنزل الله باتفاق المسلمين .

(وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك).
تحاكم اليهود في أمر الزاني عند النبي (ص) ، ولما حكم بينهم تولوا عنه ورفضوا حكمه بعد أن اختاروه حكماً .. وما كان أغناهم عن الحالين ؟. فالأولى بهم أن لا يحكّموه منذ البداية ، أما أن يرضوا به حكماً ، ثم يرفضوا حكمه فغريب .. هذا مع أنهم يعلمون علم اليقين بأنه (ص) حكم بحكم الله الموجود في التوراة .. فقوله تعالى : (بعد ذلك) إشارة إلى التحكيم ، وإلى حكم النبي بحكم الله . ولفظ ذلك يشار به الى المفرد والمثنى والجمع .
(وما أولئك بالمؤمنين) . أي لا غرابة في أن يتولوا عن حكم النبي بعد أن رضوا به حكماً ، وبعد ان حكم بحكم الله ، لأنهم لا يؤمنون بالله ولا بالتوراة إيماناً صادقاً ، وإنما يؤمنون بأهوائهم ورغباتهم .. وكل من لا يرضى بالحق وحكمه فما هو من الايمان الحق في شيء يهودياً كان أو مسلماً . قال تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليماً — ٦٤ النساء » .

فلا تخشوا الناس الآية ٤٤ :

إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ★

المعنى :

(إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور) . كل كتاب أنزله الله على نبي من أنبيائه فهو نور يهدي إلى الحق والخير ، والتوراة كتاب الله أنزله على موسى (ع) فهو هدى ونور .. أما توراة اليوم فليست من الله في شيء ، لأنها أبعد ما تكون

عن الهدى والنور ، والحق والخير .. إن تعاليمها تقوم على التفرقة العنصرية ، فتجعل اليهود شعب الله المختار ، يباح لهم غزو الشعوب الأخرى، وقتل رجالها ، وذبح نسائها وأطفالها ، ونهب أموالها ، واحتلال ديارها . (أنظر فقرة ١٣ و ١٤ من اصحاح ٢٠ سفر التثنية – نقلاً عن الأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد وافي) .

(يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا) . أي ان الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى كداود وسليمان وزكريا ويحيى كانوا يرشدون اليهود إلى حكم التوراة التي هي هدى ونور ، فيحلون لهم حلالها ، ويحرمون لهم حرامها. وقوله تعالى: (النبيون الذين أسلموا) معناه ان أنبياء الله أسلموا أنفسهم لله، وحكموا لليهود بحكم الله ، لا بمشيئتهم ، ولا باجتهاداتهم أو أهوائهم ، كما فعل اليهود في عهد محمد (ص) وأرادوا منه أن يحكم في الزاني بما يشتهون .

(والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله) . أي وكذلك علماء اليهود وقضاتهم المؤمنون المخلصون كانوا يحكمون بما عرفوا وحفظوا من كتاب الله . (وكانوا عليه شهداء) الضمير في (كانوا) يعود على الربانيين والاحبار ، وفي (عليه) يعود على اليهود ، والمعنى ان أولئك الربانيين والاحبار كانوا يعملون بكتاب الله ، ولا يحيدون عنه ، وليس من شك ان من قدّس قولاً والتزم العمل به فقد شهد له بالفعل قبل القول انه حق وعدل .

(فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً) . من عرف حكم الله لا يخالفه إلا لأحد أمرين : إما خوفاً على منصبه من الزوال ،وإما طمعاً في المال ، وقد أشار سبحانه إلى الأول بقوله : (فلا تخشوا الناس واخشون) . وإلى الثاني بقوله : (ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً) . والمعنى يا أحبار اليهود اعملوا بما تعلمون إنه الحق ، ولا تخشوا فيه لومة لائم ، ولا تحرّفوه طمعاً في الرشوة .. وإذا كان هذا الخطاب موجهاً بظاهره للاحبار الذين حرفوا حكم الزاني من الرجم إلى الجلد فإنه في واقعه عام لكل من يحاول التحريف والتزييف خوفاً أو طمعاً .

وأبلغ قول يفسر هذه الآية كلمة قالها علي أمير المؤمنين (ع) في وصف

أولياء الله : « بهم قام الكتاب ، وبه قاموا ، لا يرون مرجواً فوق ما يرجون، ولا مخوفاً فوق ما يخافون » أي لا يرجون إلا الله ، ولا يخافون إلا منه .

(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) . وقال تعالى في الآية التالية ٤٥ : (فأولئك هم الظالمون). وفي الآية ٤٧ (فأولئك هم الفاسقون). وعند تفسير هذه الآية ، أي ٤٧ نبين الوجه في تعدد الوصف بالكفر والظلم والفسق ، لموصوف واحد .

وجعل منهم القردة والخنازير الآية ٦٠ – ٦٣ :

قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ★ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ★ وَتَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ★ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ★

المعنى :

(قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله) . ذلك إشارة إلى حال المنتقمين ، والمثوبة تستعمل في الجزاء بالخير ، والعقوبة في الجزاء بالشر ، وقد وضعت المثوبة هنا موضع العقوبة من باب تحيتهم السباب ، والمعنى قل يا محمد لأعداء الدين والحق الذين يستهزأون من الإسلام والأذان ، قل لهم : إن كان

الإيمان بالله وكتبه شراً يوجب النقمة فأنا أخبركم بشرّ من هذا ، إن كان هذا شراً .. وهو (من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القـردة والخنازير وعبدَ الطاغوت) وهذه الأوصاف كلها من أوصاف اليهود ، حيث سجل الله عليهم لعنته وغضبه،

١ – الآية ٤٦ من النساء : « كما لعنا أصحاب السبت » .

٢ – الآية ٩٠ من البقرة : « فباءوا بغضب على غضب » .

٣ – الآية ٦٥ البقرة : « فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » . وما قال الله لشيء كن إلا كان .

٤ ، الآية٥١ – النساء: «يؤمنون بالجبت والطاغوت ». وقيل المراد بالطاغوت الشيطان . وقيل : العجل . والصحيح أن كل من أطاع عبداً في معصية الله فهو عبدٌ له .

وقال الرازي : « احتج أصحابنا – أي الأشاعرة – بهذه الآية على ان الكفر بقضاء من الله ، لأن التقدير وجعل الله منهم من عبد الطاغوت » . والصحيح ان عبدَ معطوف على لعنه الله ، لا على جعل منهم القردة ، وان التقدير هل أنبئكم بشرّ الناس ، أو بشرّ من ذلك من لعنه ومن عبدَ الطاغوت ، كما قلنا في فقرة (اللغة) ، وعليه فلا يصح الاستدلال بهذه الآية على أن الكفر من الله، لا من العبد .

(أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيـــل) . أولئك إشارة إلى اليهود ظاهراً وتشمل كل من حاد عن الحق واقعـــاً ، ولا يجديه قول لا إله إلا الله محمد رسول الله .. اذ لا إيمان بلا تقوى .

(وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا بــه) . كان منافقو اليهود يدخلون على النبي (ص) ، ويقولون له : نحن بلك من المؤمنين ، وهم كاذبون في أقوالهم ، وقد عبر سبحانه عن نفاقهم هذا بأنهم دخلوا عـــلى النبي بالكفر ، وخرجوا من عنده بالكفر .. ويشعر هذا التعبير بأنهم لو كانوا طلاب حق لخرجوا مؤمنين من عند الرسول بعد أن سمعوا ورأوا البينات والدلائل.

(والله عليم بما يكتمون) من الكفر والنفاق ويجازيهم عليه بما يستحقون .

(وترى كثيراً منهم يسارعون في الاثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس مـا كانوا يعملون) . المسارعة مفاعلة وتومىء إلى التسابق والتنافس في الاثم والعدوان

وأكل السحت ، أي الحرام ، وهذه سمة لا تفارق اليهود ، ومن أجلها مقتهم الناس قديماً وحديثاً ، إلا من يتخـذ منهم أداة للشر ، تماماً كالسم القاتل .. حتى في الولايات المتحدة وكر الصهاينة يوجد جماعة كُثُر يناهضون اليهود .

(لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون) . هـذا التوبيخ الذي دلت عليه لولا وبئس موجه في الظاهر لرؤساء الأديان من أهـل الكتاب .. وفي الواقع موجه لكل من عرف الحق ، وسكت عنه.. ان العالم بالله حقاً المخلص له وحده يحتج على المظالم بشتى الوسائل، وإذا تيقن أن موته في هذه السبيل ينبـه الغافلين ، ويردع الظالمين أقدم عليه ، وعبر عن احتجاجـه بالاستشهاد ، وتاريخ الشهداء جميعاً هو تاريخ الاحتجاج على جرائم الظلم والعدوان .

قالت اليهود يد الله مغلولة الآية ٦٤ ـ ٦٦ :

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ★ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ★ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ★

المعنى :

(وقالت اليهود يد الله مغلولة) . هذه صورة من الصور العديدة التي يرسمها القرآن لليهود ، ومثلها قولهم : « إن الله فقير ونحن أغنياء » .. وعلى قياسهم ينبغي أن يكونوا هم الآلهة ، والله جلت عظمته (...) وقد تجلت هذه الغطرسة والوقاحة بأقبح معانيها في تحديهم للرأي العام العالمي باحتلال القدس سنة ١٩٦٧ .

وفي بعض الروايات ان الـذي نطق بكلمة الكفر هذه رجـل منهم ، اسمه فنحاص .. وقد تكون الرواية صحيحة ، وصحيح أيضاً ان الواحد لا يعبّر عن رأي الطائفة والجماعـة ، وان بعض ضعاف المسلمين يقول هذا حين تحاصره المصائب ، ولا يجد له مهرباً .. هذا صحيح ، ولكن من اطلع على سيرة اليهود يعلم انهم يقولون هذا بلسان الحال ، وإن لم ينطقوا به بلسان المقال .. إنهـم يريدون من الله أن يهب الأرض ومن عليها اليهم وحدهم،وإلا فهو بخيل مغلول اليد (غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا) . وبما فعلوا من المسارعة إلى الإثم والعدوان وأكلهم المال الحرام .

الصهاينة تواطأوا مع النازيين :

قال صاحب تفسير المنار : (غلت أيديهم) هو دعاء من الله عليهم بالبخل وما زالوا أبخل الأمم ، فلا يكاد أحد منهم يبذل شيئاً إلا إذا درّ عليه ربحاً .

وقد كان الربح الوحيد عندهم هو المال ، ومن أجله يحل كل محرم ، أما اليوم فلا ربح أفضل من قتل عربي ، حتى ولو كان طفلاً ، والشعار الديني المقدس لهيئاتهم (الخيرية) « ادفع دولاراً تقتل عربياً » مسلماً أو نصرانياً .. بل إنهم يسخون بأرواحهم رجالاً ونساء وأطفالاً ليخرجوا الفلسطينيين من ديارهم ويحلّوا محلهم .. وأغرب ما قرأت ان زعماء الصهاينة ، ومنهم وايزمان وموسى شاريت ودافيد بن غوريون تواطأوا مع النازيـة وزعماء الجستابو على ذبح اليهود والتنكيل بهم لهدفين : الأول دفع اليهود للهجرة إلى فلسطين . الثاني اصطناع

المبررات لقيام دولة إسرائيل . (عن كتاب اطلاق الحمامة ٥ يونيو للمؤلفين : بيليايف وكوبستيشنكو وبريماكوف . ترجمة ماهر عسل) .

وإذا تواطأ اليهود مع أعدى أعدائهم، وضحوا بمئات الألوف منهم من أجل دولة اسرائيل فهل يكثر منهم القول : ان الله فقير ونحن أغنياء ، وأن يده مغلولة عن البذل والعطاء ؟ وأية غرابة في قولهم : نحن حمامة السلام ، والعرب دعاة الحرب والدمار بعد أن قالوا : ان الله فقير ونحن أغنياء ؟. وإذا كانت يد الله مغلولة لأنه لم يهبهم الأرض ومن عليها فبالأولى أن يكون العرب طغاة معتدين ، لأنهم لم يعتذروا لليهود عن التقصير ، وعدم عرفان الجميل .. وليس قولي هذا كلاماً شعرياً ، أو إحساساً عاطفياً .. ألم يلح اليهود على اعتراف العرب بإسرائيل ؟. وأي معنى لهذا الاعتراف في هذا الظرف بالذات إلا الاعتذار وطلب العفو ؟.

(بل يداه مبسوطتان) . المراد باليد هنا عين المراد بيمينه في الآية ٦٧ من الزمر : « والسموات مطويات بيمينه » أي بقدرته،وقال يداه بالتثنية لا بالأفراد لأنها أبلغ شكلاً ، وأقوى محتوى (ينفق كيف يشاء) بإيجاد السبب الموجب : « هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور — ١٥ الملك » .

أجل ، قد لا تسعف الظروف أحياناً ، ويخيب المسعى . وقوله : « وإليه النشور » تهديد ووعيد لمن يطلب العيش على حساب غيره .

(وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً) . المراد بالكثير الرؤساء والمترفون الذين خافوا على مناصبهم من دعوة الحق ، وزادتهم هذه الدعوة حقداً على صاحبها محمد (ص) لأنه كشف عن عوراتهم وسيئاتهم التي منها تحريف كلام الله عن مواضعه ، وأكلهم المال الحرام ، وعدم التناهي عن المنكر .. ومن شأن الدعي الصلف أن يزداد عتواً وفساداً إذا نُبه الى عيوبه ومآثمه .

(وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة) . قال صاحب تفسير المنار: لا نعرف في التفسير المأثور عن السلف إلا أن الضمير في قوله (بينهم) يرجع

إلى اليهود والنصارى في قولـه تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء)..وفي تفاسير المتأخرين احتمال أن يكون الضمير لليهود وحدهم.

ونحن عـلى رأي السلف أولاً : لأنهم أعرف بما يراد من مفردات القرآن والحديث من المتأخرين ، لأنهم أقرب إلى عهد الرسالة ونزول القرآن . ثانياً : لأن العداء بين اليهود والنصارى عداء ذاتي ، فاليهود يعتقدون ان المسيح مشعوذ محتال وابن سفاح – نعوذ بالله – والنصارى يعتقدون أنه ابنه تعـالى الله ، بينما يعتقد المسلمون أنه نبي منزه عن الجهل والمعصية .. ومحال أن يزول العداء بين اليهود والنصارى : ما دامت كل طائفة على عقيدتها ، وقد حاول بابا روما عام ١٩٦٥ أن يقرب بين الطائفتين ، ولكن اليهود مـا زالوا مصرين عـلى رأيهم بالسيد المسيح (ع) .. أجـل ، ان الأطماع المشتركة قربت ، بل وحدت بين أرباب الشركات لكلتـا الطائفتين ، ولكن على أساس تجاري ، لا على أساس ديني .

اليهود ونار الحرب :

(كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأهـا الله) . إن كلمة الحرب وضعت أول ما وضعت للقتال ، واستعملت في هـذا المعنى قروناً طوالاً ، وبمرور الزمن تطورت ، حتى أصبحت تدل الآن على ضد السلم والأمن والرخاء ، فأي بلد يخشى على نفسه من احتلال دولة أقوى منه ، أو ارتفعت أسعار المعيشة فيه لقتال في بلد من البلدان فهو في حالة حرب ، وإن لم تسل الدماء على أرضه ، لأنه قد تأثر بذاك القتال ، وأفقده الكثير من أمنه وراحته .

وبعد هذه الإشارة نتساءل : هل المراد بالحرب في الآية خصوص القتال أو ما يشمل الأمن والرخاء ؟ ثم إذا كان المقصود هم اليهود كما قال المفسرون فبماذا يجاب عن حرب ٥ حزيران سنة ١٩٦٧ التي أوقد اليهود نارها ، ولم تخمد ، حتى الآن ؟

الجواب : أما كلمة الحرب في الآية فإن المراد منها خصوص القتال ، لأن هذه الكلمة لم تحمل غير هذا المعنى يومذاك . أما حرب ٥ حزيران فنجيب عنها بما يلي :

١ – اتفق المفسرون على أن المراد باليهود خصوص من كان يهم بالكيد لرسول الله والمسلمين ، فقد جاء في كتب السيرة النبوية إن يهود المدينة تحالفوا مع المشركين ضد النبي وصحابته ، وأن منهم من سعى لتحريض الروم عليهم ، كما ان بعضهم كان يؤوي أعداءهم ويساعدهم .

٢ – لو سلمنا – جدلاً – ان المراد كل اليهود في كل عصر أخذاً بظاهر العموم فان حادثة ٥ حزيران لم تكن حرباً بالمعنى المعروف لهذه الكلمة ، وإنما كانت اغتيالاً وغدر جبان ، فحتى ليلة الغدر كانت تؤكد اسرائيل وواشنطن انهما لم تبدأا بالهجوم ، بل وبعد الغدر أذاعت اسرائيل ان العرب هم البادئون ، ثم ظهرت الحقيقة .. على أن حرب ٥ حزيران لم تكن بين العرب واليهود ، وإنما كانت في واقعها بين العرب والولايات المتحدة ، فهي مهندس العدوان ، والآمر به ، ومصدر السلاح والمال،وصانع الخديعة السياسية ، والمحامي والحارس، أما إسرائيل فقد مثلت دور الجندي المطيع .

قال مؤلفو كتاب اطلاق الحمامة الذي أشرنا اليه منذ قريب : « نشرت الصحف الفرنسية وألمانيا الغربية أن المخابرات الأمريكية سلمت اسرائيل قبل العدوان كل ما تجمع لديها من معلومات بالإضافة إلى الدوسيه الخاصة بالشرق الأوسط لدى قيادة الحلف الأطلسي .. وان الذي أصدر الأمر لاسرائيل بالهجوم على العرب باسم الرئيس جونسون هو مستشاره اليهودي الصهيوني « والت روستو » .. وكان الأميرال الأميركي يحمل في جيبه أمراً بتنفيذ الاستعداد للقتال في جميع الوحدات الخاضعة له .. أما عملية ليبرتي سفينة التجسس فقد كانت مدبرة بين الأميركين والاسرائيلين » .

٣ – ان نار الحرب التي أوقدتها واشنطن أو عميلتها اسرائيل قد أخمدها الله ما في ذلك ريب .. فلقد اعترف الذين أوقدوها أكثر من مرات ، وأعلنوا بالصحف والاذاعات انها لم تحقق الهدف المطلوب منها ، وهو ضرب القيادة التحررية للعرب ، واستسلامهم دون قيد وشرط ، وبالتالي حل مشكلة إسرائيل من الناحية السياسية .. وفي الوقت نفسه كانت حادثة ٥ حزيران امتحاناً قاسياً للعرب ، وتأكيداً لضرورة الاصلاح الجذري،وتنبيهاً لهم الى أصدقائهم وأعدائهم.. ولو لم يكن لتلك الحادثة من فائدة إلا افتضاح المتآمرين على بلادهم وأمتهم لكفى.

(ويسعون — أي اليهود — في الأرض فساداً) . لأن أهدافهم الأثيمة محال أن تتحقق إلا بالتخريب وإثارة الفتن ، وقد صرح المسؤولون في إسرائيل ان بقاء دولتهم وحياتها رهن بالخلافات القائمة بين زعماء العرب .. فهل من مذكر؟ (والله لا يحب المفسدين) . ومن ثم تكون عاقبتهم إلى وبال،وإن طال الزمن .

(ولو ان أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم) . هذه دعوة من الله سبحانه لليهود والنصارى أن يتوبوا ويدخلوا في الإسلام ، وإن استجابوا لدعوته صفح عن جميع ذنوبهم ، وإن عظمت ، لأن الإسلام يجُبّ ما قبله ، كما جاء في الحديث ، وان اتقوا بعد إسلامهم أدخلهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار .

الرزق وفساد الاوضاع :

(ولو انهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) . إقامة التوراة والانجيل العمل بهما، والمراد بما أنزل اليهم التعاليم التي كانوا يسمعونها من الأنبياء ، وهي المعروفة عند المسلمين بالأحاديث النبوية ، ومن فوقهم ومن تحت أرجلهم كناية عن السعة في الرزق ، تماماً كما تقول : فلان غارق في النعم من قرنه إلى قدمه .

وفي معنى هده الآية آيات كثيرة ، منها الآية ٩٥ من الاعراف : « ولو ان أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض » . والآية ١٢ الرعد : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . والآية ٤١ الروم: « ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس » . والآية ٣٠ الشورى : « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم » . وترشدنا هذه الآيات إلى أمرين:

١ — ان ظهور الفساد ، ومنه الفقر والمرض والجهل ، إنما هو من حكم الأرض ، لا من حكم السماء ، ومن أيدي الناس الذين أماتوا الحق ، وأحيوا الباطل ، لا من قضاء الله وقدره ، وان أية جماعة عرفوا الحق ، وعملوا به عاشوا في سعادة وهناء .

٢ — ان التعبير في الآيات الكريمة بقوم وبالناس يدل على ان الشقاء يستند

إلى فساد الأوضاع ، وان مجرد صلاح فرد من الأفراد لا يجـدي شيئاً ما دام بين قوم فاسدين ، بل يجر صلاحه عليه البلاء والشقاء ، قال تعالى : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة – ٢٥ الأنفال » ، أي ان الآثار السيئة لمجتمع سيء تعم جميع أفراده الصالح والطـالح .. وليس من شك ان الشعب الكسول الخانع الخاضع للعسف والجور لا بد أن يعيش أفراده في الذل والهوان. وعلى هذا يكون المراد بالإيمان الموجب للرزق هو الإيمان بالله مع العمل بجميع أحكامه ومبادئه ، لا إقامة الصلاة فقط ، بل واداء الزكاة ، وجهـاد المستغلين والمحتكرين ، وإقامة العدل في كل شيء ، وليس من شك ان العدل متى عم وساد صلحت الأوضاع ، وذهب الفقر والشقاء ، وهذا ما يهدف اليه القرآن .

لقد كشف الإسلام عن الصلة الوثيقة بـين فساد الأوضاع ، وبين التخلف وآلام الانسانية بشتى أنواعها ، وسبق إلى معرفة هذه الحقيقة كل عالم من علماء الاجتماع ، وكل قائد من قادة الاشتراكية والديمقراطية وغيرها .. وإذا كان لدى هؤلاء شيء يذكر فعن الاسلام أخذوا ، ومنه اقتبسوا .. ولكن ما الحيلة فيمن ينفر من كل ما يمت إلى الدين بسبب ، لا لشيء إلا لأن اسمه دين .

(منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون) . الضمير في منهم يعود إلى أهل الكتاب المذكورين في الآية صراحة ، وهم اليهود والنصارى ، والمراد بالأمة الجماعة ، ومعنى مقتصدة معتدلة ، والذين أطلق الله عليهم وصف الاعتدال هم من اعتنق الاسلام من اليهود والنصارى بعد أن ظهرت لهم دلائـل الحق ، وبينات الصدق . وقد ذكر أهل التاريخ والسير أسماءً كثيرة لمن أسلم من أهـل الكتاب ، أما الذين أصروا على الكفر بعد أن استبان لهم الحق فهم المقصودون بقوله تعالى : (وكثير منهم ساء ما يعملون) .

لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً الآية ٧٨ - ٨١ :

لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ★ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ

عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهِ لَبِئْسَ مَـا كَانُوا يَفْعَلُونَ★ تَرَىٰ كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَـا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ★ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ★

(لعن الله الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم). قال المفسرون : نهى داود بني إسرائيل عن صيد الحيتان يوم السبت بوحي من الله ، ولما عتوا عن أمره لعنهم ، ودعا عليهم ، فصاروا قردة . أما عيسى فقد طلب منه خمسة آلاف رجل ان ينزل عليهم مائدة من السماء ، فيأكلوا منها، ويؤمنوا به ، ولما نزلت أكلوا ونكلوا ، فقال عيسى : اللهم العنهم كما لعنت أصحاب السبت .

ولا شيء في الآية يومىء إلى هذه التفاصيل ، والمعنى الظاهر ان داود وعيسى لعنا من كفر من بني إسرائيل (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) . وسكت الله سبحانه عن نوع العصيان والاعتداء ، ولم يسكت عنه جهلاً ولا نسياناً ، ونحن نسكت عما سكت الله عنه ، وفي الوقت نفسه نؤمن بأن لعنة الله ونقمته تصيب كل من عصى واعتدى ، سواء أكان إسرائيلياً ، أو هاشمياً .

(كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) . تشعر هذه الآية بأن عمل المنكر لم يكن عملاً فردياً في المجتمع اليهودي ، وإنما كان عمل الجماعة كلها ، وان المنكر قد تفشى بينهم ، حتى صار عادة من عاداتهم المألوفة التي اصطلح عليها الكبير والصغير ،ولذا لم يوجد فيهم من يستنكر المنكر ،وينهى عنه.

وعن صحيح مسلم والبخاري ان رسول الله قال : « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القُذَّة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه . قالوا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ » القذة إحدى ريش السهم .

(ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا) . ضمير منهم يعود إلى اليهود ، والمراد بالذين كفروا — هنا — مشركو العرب ، وكان كثير من اليهود يقفون

مع المشركين ضد النبي (ص) ، ويحرضونهم عليه ، بل كانوا أشد منهم عداوة له ، مع ان النبي (ص) يؤمن بالله ، وبنبوة موسى (ع) ، وما أنزل اليه من ربه، والمشركون يعبدون الأوثان، ولا يؤمنون بموسى، ولا بكتاب من كتب الله، فكان الأولى باليهود ، وهذه هي الحال ، أن يقفوا مع المؤمنين ضد الوثنيين ، لا مع الوثنيين ضد المؤمنين .

ولكن اليهود كانوا وما زالوا يعملون على أساس الربح والتجارة، لا على أساس الدين، كان يهود المدينة يسيطرون على التجارة الداخلية ، ومشركو العرب يسيطرون على التجارة الخارجية ، فعمل النبي على تحرير الناس من السيطرتين ، فالتقت مصلحة اليهود مع مصلحة المشركين فتكاتفوا معهم وتضامنوا ضد المؤمنين ، تماماً كما التقت اليوم مصلحة اليهود مع مصالح أرباب الشركات الاستعمارية من المسيحيين ضد الشعوب والمستضعفين .. وسبق الكلام عن ذلك عند تفسير الآية ٥١ من هذه السورة .

(لبئس ما قدمت لهم أنفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون). هذه نتيجة فسادهم واعتدائهم ، سخطه وعذابه ، وكل امرىء مجزي بما أسلف، وقادم على ما قدم ، مسلماً كان أو مشركاً .

(ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي – موسى – وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء) . ذكر سبحانه في الآية السابقة أن اليهود، أو الكثير منهم كانوا يتولون المشركين ، ويؤلبونهم على المسلمين ، مع ان المسلمين أقرب اليهم ديناً من المشركين . ثم بيّن سبحانه في هذه الآية ان أولئك اليهود لم يؤمنوا بالله ، ولا بموسى ، ولا بما أنزل في التوراة كما يدعون ، ولو صدقوا في دعواهم ما اتخذوا المشركين أولياء من دون المؤمنين ، لأن ذلك محرم في شريعة التوراة ، (ولكن كثيراً منهم فاسقون) . أي ان المسألة عندهم ليست مسألة دين وعقيدة ، وإنما هي مسألة مصلحة ومنفعة ، كما قدمنا .

عداوة اليهود ومودة النصارى الآية ٨٢ – ٨٦ :

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا

وَلَتجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارىٰ ذٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ★ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ★ وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ★ فَأَثَابَهُمُ اللهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ★ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ★

المعنى :

(لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) . أي إن اليهود والمشركين أشد الناس عداوة للمسلمين .. وكثيراً ما يستشهد بهذه الآية على أن دين النصارى أقرب إلى الإسلام من دين اليهود .. وهذا خطأ إن أريد دين اليهود والنصارى قبل التحريف ، لأن الدين عند الله وأنبيائه واحد من حيث العقيدة وأصولها ، وان أريد دينهما بعد التحريف فهما فيه سواء : « ان الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم – ١٩ آل عمران » .

والصحيح ان عداوة اليهود والمشركين تتصل اتصالاً وثيقاً بالتصادم بين طبيعة الدعوة الإسلامية ، وطبيعة النظام الذي كان سائداً في جزيرة العرب أول البعثة .. كان هذا النظام يقوم على أساس التسابق لاقتناء المال والعبيد عن طريق السلب والنهب ، والربا والغش ، وما إليه من أسباب القهر والمكر ، وقد انعكست طبيعة هذا النظام على الكبار من مشركي مكة الذين كانوا يسيطرون على التجارة الخارجية ، كما انعكست على زعماء اليهود في المدينة الذين كانوا يسيطرون على الصناعة والتجارة الداخلية .

وانطلقت دعوة محمد (ص) تنادي بالعدل ، وترفض الظلم والاستغلال بشتى صوره وأشكاله ، وتصدت للمستغلين من اليهود والمشركين بالذات ، وعلى هذا الصعيد التقت مصلحة الطرفين ، وتحالفوا على ما بينهما من التباعد في الدين والعقيدة ، تحالفوا وتكاتفوا يداً واحدة على حرب محمد (ص) العدو المشترك .. وبهذا نجد تفسير قوله تعالى: (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) .

وبتعبير أوضح ان عداوة اليهود والمشركين للمسلمين كانت بدافع دنيوي ، لا بدافع ديني ، ولكن تستر اليهود باسم الدين رياءً ونفاقاً ، تماماً كما يفعل اليوم أصحاب الكسب غير المشروع .. هذا ، إلى أن كلاً من اليهود والمشركين يشتركون في العصبية الجنسية ، والحمية القومية .. ولكن مشركي العرب كانوا على جاهليتهم أرق قلباً ، وأكرم يداً ، وأكثر حرية في الفكر ، ومن هنا آمن أكثرهم برسول الله (ص) ، وما آمن به من اليهود إلا قليل .

من هم أقرب مودة للمسلمين ؟

(ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) . يتخذ البعض من هذه الآية وما بعدها مادة للتمويه بأن القرآن الكريم يرجح أحد المعسكرين المتطاحنين – في أيامنا هذه – على المعسكر الآخر .. وهذا ما يدعونا إلى أن نشرح هذه الآيات الأربع ، ونوضحها بما لا يترك مجالا لاستغلال الانتهازيين والمنحرفين .

ان من تأمل هذه الآيات لا يعتريه أدنى ريب بأنها متكاملة يتمم بعضها بعضاً، وانه لا يصح بحال أن تُفسر واحدة منها مستقلة عن أخواتها ، وانها صريحة واضحة في ان الله سبحانه لم يفاضل بين النصارى على وجه العموم ، وبين غيرهم من الطوائف في البعد أو القرب من المسلمين ، وإنما أراد سبحانه فئة خاصة من النصارى بدليل انه تعالى لم يقف عند القول : (ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون) بل عقبه بقوله :

(وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا

من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) . ومعنى هذا ان من النصارى من عرفوا الاسلام ، ودخلوا فيه طوعاً ، وعن قناعة وإيمان ، والتاريخ يثبت ذلك ، كما شهد التاريخ أيضاً بالأحقاد الصليبية على الإسلام والمسلمين، وبإبادتهم من الأندلس ، وبفظائع الايطاليين في طرابلس الغرب ، والفرنسيين في الجزائر وتونس والمغرب وسورية ، وبفظائع الانكليز في مصر والعراق والسودان وغيرها .. واليوم تتحالف الولايات المتحدة مع اليهود على إبادة شعب فلسطين، وتسلح هؤلاء القراصنة بأحدث الأسلحة فيعتدون، ثم يزعمون انهم المعتدى عليهم فتدعم الولايات المتحدة هذا الزعم ، وتذب عنه بحماس في مجلس الأمن وهيئة الأمم ، ويهاجم اليهود ويبطشون ، ثم يدعون انهم معرضون للبطش والهجوم ، وتقول الولايات المتحدة : نعم هذا هو الصدق والعدل .. فهل بعد هذا ، وكثير غير هذا يقال : ان النصارى ، كل النصارى أقرب الناس مودة للمسلمين ؟. ان مثل هذا لا يفوه به إلا جاهل أو مضلل ، ثم ماذا يصنع هذا المضلل بقوله تعالى : (وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) . ان الحق الذي جاءهم وآمنوا به هو الذي بشر به عيسى : « ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد – ٦ الصف » . ويؤكد هذا ، وينفي عنه كل ريب قوله تعالى بلا فاصل : (فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين) . فشهادة الله لهذه الفئة من النصارى بالاحسان وجزاؤها بالجنان – دليل قاطع على اسلامها ، وانها هي وحدها المقصودة بوصف الاحسان والثواب عليه .

أما النصارى الذين أنكروا الحق بعد أن عرفوه ، أو أعرضوا عنه ، دون أن ينظروا إلى دلائله وبيناته، أما هؤلاء فقد هددهم الله سبحانه وتوعدهم بقوله : (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) . وتسأل : ان قوله : (والذين كفروا وكذبوا الخ) يشمل كل من كفر وكذّب فما هو وجه التخصيص بالنصارى ؟.

الجواب : ان سياق الكلام يدل على ان الله سبحانه بعد أن وعد من آمن من النصارى بالجنة توعد من أصر على الكفر منهم بالنار ، وأطلق اللفظ ليشمل التهديد كل من خالف الحق وعانده ، وهذا لا يتنافى مع ما قلناه .

والخلاصة ان هذه الآيات صريحة في ان المقصود منها فئة خاصة من النصارى وهم الذين عرفوا الحق ، وآمنوا به ، وان الله سبحانه قد أدخلهم الجنة بسبب إيمانهم وصالح أعمالهم ، وإذا افترضنا – جدلاً – ان قوله تعالى : (ولتجدن أقربهم مودة الخ) يشمل كل من قالوا إنا نصارى ، إذا افترضنا هذا فيجب أن نصرف الآية عن ظاهرها ، ونخصصها بمن آمن منهم لأمرين :

الأول : إن الله سبحانه ذكر في العديد من آياته أن النصارى جعلوا لله شركاء ، وكتموا اسم محمد (ص) عن علم ، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم آلهة من دون الله ، ثم نهى جل ثناؤه عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء ، وقال : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء » . وإذا عطفنا هذه الآية وما اليها على قوله : (ولتجدن أقربهم مودة) يكون المعنى ان النصارى « منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون » كما جاء في الآية ٦٧ من سورة المائدة .

الثاني : إن أهل التفاسير قالوا : إن الآيات التي نحن بصددها نزلت في النجاشي ملك الحبشة ، وكان نصرانياً ، لأن النبي (ص) لما رأى ما حل بأصحابه من أذى المشركين في بدء الدعوة أمرهم بالهجرة إلى الحبشة ، وقال لهم : إن فيها ملكاً لا يُظلم عنده أحد ، فذهبوا اليه ، وكان من بينهم جعفر بن أبي طالب ، فوجدوا عند النجاشي الأمان ، وحسن الجوار ، وكان ذلك في السنة الخامسة من مبعث الرسول (ص) .

وقد تواترت الأخبار ان النجاشي وبطانته من رجال الدين والدنيا أسلموا على يد جعفر بن أبي طالب بعد أن تلا عليهم آياتٍ من الذكر الحكيم ، وذكر محاسن الإسلام . وان أعينهم فاضت من الدمع عندما سمعوا آيات الله .

وبعد ، فإن من يستشهد بقوله تعالى : (ولتجدن أقربهم مودة) على أن النصرانية والنصارى بوجه عام أقرب من غيرهم إلى الإسلام والمسلمين ، ويسكت عن الآيات المتممة لهذه الآية ، ان من يفعل هذا فهو جاهل بكتاب الله ، أو مراءٍ يتزلف إلى النصارى على حساب الإسلام والقرآن ، أو خائن يسمم أفكار السذج من المسلمين ليصدقوا مزاعم أعداء الدين الذين يناصرون إسرائيل ويباركون عدوانها على العرب والمسلمين .

سورة الاعراف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الآية - ١٢٩ :

قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ★

(قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) . كان فرعون يضطهد بني اسرائيل قبل مجيء موسى ، وأوغل في اضطهادهم بعد مجيئه ، ولما قالوا ذلك لموسى (قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون) . ان موسى على علم اليقين انه سيهلك فرعون ، وانه سيمن على بني اسرائيل بالنجاة منه ، ويمكن لهم في الأرض ، وعبّر عن ذلك بالرجاء دون الجزم لئلا يتكلوا على وعده .. ثم أومأ موسى (ع) إلى قومه انه ليس المهم أن يهلك الله عدوهم ويستخلفهم في الأرض ، وانما المهم أن يتقوا الله ، ويحسنوا خلافته في أرضه ، فينظر أيصلحون أم يفسدون ؟.. وقد عملوا الكثير في الأرض، حيث قتلوا الأنبياء والمصلحين من قبل ، وأقاموا دولة من بعد لا شريعة لها إلا شهوة القتل والتشريد .

في هذه السنة ١٩٦٨ صدر كتاب في اسرائيل ، اسمه « سياخ لوخاميم » أي أحاديث الجنود ، ترجمت جريدة الأهرام بعض ما جاء فيه في عدد ٦٨/٨/٢٣، من ذلك :

« من لا يستطيع أن لا يقتل أو لا يدمر بيتاً وينسفه على من فيه فالأفضل له أن يقعد في بيته ، ان الحركة الصهيونية تقوم على هذا الأساس ، عندما جئنا إلى أرض فلسطين كان هناك شعب آخر يسكنها ويعيش فيها ، ولم يكن لنا أن نتوقع انه سوف يترك مزارعه وبيوته لنا بالرضى والقبول ، فكان لا بد أن نقتلهم لنأخذ البيت والمزرعة ، أو نخيفهم بالقتل لكي يهربوا ، ويتركوا لنا البيت والمزرعة » .

هذه هي شريعة اسرائيل ، وهذا هو هدفها : القتل والتشريد .. انها ليست مجرد دولة كغيرها من الدول ، وانما هي عصابة مسلحة صهيونية استعمارية تهدف إلى قتل أو تشريد أصحاب البيوت والمزارع من النيل إلى الفرات لتحتل بيوتهم ومزارعهم .. فماذا أعد لها العرب ؟. لا وسيلة ولا حل إلا المبدأ الفيتنامي القائل: اما الموت ، واما الحياة ، اما لا اسرائيل تقتل وتشرد ، واما لا عرب اطلاقاً على سبيل مانعة الجمع .

وجاوزنا ببني اسرائيل البحر الآية ١٣٨ — ١٤١ :

وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ★ إِنَّ هٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ★ قَالَ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ★ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ★

المعنى :

(وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون) . جاء في بعض الروايات ان موسى بقي ثلاثة وعشرين عاماً يجاهد فرعون من أجل كلمة التوحيد وتحرير بني إسرائيل من الاضطهاد ، وقد شاهدوا المعجزات الباهرة التي ظهرت على يد موسى ، وأخيراً رأوا انفلاق البحر بضربة من عصا موسى ، وكيف جعل منه اثني عشر طريقاً يبساً لكل سبط من بني إسرائيل طريق معلوم، وأيضاً رأوا كيف انطبق البحر على فرعون وجنوده ، شاهدوا ذلك كله ، وقبل أن تمضي فترة ينسون فيها ما رأوه من المعجزات وقعت أبصارهم على قوم وثنيين يعبدون الأصنام ، فطلبوا من موسى أن يجعل لهم صنماً يعبدونه ، طلبوا هذا ، وهم يعلمون ان موسى رسول الله ، وان مهمته الأولى الدعوة الى التوحيد ، ومحاربة الشرك ، ويعلمون أيضاً ان الله أغرق فرعون وجنوده لشركه ، قال بعض المفسرين : لو انهم بأنفسهم اتخذوا لهم آلهة لكان الأمر أقل غرابة من أن يطلبوا إلى رسول رب العالمين أن يتخذ لهم آلهة ، ولكنما هي إسرائيل » .

الآية ١٦٨ - ١٦٩ : وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ★ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ★

(واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار) . تقدم في الآية ١٤٢ ان موسى (ع) ذهب لميقات ربه ، وانه استخلف على قومه أخاه هرون ، وأيضاً تقدم في الآية ١٣٨ أن بني إسرائيل بعد أن تجاوزوا البحر طلبوا من موسى أن يجعل لهم صنماً يعبدونه ، لا لشيء إلا لأنهم رأوا عبدة الأصنام، وما أن غاب موسى حتى اغتنموا فرصة غيابه ، فجمع السامري حلي النساء ، وصنع منها عجلاً ، وجعله على هيئة بحيث يخرج منه صوت الثيران ، وقال

لهم : هذا إلهكم وإله موسى ، فتهافتوا على عبادته ، ونهاهم هرون ، ولكنه لم يملك ردهم عن الضلال ، ولم يستجب له إلا قليل منهم . وتقدمت الإشارة إلى ذلك في الآية ٥١ من سورة البقرة ج ١ ص ١٠٢ . وأيضاً يأتي الكلام عنه .. وهذه الآية تعزز ما كررناه في المجلد الأول والثاني من ان اسرائيل لا تثبت إلا على مبدأ الشهوات والأهواء ، ان صح ان تكون الأهواء مبدأ .

(ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين) . هذا هو منطق الفطرة والعقل الذي يأبى أن يعبد الإنسان إلهاً من صنع يده .. ولكن ما لاسرائيل والعقل والفطرة والدين ؟.

(ولما سقط في أيديهم ورأوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين) . هذه هي المنقبة الوحيدة والأولى والأخيرة التي سجلها القرآن لاسرائيل من حيث هي وعلى وجه العموم ، وبصرف النظر عن القلة القليلة التي آمنت منهم بموسى وثبتت معه حتى النهاية .. وقد استظهر بعض المفسرين من توبة بني اسرائيل انه كان فيهم آنذاك بقية من الاستعداد للصلاح، ثم ذهبت هذه البقية ، ولم يبق أي أثر فيهم للاستعداد إلى الخير . وهذا الاستظهار غير بعيد ، وتوميء اليه الآية ٧٤ من سورة البقرة : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة » وهذه الآية بالذات نزلت بعد قصة ذبح البقرة ، وهذا الذبح متأخر عن عبادتهم العجل .

الآية ١٥٢ – ١٥٤ : إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ★ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ★ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ★

(ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين) . وتسأل : تدل هذه الآية بظاهرها على ان الذين اتخذوا العجل

قد غضب الله عليهم ، وأذلهم في الحياة الدنيا الى يوم يبعثون ، مع العلم بأنهم تابوا واستغفروا الله وسألوه الرحمة كما نصت الآية السابقة ١٤٩ . والله سبحانه هو القائل: « ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم – ١١٩ النحل » . اذن كيف لزم الغضب الأبدي واللعنة الدائمة من تاب عن عبادة العجل ؟.

وأجاب البعض بأن الذين عبدوا العجل انقسموا بعد رجوع موسى اليهم الى فرقتين : فرقة تابت توبة صحيحة ، وهؤلاء قد غفر الله لهم . وفرقة أصرت واستمرت على الشرك كالسامري وأشياعه ، وهؤلاء هم الذين غضب الله عليهم وأذلهم في الحياة الدنيا .

ويلاحظ بأنه لا شيء في الآية يدل على هذا التقسيم .. وأنسب الأجوبة ان الله قد علم ان اليهود لا يتوبون ولن يتوبوا أبداً عن الضلال واتباع الشهوات توبة خالصة ، لا ردة بعدها ، ويدل على هذه الحقيقة طبيعتهم وسيرتهم، فانهم كانوا وما زالوا لا يزدجرون من الله والضمير بزاجر ، ولا يرتدعون عن الضلال والفساد برادع إلا القوة وحدها .

سؤال ثان : ان ليهود اليوم دولة باسم اسرائيل .. وبها زالت عنهم الذلة في الحياة الدنيا ، وهذا يتنافى مع ظاهر الآية ؟.

الجواب : كلا ، وألف كلا ، ما قامت ولن تقوم أبداً دولة اليهود ، تماماً كما سجل الله في كتابه الحكيم .. أما اسرائيل فليست دولة كغيرها من الدول ، وإنما هي عصابة مسلحة، تماماً كجيش المرتزقة .. أوجدها الاستعمار لحماية مصالحه وضرب القوى الوطنية ، وليس لها من الدولة إلا الاسم ، وقد أثبتنا ذلك عند تفسير الآية ١٠٩ من آل عمران ، وغيرها في المجلد الأول والثاني من هذا التفسير ، وفي كتاب « من هنا وهناك » فصل: باع دينه للشيطان ، وغيره من الفصول .

(والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم) . معنى الآية واضح ، وتقدم نظيرها أكثر من مرة ، والقصد من ذكرها بعد الآية السابقة هو التأكيد بأن من تاب وأناب مخلصاً ، ولم يعاود المعصية كما يفعل بنو اسرائيل فان الله سبحانه يرحمه ويغفر له اسرائيلياً كان أو قرشياً

الآية ـ ١٥٩ :

وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ★

بين الصهيونية واليهودية :

(ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) . قال الرازي: «اختلفوا في ان هذه الأمة متى حصلت ؟. وفي أي زمان كانت ؟. فقيل : هم اليهود الذين آمنوا بمحمد (ص) كعبد الله بن سلام ، وابن صوريا .. وقيل : انهم قوم ثبتوا على دين موسى ، ولم يحرفوه كما فعل غيرهم من بني اسرائيل الذين أحدثوا البدع » .

ونحن نميل إلى أن هؤلاء كانوا في عهد موسى ، ثم انقرضوا كما يومىء قوله تعالى : « من قوم موسى » أما ابن سلام وابن صوريا فلا يقال لهما ولا لعشرة مثلهما أمة وطائفة .. وعلى أية حال ، فإن القرآن قد نعت اليهود بكل قبيح ، وألصق بهم وبتاريخهم العار والشنار في العديد من آياته .. وان دل قوله : « من قوم موسى » على شيء فإنما يدل على ان لكل قاعدة شواذ ، وبديهة ان الشاذ النادر لا ينقض القاعدة ، بل يؤكدها ؟.

وبصرف النظر عن الذكر الحكيم وآياته فهل الفساد والضلال بعيد عن طبيعة اليهود وسيرتهم ؟. وهل اليهود منزهون عن الضلال والافتعال ؟. بل هل في تاريخ اليهود بادرة واحدة فقط لا غير تشعر بالخير :.

ورب قائل : ان الفساد والضلال وصف لازم للصهيونية لأنها حركة عنصرية فاشيّة سياسية تهدف إلى خدمة الاستعمار وانتشاره ،أما اليهودية فانها ديانة كغيرها من الديانات !..

ونجيب أولاً:ما يدرينا ان المصدر الذي أوحى بهذا الفارق هم اليهود أنفسهم ليدفعوا عنهم ما لصق بهم وبتاريخهم القديم والحديث من العار والشنار على وجه العموم .. راجع فقرة الصهاينة تواطأوا مع النازية في تفسير الآية ٦٤ من المائدة.

ثانياً : على فرض وجود الفارق بين اليهود والصهيونية ـ وهو فرض محل

نظر – فهل اليهود بوجه العموم راضون أو ناقمون على الصهيونية التي أوجدت عصابة مسلحة باسم اسرائيل لا تهدف إلى شيء إلا الى حماية مصالح الاستعمار ، وضرب القوى التحررية ؟.. ولماذا ناصر اليهود هذه العصابة الصهيونية ، ومدوها بالأموال والأرواح ، وتطوعوا بالألوف ذكوراً وإناثاً في حرب ٥ حزيران سنة ١٩٦٧ بعد أن تدربوا وتمرنوا على استعمال الأسلحة الجهنمية ؟. ثم الا يؤمن اليهود ديناً وعقيدة بأنهم شعب الله المختار ، وان الله متحيز معهم ضد جميع الناس ، وانه قد حرم دماءهم ، وأحل لهم دماء البشرية جمعاء ، وانهم وضعوا قوانينهم ونظمهم على هذا الأساس ، والقوة المنفذة عصابة اسرائيل ؟.

وبعد ، فإن اليهودية كديانة نزلت من السماء على موسى (ع) قد ذهبت وباد أهلها ، ولم تبق منهم باقية ، كما باد غيرها من الديانات ، وان يهود اليوم صهاينة إلا من شذ ، والشاذ – كما قدمنا – لا يقاس عليه .

اليهود وسوء العذاب الآية ١٦٧ :

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيهِمْ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ★

المعنى :

لقد تحدث القرآن طويلاً عن بني اسرائيل ، تحدث عن كفرهم وافسادهم في الأرض ، وتمردهم على الحق ، وتكلمنا نحن كثيراً عنهم تبعاً لآي الذكر الحكيم ، وذكرنا عشرات الأمثلة من سيرتهم كشرح وتطبيق للنص القرآني في شأنهم ، ولكن هنا سؤال قد يرتفع إلى مستوى الحيرة والشك حول هذه الآية: (وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) . وحول الآية ١١٢ من سورة آل عمران : « ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا ».

وأجبنا عن هذا السؤال في المجلد الثاني صفحة ١٣٤ عند تفسير الآية ١١٢ من سورة المائدة ، وأيضاً أجبنا عنه بأسلوب آخر قريباً عند تفسير الآية ١٥٣ من السورة التي ما زلنا في تفسيرها ، ونشير هنا الى الجواب بإيجاز .. لقد

سلط الله من قبل على بني اسرائيل الفراعنـــة ، ثم البابليين ، ثم الفرس ، ثم خلفاء الاسكندر ، ثم النصارى .

ومن الطريف ما جاء في تفسير البحر المحيط ان طائفة من النصارى أملقت، فباعت اليهود الذين في بلدهم لبلد مجاور .. وأخيراً فر اليهود من الذل والنكال لاجئين الى بلاد العرب ، فعاشوا بها آمنين ، ولكنهم نكثوا العهد الذي أعطوه لرسول الله (ص) ، فقتل بعضاً ، وأجلى عمر بن الخطاب البقية الباقية ، فتشتتوا في شرق الأرض وغربها موزعين مع الأقليات تابعين غير مستقلين يسمعون الأوامر فيطيعون صاغرين .

وأخيراً أدرك اليهود انه لن يكون لهم اسم يذكر إلا إذا أخلصوا للاستعمار ، ومن أجل هـــذا باعوا أنفسهم لكل مستعمر قوي ينفذون مؤامراته ودسائسه .. وفي أيامنا هـــذه – نحن الآن في صيف سنة ١٩٦٨ – اكتشفت بعض الدول ان المستعمريـــن أوعزوا إلى يهـــود أوروبا الشرقيـــة أن يقوموا بمحـــاولات تهدف إلى سير هذه البلاد في ركاب المستعمرين ، وباشر اليهود بتنفيذ الخطة ، ولكنهم افتضحوا قبل اتمامها وكادوا يجرون العالم إلى حرب ثالثة . وعلى هـــذا المخطط ، مخطط سير الشعوب في ركاب الاستعمار أوجد المستعمرون عصابة مسلحة من اليهود على أرض فلسطين ، وأطلقوا عليها اسم دولة اسرائيل .

وكل عاقل يتساءل : هل يصح أن تسمى اسرائيل دولـــة بالمعنى الصحيح ، مع العلم بأنه لو تخلى الاستعمار عنها يوماً واحداً لزالت من الوجود ؟. وهـل من دولة في العالم كله لا تعترف بها دولة واحدة من الدول المجاورة لهـــا ؟. وإذا كانت اسرائيل دولة بالمعنى الصحيح فلماذا تقيم « علاقاتها » مع الدول والشعوب المجاورة لها على أساس الغدر والاعتداء والتوسع ؟.

ان الدولة حقاً ليست غدراً وسلاحاً ، وإنما هي قبل كل شيء كيان يقوم على أساس السلم ، ونظام يرتكز على أساس الحق ، وقيم تبتعد بها عن العنصرية والتعصب ، وكيان اسرائيل عسكري يقوم على أساس الحرب ، ونظامها عـدم التوقف عن العدوان ، وقيمها الصهيونية العنصرية ، والحقد والمكر والغدر ، قال الكاتب الانكليزي « كرستوفر مارلو » في مسرحية اليهودي المالطي : « ان تخيل امكانية معايشة اليهود ضربٌ من الجنون ، ولا دواء لنفوسهم إلا السيف البتار» .

أبعد هذا يقال للعرب عيشوا مع اليهود بسلام ، أو يقــال : ان اليهود أعزاء لأن منهم عصابة مسلحة تسمى باسم دولة اسرائيل تقتــل وتشرد مئات الألوف بمساندة الاستعمار ؟. أجل ، إذا كانت القرصنة عزاً ، والرذيلة مجداً فان اليهود في أوج المجد والعز .

وبالتالي ، فان الله وحده هو الذي يعلم الخطوة التالية ، والعاقل لا يخـــدع بالظواهر ، ولا يستبق الأحداث .

(ان ربك لسريع العقاب) للذين حقت عليهم كلمة العذاب (وانه لغفور رحيم) لمن أقلع عن ذنبه وأناب .

سورة الاسراء

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الاسراء الآية ١ :

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ★

بين المسجد الحرام واسجد الأقصى :

المسجد الأقصى يشبه المسجد الحرام من وجوه :

١ – انهما في الشرق .

٢ – يرجع تاريخ كل منهما إلى عهد قديم الا ان المسجد الحرام أقدم وأعظم، لأنه أول بيت وضع للناس ، وقد أوجب الله حجه على من استطاع اليه سبيلا :

« ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً - ٩٧ آل عمران » .

٣ - ان كلاً من الكعبة ومدينة القدس التي فيها المسجد الأقصى قد أسسها وأنشأها العرب أو شاركوا في بنائها أو تأسيسها ، أما الكعبة فقد بناها ابراهيم وولده اسماعيل (ع) : « وعهدنا إلى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود - إلى قوله - وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل - ١٢٧ البقرة » . والمعروف ان اسماعيل أول نبي تكلم باللغة العربية خلاف لغة أبيه ، واليه تنتسب قريش وغيرها من العرب ، وبلغتها نزل القرآن الكريم ، أما القدس فقد نزح إلى أرضها قبيلة اليبوسيين ، وهي من القبائل الكنعانية العربية ، وقد حطت رحالها على الجبل المعروف باسم صهيون سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد بزعامة شيخها سالم اليبوسي ، وهذه القبيلة العربية هي التي وضعت أول لبنة لمدينة القدس التي أصبحت فيما بعد قبلة العالم .. وبعد أن فتح المسلمون القدس بنوا مسجد عمر ، ومسجد قبة الصخرة داخل الحرم القدسي ، والأول أسسه عمر ابن الخطاب ، والمسجد الثاني بناه عبد الملك بن مروان ، وكان المسلمون لا يبيحون لغير المسلم أن يطأ أرضها .

٤ - ان المسلمين يقدسون كلاً من المسجد الحرام والمسجد الأقصى ، حيث توجهوا اليه في صلاتهم ثلاثة عشر عاماً بمكة وبضعة أشهر بالمدينة ، وإذا أضفنا إلى ذلك اسراء النبي (ص) اليه لم يكن عجباً ان يتخذه المسلمون مكاناً مقدساً لهم وان يكون عندهم بالمنزلة الثانية من الحرم المكي والمدني من حيث القداسة والصيانة والرعاية .

وقد جاء في كثير من الروايات ان رسول الله قيد البراق بالصخرة المقدسة حين بلغ به الإسراء الى بيت المقدس وحتى الآن يسمى الجدار الغربي للحرم القدسي بجدار البراق ، وجاء في الروايات أيضاً ان النبي (ص) صلى على أطلال هيكل سليمان اماماً لابراهيم وموسى وعيسى ، وانه عرج الى السماء بعد ذلك متخذاً من صخرة يعقوب مركزاً لمعراجه الى السماء . ومن أجل هذا وغيره كانت مأساة القدس سنة ١٩٦٧ م. على أيدي الصهيونية والاستعمار الأمريكي والانكليزي هي

مأساة المسلمين والمسيحيين أيضاً .. فلقد لوثت تلك الأيدي القذرة الأماكن المقدسة عند الديانة الاسلامية والمسيحية،واستهانت بها ، فأحيت فيها الليالي الحمراء مع الفاجرات ، وأقامت حفلات الرقص والخلاعة .

وغريبة الغرائب ان يدعي الامريكان والانكليز انهم حماة الأديان وأعداء الالحاد.. وفي نفس الوقت يناصرون الصهاينة الذين لا يؤمنون بالقيم ، ولا يحترمون الأخلاق، ولا يقيمون وزناً لدين من الأديان ، ولا يعترفون بحق من حقوق الانسان . لقد ناصر الامريكان والانكليز اسرائيل وأمدوها بالمال والسلاح ، وآزروها في الأمم المتحدة ومجلس الأمن ، وشجعوها على انتهاك المقدسات الدينية عند المسلمين والمسيحيين ، وتحدوا بموقفهم هذا العالم بأسره .. ولسنا نشك في ان دائرة السوء ستدور على المستعمرين وحلفائهم الصهاينة بأيدي الثائرين الأحرار ، تماماً كما دارت الآن على رؤوس الأمريكان بيد الفيتناميين ، ودارت من قبل على اليهود بيد بختنصر والرومان والنبي (ص) والخليفة الثاني عمر بن الخطاب .

بنو اسرائيل والافساد مرتين الآية ٤ ـ ٨ :

وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي ٱلْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً★ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاَهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً★ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً★ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُؤُا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً★ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً★

المعنى :

المعنى الجملي لهذه الآيات ان الله أخبر بني اسرائيل انهم يفسدون في الأرض أولاً ، فيسلط عليهم من يـذلهم بالقتل والأسر والسلب والنهب ، ثم يستردون قوتهم ، ولكن يعودون الى الافساد ثانية ، فيسلط عليهم أيضاً من يضربهم الضربة الثانية ، وفيما يلي التفصيل :

١ — (وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب) . المراد بالقضاء هنا الاعلام والاخبار ، لا القضاء بمعنى الحكم والأمر لأن الله لا يقضي بالفساد : « قل ان الله لا يأمر بالفحشاء — ٢٨ الأعراف» ، والمراد بالكتاب التوراة التي انزلت على موسى بدليل قوله تعالى : (وآتينا موسى الكتاب) . والمعنى ان الله سبحانه أخبر بني اسرائيل ان خلفهم سيفسدون في الأرض مرتين .

٢ — (لتفسدن في الأرض مرتين) . وليس المقصود بافسادهم هنا الافساد بمعناه العام الذي يشمل الكفر والكذب وأكل الربا ، وتدبير المؤامرات ونحوها .. فان هذا هو دينهم وديدنهم في كل عصر وجيل،وكل طور من أطوار حياتهم ، فلقد قال تعالى فيما قال عنهم: « وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا — الى قوله — كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين — ٦٤ المائدة » . ليس المقصود الافساد العام ، وانما المقصود الافساد الخاص ، وهو الحكم والسيطرة . وان حكمهم هو الافساد بالذات بدليل قوله تعالى مخاطباً بني اسرائيل :

٣ — (ولتعلن علواً كبيراً) . والقرآن الكريم يستعمل العلو في الطغيان والافساد قال تعالى : « ان فرعون علا في الأرض — ٤ القصص » . وقال : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين — ٨٣ القصص» . والمعنى انكم يا بني اسرائيل ستحكمون مرتين ، وتتخذون الحكم وسيلة للفساد الكبير الخطير الذي لا يقاس به أي فساد..فتستبيحون المقدسات، وتنتهكون الحرمات ، وتستهينون بالقيم والاخلاق ، وبكل حق لله وللانسان .

ولم ينص القرآن الكريم على مكان وزمان افسادهم الكبير بسبب الحكم مرتين ،

ولكن المؤرخين وجماعة من المفسرين قالوا : ان بني اسرائيل آغاروا على فلسطين بعد التيه بقيادة يوشع بن نون خليفة موسى بن عمران ، واحتلوها واستولوا على جميع ما فيها من خيرات وثروات بعد أن أبادوا معظم أهلها الكنعانيين ،واستعبدوا من بقي منهم ، وكانت سيرتهم مع يوشع تماماً كسيرتهم مع موسى : العصيان والعناد .. وهذه هي المرة الأولى ، أما المرة الثانية فمن قائل : انها لم تقع بعد ، وانها ستقع في المستقبل على أيدي العرب والمسلمين في فلسطين ، ويأتي البيان ، ومن قائل : انها وقعت ومضى أمدها . وهذا القول هو الأرجح .

وفي كافة الأحوال فان القرآن الكريم ينص صراحة على ان بني اسرائيل اذا حكموا وسيطروا طغوا وبغوا وأفسدوا في الأرض وعلوا علواً كبيراً .. اذن ، فلا بدع أن تبقر الدولة الصهيونية الاستعمارية بطون الحبالى في فلسطين، وتدفن الشباب أحياء ، وتطلق النار على المساجين ، وتلقي قنابل النابالم على الآمنين،وتهدم البيوت على أهلها،وتكم الأفواه بالأموال والضغط العنيف .. ثم تتباكى وتتظلم من الاعتداء عليها .. نقول هذا مع العلم بأن القرآن لا يشير اطلاقاً الى هذه العصابة المرتزقة التي باعت نفسها لكل من قاد ويقود قوى الشر والاستعمار .. ولكن جاءت الاشارة اليها لأن هذه العصابة تحمل اسم اسرائيل ، وتدعي الانتماء إلى بنيه مسخة القرود والخنازير .

(فإذا جاء وعد أولاهما) . ضمير أولاهما يعود إلى المرتين من افساد بني اسرائيل ، والوعد هنا بمعنى الموعود أي إذا جاء الوقت الموعود لإفساد بني اسرائيل في المرة الأولى (بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد) . الخطاب في عليكم لبني اسرائيل ، وبعثنا سلطنا ، ولا يشرط في العباد أن يكونوا مؤمنين — كما زعم البعض — بل قد يكونون كافرين بدليل قوله تعالى : « يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون — ٣٠ يس » ، وأولي بأس شديد أصحاب شوكة وقوة ، وهم البابليون بقيادة نختنصر أو أبيه سنحاريب،الذين قتلوا اليهود ، وأحرقوا التوراة ، وسبوا منهم عدداً كبيراً رجالاً ونساءً وأطفالاً ، وكان ذلك سنة ٥٨٦ قبل الميلاد ، وقيل:٥٩٦ (فجاسوا خلال الديار) لم يأت في القرآن لفظ جاسوا إلا في هذه الآية،والجوس طلب الشيء بالاستقصاء والتردد أي ان أولي البأس كانوا يترددون وسط ديار اليهود ذهاباً وإياباً يبحثون عن اليهود

ليقتلوهم (وكان وعداً مفعولاً) نافذاً لا خلف فيه ، ولا مرد له .

وخلاصة المعنى من مجموع هذه الآية ان بني اسرائيل حين أفسدوا في المرة الأولى بعث الله عليهم قوماً أقوياء أشداء قتلوا وأسروا وشردوا رجالهم ، وسبوا نساءهم ، ونهبوا أموالهم ، وخربوا ديارهم .. ونخلص من هذا ان الافسادة الأولى وضربتها من الله على يد قوم أشداء قد مرت قبل الاسلام .

(ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً) . الخطاب لبني اسرائيل ، والضمير في عليهم للبابليين ، والمعنى ان بني إسرائيل يكرّون ويتحررون من أسر البابليين وإذلالهم .. والمعروف ان بني إسرائيل لم يحاربوا البابليين في ديارهم ، ولم ينتصروا عليهم ، ولكن في سنة ٥٣٨ قبل الميلاد فتح ملك الفرس بلاد بابل ، وحرر من فيها من الأسرى الاسرائيليين ، وعليه تكون الكرة من بني إسرائيل على البابليين بواسطة ملك الفرس ، قال أبو حيان الأندلسي في تفسيره « المحيط » : « إن ملكاً غزا أهل بابل ، وكان بختنصر قد قتل من بني إسرائيل أربعين ألفاً ، وأبقى منهم بقية عنده ببابل في الذل ، فلما غزاهم ذلك الملك ، وغلب على بابل تزوج امرأة من بني إسرائيل، فطلبت منه أن يرد قومها إلى بيت المقدس ، ففعل »[1] .

ولما عاد بنو إسرائيل إلى فلسطين أمدهم الله بالمال والبنين، وجعلهم أكثر عدداً مما كانوا ، ولكن ما ان استردوا قوتهم حتى عادوا إلى أسوأ مما كانوا عليه من الافساد والانحراف عن الدين، وقتلوا زكريا ويحيى، وهمّوا بقتل السيد المسيح (ع) .

(إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها) . وفي هذا المعنى قوله تعالى : « من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد – ٤٦ فصلت » . وقوله : « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت – ٢٨٦ البقرة » .

(فإذا جاء وعد الآخرة) . بعد أن مضى الافساد الأول من بني إسرائيل ، ومضت محنتهم الأولى جاء الافساد الثاني ، وحل محله وقت المحنة الثانية ، فبعث الله على بني إسرائيل قوماً (ليسوءوا وجوهكم) الخطاب لبني إسرائيل ، وضمير يسوءوا راجع إلى المبعوثين لكي ينزلوا المحنة بالاسرائيليين .. ومساءة الوجوه كناية

---

١ ويشهد هذا الزواج على اليهود بأنهم منذ القديم يتوصلون الى غاياتهم عن طريق الرقيق الأبيض .

عن محنتهم وإذلالهم ، لأن الأعراض النفسية يظهر أثرها في الوجه فرحاً كانت أو حزناً ، ومثله قوله تعالى : « سيئت وجوه الذين كفروا — ٢٧ الملك » .

(وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً). المراد بالمسجد هنا مدينة القدس ، لأن فيها هيكـــل سليمان ، وسمي مسجداً لأنه محل للسجود ، والمراد بالتتبير الاهلاك ، وما علوا أي ما أخذه الفاتحون وتغلبوا عليـه ، والمعنى ان بني اسرائيل حـــين أفسدوا في المرة الثانية ساط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب ، ويجعل مصيرهم في هذه المرة تماماً كمصيرهم في المرة الأولى من القتل والاسر والتشريـد والتخريب والتدمير .. ونخلص من هذا ان الافسادتين والمحنتين قد مضتا جميعاً قبل الاسلام .

وفي مجمع البيان ان الذي أغار على بني اسرائيل أولاً ، وخرب بيت المقدس هو بختنصر ، والذي أغـــار عليهم ثانية هو ملك الروم ، فخرب بيت المقدس وسبى أهله ، ويتفق هذا مع ما نقله المراغي عن تواريخ اليهود ، وقال : كان بين الاغارتين نحو من خمسمئة سنة .

(عسى ربكم ان يرحمكم) على شريطة أن تتوبوا وترحموا ، لأن من لا يَرحم لا يُرحم ، كما جـــاء في الحديث الشريف (وان عدتم) إلى الافساد والتعالي والاستكبار على أمر الله (عدنا) إلى عقابكم وإذلالـكم ، وقد عادوا وأفسدوا ، فكذبوا محمداً (ص) ، وهموا بقتله ، كما هموا بقتل المسيح (ع) من قبل، فسلط الله عليهم المسلمين ، فقتلوا بني قريظة ، وأجلوا بني النضير ، واستولوا عـــلى خيبر ، وطردوا اليهود من الجزيرة العربية .

(وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) . قيل : الحصير هنا بمعنى البساط، وقيل: بمعنى الحصر والحبس ، ومهما يكن فإن المراد ان جهنم محيطة بهم ، ولا رجاء لهم بالخلاص منها ، تماماً كقوله تعالى : « أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصاً — ١٢١ النساء » .

قضاء الله ودولة اسرائيل :

في كانون الثاني « يناير » من هذا العام ١٩٦٩ دار نقاش هادىء على صفحات

جريدة الأخبار المصرية حول قضائه تعالى : « الى بني اسرائيل لتفسدن في الأرض مرتين الخ ».واشترك في هذا النقاش عدد كبير من أهل العلم والرأي الغيورين على الحق ، واستمر الحوار والجدال أمداً غير قصير ، ونشرته الجريدة في أربعة أعداد، وهي أعداد أيام الجمعة من الشهر المذكور ، وقد انقسم المشتركون في هذا الحوار إلى فريقين :

الفريق الأول يقول : ان أولى الضربتين على بني اسرائيل وقعت بيد المسلمين أيام عمر بن الخطاب لأنه فتح القدس ، وجاس هو والمسلمون خلال الديار الفلسطينية ، وفسر هذا الفريق المفسدة الثانية من بني اسرائيل بما فعلته عصابة الصهاينة في حزيران سنة ١٩٦٧ وما تفعله الآن ، وفسر الضربة الثانية بأن الله سيمكّن في المستقبل العرب والمسلمين من رقاب الصهاينة،فيسترجعون منهم الأرض السليبة التي وثبوا عليها في حمى الاستعمار .. وقال هذا الفريق : ان هذا المعنى هو المراد من قوله تعالى : « وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة » أي ان العرب والمسلمين يحررون المسجد الأقصى في المستقبل من اسرائيل الحالية كما حرره المسلمون من قبل .

ولا مصدر لهذا التفسير إلا العاطفة والتنبؤات التي يجب تنزيه القرآن عنها ، لأنه كتاب علم ونور من الله يكشف عن السنن والقوانين الكونية التي لا تتغير ولا تتبدل ، وتطرد في جميع الكائنات من الذرة الصغيرة الى المجرات الكبيرة .. وفي الوقت نفسه يحمّل القرآن كل فرد مسؤولية العمل والجهاد والحساب عليه أمام الله والضمير والناس أجمعين .

أما الفريق الثاني فيقول : إن الافسادتين من بني إسرائيل قد مضتا ، ومضت معهما الضربتان قبل الاسلام ، وان الضربة الأولى سبقت ظهور الاسلام بنحو ألف عام وانها كانت بيد ملك بابل بختنصر أو أبيه سنحاريب الذي دمّر القدس ، وأحرق الهيكل ، وقتل من اليهود مقتلة عظيمة ، وساق من بقي منهم رجالاً ونساء وأطفالاً سبياً ذليلاً إلى بابل .

أما الضربة الثانية فيقول هذا الفريق : انها وقعت على بني إسرائيل سنة ٧٠ للميلاد بيد تيطس الروماني الذي حاصر مدينتهم ، ودك أسوارها ، ثم دخلها فخرب منازلها ، ودمر هيكلها ، وقتل مليون نسمة على ما قرره يوسيفوس الذي

شهد الموقعة بنفسه ، عدا من باعه رقيقاً في الأسواق ، وهام الباقون على وجوههم مذعورين إلى شتى أنحاء الأرض .

وأيضاً قال هذا الفريق : إن النص القرآني لا يشير من قريب أو بعيد إلى العصابة الموجودة الآن على أرض فلسطين ، والتي تحمل اسم إسرائيل،لأنها ليست طائفة دينية ، ولا هيئة سياسية ، ولا دولة حقيقية ، وإنما هي في واقعها عدو جديد للعرب والمسلمين ، وهو الاستعمار الصهيوني ، أو الصهيونية الاستعمارية التي تلبس أثواب داود ، عليها الخريطة المشتهاة،والمسجلة في التوراة الموضوعة المحرفة « من النيل إلى الفرات » . والغرض الأول والأخير هو أن يقضي الاستعمار الجديد بقيادة الولايات المتحدة على الكيان العربي والاسلامي ، ويستنزف موارد الشعوب تحت ستار اليهود .

ونخلص من هذا ان القرآن الكريم لم يشر إطلاقاً إلى إسرائيل الحالية ، وان الآيات التي تحدثت عن بني إسرائيل إنما عنت الاثني عشر سبطاً من نسل يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم الذين كانوا في عهد موسى وهارون .. وهؤلاء الذين اقتحموا أرضنا بأسلحة الاستعمار ، وأموال الصهيونية ليسوا من نسل إسرائيل بن اسحق ، ولا على دينه ودين موسى ، وإنما هم مخلوق جديد .. عجيب غريب ..لم يسبق له مثيل ، لأنه مكون من أشتات لا يربط بينها رابط ، ولا يجمعها جامع من وطن أو لغة ، أو أي مبدأ إلا مبدأ العمالة لقوى الشر والاستعمار .

هذا ، إلى أن تفسير قوله تعالى : « وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة » تفسيره بأن الله قضى وقدر بطرد الصهاينة من فلسطين يؤدي بنا من حيث نريد أو لا نريد إلى التواكل وطرح أسباب النصر الطبيعية التي بيّنها الله في كتابه ، وعلى لسان نبيه ، وحثنا عليها بكلمة الجهاد تارة ، والتعاون تارة ، وإعداد العدة أخرى ، وعدم اليأس حيناً ، والصبر والمثابرة أحياناً ، وبذل المال واسترخاص كل غال في سبيل الذود عن الدين والوطن،تماماً كما فعل محمد وصحابة محمد(ص) والذين اتبعوهم باحسان ، وكما يفعل الفدائيون الآن .

وبعد ، فإن الله لا ولن يتولى عنا حرب إسرائيل ، ولا حرب الاستعمار

والصهيونية ، وان صلينا له ورجوناه ، لأن أفضـل أنواع العبادة عنده هي التضحية بكل القدرات والطاقات ضد الظلم والطغيان ، والفساد والعدوان .. ونحن نملك القدرة الكافية الوافية على طرد العدو من أرضنا السليبة ، نملك هـذه القدرة بعددنا وديننا وتراثنا ومواردنا ، وما علينا إلا أن نستعملها .. ولا بد أن نستعملها في يوم من الأيام إن عاجلاً أو آجلاً ، لأن حب البقاء يحتم ذلك .. فلقد وضعنا الاستعمار والصهيونية أمام أمرين لا ثالث لهما : إما الموت ، وإما الحياة .. ولا أحد يفضل الموت على الحياة ، والاستعباد على الحرية ، والهوان على الكرامة .

النفير العام : سورة التوبة

(انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيـل الله) . الخفاف جمع خفيف ، والمراد به هنا من يستطيع الجهاد بيسر ، والثقال جمع ثقيـل ، وهو من يستطيع الجهاد بشيء من المشقة . والآية تدل على وجوب النفير العام ، واليك البيان .

إذا حاول العدو أن يعتدي على دين الاسلام بتحريف كتاب الله وما ثبت من سنة نبيه ، أو بصد المسلمين ومنعهم عن اقامة الفرائض والشعائر الدينيـة ، أو حاول الاستيلاء على بلد من بلادهم — إذا كان الأمر كذلك وجب على المسلمين أن يجاهدوا هذا العدو ، ويردعوه عن غيه وضلاله، فإن أمكن ردعه بجهاد بعض المسلمين وجب الجهاد به كفاية إذا قام البعض سقط عن الكل ، وإذا أهملوا جميعاً فهم مسؤولون ومستحقون للعقاب بلا استثناء ، وإذا توقف الردع على النفير العام كان الجهاد عيناً على الشبان والشيوخ والنساء والمرضى ، من كلٍ حسب قدرته.

قال صاحب الجواهر : « إذا داهم المسلمين عدو من الكفار يخشى منه على بيضة الاسلام ، أو يريد الكافر الاستيلاء على بلاد المسلمين وأسرهم وسبيهم وأخذ أموالهم ، إذا كان كذلك وجب الدفاع على الحر والعبد والذكر والأنثى والسليم والمريض والأعمى والأعرج وغيرهم إن احتيج اليهم ، ولا يتوقف عـلى حضور الإمام ولا اذنه ، ولا يختص بالمعتدى عليهم والمقصودين بالخصوص ، بل يجب النهوض علي كل من علم بالحال ، وإن لم يكن الاعتداء موجهاً اليه .. هذا إذا

لم يعلم بأن من يراد الاعتداء عليهم قادرون على صد العدو ومقاومته » .

هذا هو عهد الله أخذه على كل مسلم باتفاق جميع المذاهب ، تماماً كاتفاقهم على وجوب الصوم والصلاة ، والحج والزكاة .. وقد ابتلي المسلمون والعرب الآن بعصابة صهيونية استعمارية اعتدت على دينهم وبلادهم ، وقتلت وشردت وسجنت الألوف .. فعلى كل عربي ومسلم في مشارق الأرض ومغاربها أن يجاهد بكل طاقاته ضد هذه العصابة المسماة بدولة إسرائيل . (ذلكم خير لكم) أي النفير خير للمسلمين في دينهم ودنياهم . (إن كنتم تعلمون) . أجل ، نحن نعلم بأن النفير لجهاد إسرائيل واجب على كل مسلم ، ولكن الذي يمنعنا عن جهاد إسرائيل هم الخائنون ، فعلينا أن نجاهد هؤلاء قبل كل شيء لأنهم علة العلل ، ولولا خيانتهم لدينهم وأمتهم، وطاعتهم العمياء للصهيونية والاستعمار ما كان لاسرائيل عين ولا أثر .

سورة الاحزاب

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الأحزاب الآية ٩ ـ ١٥ :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً★ إِذْ جَاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا★ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً★ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً★ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً★ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا ٱلْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا

بِهَا إِلَّا يَسِيراً★ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْؤُولاً★

ملخص قصة الأحزاب :

هذه الآيات وما بعدها إلى الآية ٢٧ نزلت في غزوة الأحزاب ، وتسمى أيضاً وقعة الخندق ، وخلاصتها ان نفراً من زعماء اليهود استحثوا قريشاً وغيرها من قبائل العرب على حرب رسول الله (ص) ، ورصدوا لذلك كثيراً من المال ، واستطاعوا أن يحزبوا الأحزاب ، ويؤلفوا جيشاً ضخماً لا عهد للجزيرة العربية بمثله من قبل ، وزحف الجيش الهائل على المدينة بقيادة أبي سفيان .

ولما علم الرسول الأعظم (ص) بقصدهم أمر بحفر الخندق بإشارة من سلمان الفارسي ، وعمل الرسول فيه بيده ، وعمل معه المسلمون المخلصون ، وكان سلمان يلهبهم حماساً بحديثه عما أعد الله للعاملين والمجاهدين ، ولكن المنافقين كانوا يثبطون عزم رسول الله ويتسللون بغير علمه .

وانتهى حفر الخندق على أية حال ، وأقبلت الأحزاب بألوفها المؤلفة ، ولما رآهم المسلمون سيطر الخوف على كثير منهم ، واشتد عليهم البلاء ، وأخذوا يظنون بالله الظنون ، وزاد من فزعهم وهلعهم ان بني قريظة ، وهم قبيلة من اليهود ، كانوا يساكنون رسول الله (ص) بالمدينة،وكان بينه وبينهم عهد وميثاق أن لا يعينوا عليه عدواً ، وظلوا قائمين على العهد حتى جاء جيش الأحزاب ، فنقضوا العهد وأعلنوا الحرب في أصعب الظروف وأشقها على المسلمين .. وهذا هو شأن اليهود في كل زمان ومكان ، يتذللون كالكلاب حينما لا تساعدهم الفرصة على البغي والعدوان ، فإذا سنحت عقروا وغدروا .. وبعث الرسول (ص) سعد ابن معاذ وجماعة من الصحابة إلى بني قريظة في محاولة لبقائهم على العهد، فأصروا على الغدر ، فوقع المسلمون في حصار شديد يحيط بهم العدو من فوقهم ومن أسفل منهم .

وفي فقه السيرة للشيخ الغزالي : « أقبل عمرو بن ود وعكرمة بن أبي جهل

وضرار بن الخطاب حتى رأوا مكاناً ضيقاً من الخندق ، فضربوا خيلهم فاقتحمته، وأحس المسلمون بالخطر الداهم ، فأسرع فرسانهم يسدّون الثغر يقودهم علي بن أبي طالب ، وقال علي لعمرو بن ود ، وهو فارس شجاع مُعْلَم : يا عمرو انك عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه . قال : أجل . قال له علي : أدعوك إلى الله ، إلى الاسلام . قال عمرو : لا حاجة لي بذلك . قال علي : أدعوك إلى النزال . فأجابه عمرو : ولِمَ يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك – استصغاراً لشأنه – فقال له علي : لكني والله أحب أن أقتلك .. فحمي عمرو واقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ، ثم أقبل على علي ، فتنازلا وتجالدا ، فقتله علي ، وخرجت خيل المشركين من الخندق منهزمة حتى اقتحمته هاربة » .

ولما شعر جيش الأحزاب انه لا سبيل إلى اقتحام الخندق أخذوا يصوبون سهامهم على المسلمين ، فأصاب سهم منها أكحل سعد بن معاذ وجرحه جرحاً بليغاً ، فأمر النبي (ص) ان يحمل إلى امرأة بالمدينة تدعى رفيدة كانت تداوي جرحى المسلمين لوجه الله . فقال سعد ، وقد رأى جرحه المميت: اللهم ان كنتَ أبقيت من حرب قريش شيئاً ، فأبقني لها فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهدهم من قوم آذوا رسول الله وكذبوه وأخرجوه ، وان كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة،ولا تمتني حتى تقرّ عيني من قريظة . وقد استجاب الله دعاءه، حيث حكّمه في بني قريظة ، فعاقب رجالهم بالقتل ، ونساءهم بالسبي . ويأتي التفصيل عند تفسير الآية ٢٦ : « فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً » .

ودام الحصار بضعاً وعشرين ليلة ليس فيها إلا الترامي بالنبل والحجارة. وفجأة هبت ريح عاتية دكت معسكر الأحزاب ، واقتلعت خيامهم ، وأفسدت كل شيء ، فانسحبوا مخذولين بقيادة أبي سفيان ، وأيّد الله نبيه بنصره ، وهتف يقول : لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده .

واتفق الرواة على أن هذه الغزوة كانت في السنة الخامسة من الهجرة، واختلفوا في تعيين الشهر ، فمن قائل : انه ذو القعدة ، وقائل : انه شوال . هذا مجمل غزوة الأحزاب .

ملخص قصة بني قريظة :

(وأنزل الـذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطأوها وكان الله على كل شيء قديراً) . المراد بأهل الكتاب هنا بنو قريظة خاصة . وضمير « هم » في قوله تعالى « ظاهروهم » يعود الى الأحزاب، وصياصيهم حصون بني قريظة . أما قوله تعالى : « وأرضاً لم تطأوها » فهو بشارة بالفتوح الاسلامية .

قلنا فيما تقدم : ان بني قريظة ، وهم قبيلة من اليهود ، كانوا يساكنون النبي (ص) بالمدينة أو بضواحيها ، وانه كان بينه وبينهم عهد أن لا يعينوا عليه عدواً ، ولما حاصرت الأحزاب المدينة نقضوا العهد وأعلنوا الحرب ، كما هو شأن اليهود قديماً وحديثاً .. وهاتان الآيتان اللتان نحن بصددهما تشيران الى ما حدث لبني قريظة بعد نقضهم العهد وهزيمة الأحزاب ، وخلاصته :

لما كفى الله المؤمنين قتال الأحزاب نادى منادي رسول الله بالخروج الى بني قريظة ، ولما وصل اليهم جيش المسلمين أغلقوا عليهم الحصن، فعرض النبي (ص) عليهم الاسلام على أن يكون لهم ما للمسلمين ، وعليهم ما عليهم ، وإلا حاصروهم حتى يستسلموا أو يحاربوا ، فأشار عليهم رئيسهم كعب بن أسد أن يسلموا ويؤمنوا بمحمد (ص) ، وقال : فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل وانه الذي تجدونه في التوراة ، فأبوا وقالوا : لا نفارق ديننا .

وامتد الحصار خمساً وعشرين ليلة حتى أوشكوا على الهلاك من الجهد والخوف، وعندئذ طلبوا من النبي (ص) باختيارهم وملء إرادتهم أن ينزلوا على حكم سعد ابن معاذ ، وهو رئيس الأوس ، وكان بنو قريظة حلفاء لهم ، فاستجاب النبي لطلبهم ، واستدعى سعداً ، وقال له : ان هؤلاء قد نزلوا على حكمك مختارين، فاحكم بما شئت . قال سعد : وحكمي نافذ عليهم ؟ قال النبي (ص) : نعم . فحكم سعد أن تُقتل رجالهم المقاتلون، وان تقسم أموالهم ، وتسبى ذراريهم ونساؤهم ، وان تكون ديارهم للمهاجرين دون الانصار ، لأن للأنصار دياراً ، ولا ديار للمهاجرين .

فأمر النبي (ص) بقتل الرجال الذين كانوا يحملون السلاح ، ومن حث بني قريظة على نقض العهـد ودبر المعركة ضد المسلمين كحي بن أخطب زعيم بني النضير ، ثم قُسمت الأموال ، وسُبيت الذراري والنساء كما حكم سعد الذي اختاره بنو قريظة حكماً . والى هذا يشير قوله تعالى : « فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً ».
وقدمنا ان سهماً من أسهم الأحزاب أصاب أكحل سعد ، وانه طلب من الله ان لا يميته حتى يقر عينيه من بني قريظة .. وبعد أن نُفّذ فيهم حكمه انفجر الجرح وانتقل إلى رحمـة الله ورضوانه ، وهو قرير العين بالشهادة واستجابة الدعاء .

هل ظلم محمد (ص) بني قريظة :

وتسأل : كيف أقر النبي (ص) حكم سعد ، وفيه ما فيه من العنف والقسوة حتى اتخذ منه أعداء الاسلام وسيلة للطعن والتشهير ؟

الجواب : ان محمداً لم يظلم بني قريظة ، وانما أنفسهم كانوا يظلمون لأنهم اختاروا لها هذا المصير بملء ارادتهم ، ويشهد لذلك :

أولاً : انهم عاهدوا النبي ونكثوا العهد في أحرج الأوقات ، كما هو دأب اليهود منذ القديم قال تعالى : « أو كلما عاهدوا عهداً نبـذه فريق منهم – أي الرؤساء – ١٠٠ البقرة » .

ثانياً : ان النبي (ص) عرض عليهم أن يدعهم وشأنهم شريطة أن يقولوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ونصحهم رئيسهم كعب بن أسد أن يستجيبوا وينطقوا بكلمة الشهادة فرفضوا .

ثالثاً : ان بني قريظة أبوا النزول على حكم رسول الله (ص) ، وقبلوا حكم سعد من تلقاء أنفسهم .

رابعاً : ان سعداً حكم بشريعتهم التي يدينون بها ، ويحكمون على الناس بموجبها . قال العقاد : « انما دانهم سعد بنص التوراة الذي يؤمنون به كما جاء في التثنية : « حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح ، وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد

لك . وان لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك ، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمة تغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك إلهك .. اصحاح ١٠ إلى ١٥ تثنية » . (كتاب العبقريات الاسلامية ص ٢١٩ طبعة دار الفتوح بالقاهرة) .

وهذا النص موجود في التوراة اصحاح ٢٠ من التثنية ، لا اصحاح ١٠ إلى ١٥ كما جاء في العبقريات الاسلامية ، وهو يدل بوضوح على أكثر مما حكم به سعد ابن معاذ على بني قريظة ، لأنه يقول صراحة : ان استجابت المدينة إلى الصلح فجميع أهلها عبيد مسخرون ، وان أبت وجب ذبح جميع الذكور بحد السيف المقاتلين منهم وغير المقاتلين ، ونهب الأموال وسبي النساء والأطفال .

وهناك نص آخر في التوراة لم يذكره العقاد ، وهو أعظم جوراً من النص الذي ذكره ، لأنه يأمر بقتل جميع السكان ، ولا يستثني النساء والأطفال ، ثم احراق المدينة بجميع ما فيها بحيث لا يمكن بناؤها وتجديدها إلى الأبد .. فقد جاء في الاصحاح الثالث عشر من التثنية ما نصه بالحرف الواحد : « فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف ، وتحرّمها بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف ، وتجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها ، وتحرق بالنار المدينة ، وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك ، فتكون تلاً إلى الأبد لا تُبنى بعد » .

فهل بعد هذا يقال : ان محمداً (ص) ظلم يهود بني قريظة ، وان سعداً جار في حكمه عليهم ؟.. فمن القضاء العدل أن تلزم كل انسان بما ألزم به نفسه ، وتحكم عليه بما يدين ويعتقد ، واليهود يعتقدون ديناً ، ويطبقون عملاً ذبح الذكور ، ونهب الأموال ، وسبي النساء والأطفال ، وهدم البيوت وإحراق القرى والمدن من كل شعب من الشعوب دون أن يعلن عليهم حرباً أو ينكث لهم عهداً أو يسيء اليهم بحرف تماماً كما تفعل الآن اسرائيل مع شعب فلسطين .. فهل يُعد ظالماً من يحكم عليهم بتوراتهم ، ويعاملهم بما عاملوا به الناس ؟ مع العلم بأن النبي (ص) قتل المقاتلين منهم بعد أن نكثوا عهده وأعلنوا عليه الحرب ، وهم يقتلون ويحرقون لا لشيء إلا لأن القتل والحرق والفساد دين لهم وطبيعة .. ولو حُكم عليهم بالقتل والنهب والسبي دون أن ينكثوا العهد ويعلنوا الحرب لكان

الحكم حقاً وعدلاً ، لأنه حكم بما يدينون ويفعلون .. واتفقت جميع الشرائع السماوية والوضعية على ان من دان بدين لزمته أحكامه ، وهنا يكمن السر في قول الرسول الأعظم (ص) لسعد : « حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة » . جمع رقيع وهو اسم السماء .

المعنى :

(يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً) . اذكروا أيها المؤمنون الذين كنتم مع رسول الله (ص) في غزوة الخندق تحيط بكم الأعداء من كل جانب ، اذكروا ذلك واشكروا إنعام الله عليكم بالخلاص والنصر حيث أرسل على أعدائكم ريحاً عاتية (وجنوداً لم تروها) قال المفسرون : انها الملائكة . ويجوز أن تكون كناية عما ألقاه سبحانه في قلوب الأحزاب من الخوف والهلع .

وفي البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي : كان جيش الأحزاب يتألف من خمسة عشر ألفاً ، والمسلمون ثلاثة آلاف ، واتفق أهل التفاسير والسير ان صخرة ظهرت في بطن الخندق، فكسرت حديدهم وشقت عليهم ، فأخذ رسول الله (ص) المعول من سلمان ، وضرب به الصخرة ضربة صدعها ، ولمعت من تحت المعول برقة ، ثم ضربها ثانية ، فلمعت برقة أخرى ، وثالثة فلمعت ثالثة . فقال رسول الله (ص) : رأيت في البرقة الأولى مدائن كسرى ، وفي الثانية قصور قيصر ، وفي الثالثة قصور صنعاء ، وأخبرني جبريل ان أمتي ظاهرة عليها جميعاً فأبشروا. وتحقق كل ما قاله سيد الكونين (ص) .

(اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم) . المراد ان جيش الأحزاب حاصر عسكر المسلمين ولم يدع له منفذاً ، وقال جماعة من أهل التفسير : جاءت غطفان وبنو قريظة وبنو النضير من اليهود من قبل المشرق،وجاءت قريش وبنو كنانة وأهل تهامة من قبل المغرب (واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر) . هذا كناية عن شدة الخوف والفزع (وتظنون بالله الظنونا) . ظن بعض من آمن ان الله لن ينصر دينه ونبيه ، وقال بعض المنافقين : وعدنا محمد بكنوز كسرى وقيصر،

وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه ان يذهب الى حاجته .. وليس من شك انـه لا عذر أبداً للمنافق ، أما من آمن ثم تساءل بحرقة وقال : لماذا لم يخسف الله الأرض بالظالمين ، أو ينزل عليهم صاعقـة من السماء ، أما هذا فلا نستبعد انه معذور عند الله ما دام مؤمناً به في قرارة نفسه .

(هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً) . لا تظهر كوامـن النفس على حقيقتها إلا عند الشدائد والامتحان بالمخاوف والمكاره .. وكانت وقعة الخندق امتحاناً قاسياً للمؤمن والمنافق على السواء حيث ظهر كلٌ على حقيقته (واذ يقول المنافقون) وهم الذين أبطنوا الكفر وأظهروا الايمان (والذين في قلوبهم مرض) وهم أصحاب الايمان الضعيف الذين صدّقوا المنافقين من غير روية . قـال هؤلاء وأولئك : (ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً) . هم لا يؤمنون بالله ولا برسوله لأن المؤمن لا ينطق بمثل هذا الكفر ، وانما قالوا هذا ليشككوا البسطاء وضعاف العقول .

(وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لـكم فارجعوا) . حين باشر النبي والصحابة بحفر الخندق قال جماعة من المنافقين : وما جدوى الخندق ؟ انه لا يغني عن الحرب شيئاً ، قالوا هذا قبل أن تأتي الأحزاب ، ولما جاءت قالوا للمقاتلين : لا طاقة لـكم بهذا الجيش الجرار ،ولا نجاة منه إلا بالفرار والاستسلام.. تذكرت وأنا أفسر هذه الآية عملاء الصهيونية والاستعمار الذين ينشرون في هـذه الأيام الهلع والفزع من قوة اسرائيل ، تذكرتهم حيث علمت ان لهم أشباهاً ونظائر في الزمان القديم ، وان للحرب النفسية جذوراً عميقة في التاريخ ، ومـا هي من بدع الصهيونية والاستعمار ، بل شيء بالٍ وعتيق لا ينخدع به إلا ساذج العقـل وقاصر النظر .

(ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة) . كان بعض المنافقين يخلقون المعاذير للتهرب من عسكر رسول الله (ص) ، ويقولون له : ان بيوتنا منكشفة للصوص ، فأذن لنا بحمايتها ، فأكذبهم الله وكشف عن نفاقهم بقوله : (وما هي بعورة انْ يريدون إلا فرارا) من الجهاد ونصرة الحق .

(ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا إلا يسيرا).

ضمير عليهم يعود إلى المنافقين ، وإلى أصحاب الايمان المستودع الـذي لا قرار له ، وضمير أقطارها إلى المدينة ، والمراد بالفتنة هنا الارتداد عن الدين . والمعنى لو دخلت جيوش الشرك المدينة وأحاطت بها من كل جانب ، وقال المشركون للمنافقين ولمرضى القلوب : ارتدوا عن الاسلام وأعلنوا الشرك لاستجابوا على الفور من غير تردد ، أو ترددوا قليلاً ، ثم استسلموا للقوة .. وبالبداهـة ان المؤمن الحق لا يرتد عن عقيدته ، بل يقتل عليها ، وهو يعلم ان السعيد من سلم له دينه مهما كانت النتائج ، كما هو شأن شهداء العقيدة الذين لا يبالون بسيف الجلاد .

(ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار) . تذرعوا بالأكاذيب للفرار من عسكر رسول الله (ص) بعد أن أعطوه العهود والمواثيق على أن يثبتوا في الجهاد بين يديه حتى الموت . وفي تفسير الطبري : « ان بني حارثة وبني سلمة همّوا بالفشل يوم أُحد ، ثم عاهدوا الله على أن لا يعودوا لمثلها أبداً ، فذكّرهم الله الآن بهذا العهد الذي أعطوه من أنفسهم » . أنظر تفسير قوله تعالى : « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا — ١٢٢ آل عمران » ج ٢ ص ١٤٩ (وكان عهد الله مسؤولاً) يوم القيامة عن الوفاء به : « فمن نكث فإنمـا ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً — ١٠ الفتح » .

سورة الحشر

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سبح لله الآية ١ ـ ٥ :

سَبَّحَ لِلهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ ٱلعَزِيزُ الحَكِيمُ★ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ★ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ★ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ ٱلعِقَابِ★ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلفَاسِقِينَ★

ملخص قصة بني النضير :

هذه الآيات خاصة بانتصار النبي (ص) على يهود بني النضير ، وتتلخص قصتهم مع رسول الله (ص) بأنهم كانوا يسكنون في ضواحي المدينة المنورة ، ولما هاجر اليها النبي (ص) عقد معهم صلحاً على أن يكونوا على الحياد ، لا له ولا عليه .. وعندما انتصر المسلمون على قريش يوم بدر فرح بنو النضير فرحاً شديداً ، ولكن لما هُزم المسلمون يوم أحد نقضوا عهد الرسول (ص) ودبروا لاغتياله ، وحالف رئيسهم كعب بن الأشرف أبا سفيان ضد محمد (ص) ، وقيل : ان كعباً هجا النبي (ص) بأبيات ، فأمر النبي أحد أصحابه فقتله ، ثم سار (ص) بجيشه الى بني النضير ، وأمرهم بالجلاء عن المدينة ، فأرسل اليهم المنافقون ، وعلى رأسهم عبدالله بن أبـي، ان اثبتوا ونحن معكم على محمد ، فطمعوا وأصروا على الحرب ، وعندئذ حاصرهم النبي (ص) واستمر الحصار ٢١ ليلة كما في بعض الروايات .

وأمر النبي (ص) أن تقطع بعض نخيلهم،وما حاول أحد من المنافقين وغيرهم أن يقف بجانبهم ، فاضطروا الى الاستسلام ، وصالحهم الرسول على الجلاء عن المدينة ،وان يكون لكل ثلاثة منهم بعير واحد يحملون عليه ما شاءوا،فقبلوا وجلوا عن المدينة الى غير رجعة ، وفيهم نزلت هذه السورة ، وكان ابن عباس يسميها سورة بني النضير .

المعنى : (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر) . المراد بالذين كفروا هنا بنو النضير باتفاق المفسرين ، واختلفوا في معنى أول الحشر قال الرازي : ذهب ابن عباس والاكثرون الى ان معنى أول الحشر ان أهل الكتاب أُخرجوا من جزيرة العرب للمرة الأولى ، وكانوا من قبل في عزة ومنعة .. وليس هذا ببعيد لأن الحشر الثاني كان على يد الخليفة الثاني، والمعنى ان الله سبحانه أجلى بني النضير من ديارهم بأيدي المسلمين ، وكان هذا أول جلاء لليهود عن الجزيرة العربية ، أما السبب الموجب فهو غدرهم وخيانتهم ونقضهم عهد الأمان الذي قطعوه للرسول (ص) على أنفسهم .

وتسأل : لماذا عاقبهم الرسول (ص) على خيانتهم بالجلاء ومصادرة الأموال

المنقولة وغير المنقولة مع ان العقوبة على أنواع ؟.

الجواب : لقد أخذهم بشريعتهم التي بها يدينون ، فقد نصت توراتهم على « ان المدينة التي تفتح لك فكل الشعب الموجود فيهـا لك للتسخير ويعبد لك ، فإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة فهي لك غنيمة تغنمها لنفسك – اصحاح ٢٠ من التثنية » ... وليس من شك ان من دان بـدين من الأديان أو مبدأ من المبادىء فعليه ان يلتزم بجميع أحكامه ، ويجريها على نفسه قبل أن يجريها على غيره ، وعلى هذا فإن النبي (ص) كان رؤوفاً رحيماً ببني النضير لأنه لم يقتل الـذكور ويسبي النساء والأطفال كما نصت شريعتهم وتوراتهم .. وتكلمنا عن ذلك مفصـلاً في ج ٦ ص ٢٠٨ فقرة « هل ظلم محمد (ص) بني قريظة » ؟

(ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله) . الخطاب في ما ظننتم للمسلمين . وظنوا أي بنو النضير . والمعنى ان المسلمين لم يتوقعوا على الاطلاق أن يخرج بنو النضير من ديارهم ويتركوها لأعدائهم المسلمين لما عرفوا عنهم من العنـاد وشدة البأس ، وكثرة العدة والعدد ، وأيضاً كان بنو النضير يعتقدون انهم في قوة ومنعة من حصونهم وعدتهم وعددهم،وان أية يد لا تستطيع أن تمتد اليهم .. ولكن حصن الغدر والخيانة واهٍ لا يمنع أهله ، ولا يُحرز من لجأ اليه .

الدعايات المضللة والوقت المناسب :

(فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقـذف في قلوبهم الرعب) . ظنوا انهم مانعتهم حصونهم .. ولكن الذي بيده ملكوت كل شيء قد ختم على قلوبهم بعد ان ملأها بهيبة الرسول (ص) وجُنده، فانهارت وانهار معها كل شيء لأن القلوب هي الأساس الذي ترتكز عليه جميع القوى .. ومن هنا يحرص سفاحو الشعوب وتجار الحروب على الحرب النفسية ، ويحشدون لها الطاقات والثروات ، ونسوا أو

تناسوا انه لا طريق الى القلوب إلا الحق والصدق والخير والاحسان ، وإذا وجدت الدعايات المضللة من يستجيب لها فإلى حين ، ثم تتكشف عن عورات صاحبها وأسوائه .

سئل « تشالز » الممثل الخبير بشؤون الحياة : الى ما يحتاج المرء ليشق طريقه في الحياة ؟ ألعقل أم الطاقة أم العلم ؟ فقال : ثمة شيء أهم ، وهو معرفة الوقت المناسب . ونقول لتشالز : أجل ، لا بد من الوقت ولكن على شريطة أن يكون مناسباً لمصلحة الخير لا للشر ، وللحق لا للباطل،لأن الشر وأنصاره الى زوال : وان طال بهم الأمد .

(يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) . قال بعض المفسرين : المراد بخراب البيوت هنا الجلاء عنها ، وبأيديهم اشارة الى أنهم هم السبب الموجب لهذا الجلاء حيث نقضوا عهد الرسول وميثاقه ، وأيدي المؤمنين تشير الى أن المسلمين هم الذين أجلوا بني النضير عن ديارهم . وقال آخرون : ان بني النضير أفسدوا بيوتهم بأيديهم قبل الجلاء كيلا تقع سليمة في أيدي المسلمين ، وان المسلمين دكوا بأيديهم حصون بني النضير لينفذوا اليهم .. وهذا قريب ، والاعتبار يؤيده، وظاهر الآية يدل عليه ، ولا يتنافى مع المعنى الأول ، بل هو نتيجة للجلاء وأثر من آثاره (فاعتبروا يا أولي الأبصار) . الاعتبار هو رد الشيء الى نظائره ، والحكم عليه بأمثاله ، وقد أجلى الله بني النضير من ديارهم جزاء على خيانتهم ، فعلى العاقل أن يتعظ ويعتبر ويجتنب الغدر والخيانة لئلا يحل به ما حل بهم .

(ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار) . عذبهم الله في الدنيا بالجلاء ولولا ذلك لعذبهم بالقتل والاستئصال، كما فعل ببني قريظة .. وفي سائر الأحوال فلا نجاة لهم من عذاب السعير (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) . استحقوا عذاب الدنيا والآخرة لأنهم خالفوا الله وتجاوزوا حدوده ، ونصبوا العداء لرسوله (ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب) . هذا تهديد ووعيد لكل متكبر جبار .

(ما قطعتم من لينة — أي نخلة — أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين) . كان النبي (ص) قد أمر أن تُقطع بعض نخيل بني النضير

ليغيظهم بذلك .. فظن البعض ان هذا نوع من التخريب ، فبين سبحانه ان كل ما وقع من قطع النخيـــل ، وما ترك منه بغير قطع فهو بأمر الله ، وليس من عند الرسول (ص) ، والقصد منه غيظ الكفار من أجل ما قطع ، وأيضاً غيظهم من أجل ما بقي قائماً من غير قطع حيث ينتفع به أعداؤهم .

وتجدر الاشارة الى ان قطع الأشجار وما اليه أيام الحرب لا يجوز الأخذ بـــه كمبدأ عام ، بل قد يجب القطع ، وقد يحرم تبعاً لما تستدعيه مصلحة حرب العدو تماماً كهدم الدور وقلع الأشجار أيام السلم يجوزان لشق الطرق – مثلاً – ويحرمان من غير مبرر .

إله اسرائيل

الله واسرائيل :

ولمناسبة قوله تعالى : « وأورثنا بني اسرائيل الكتاب هدى وذكرى » نشير إلى أنه في سورة البقرة قلنا : ان معنى اسرائيل عبد الله ، لأن كلمة « اسرا » معناها في العبرية عبد،و « ايل » الله ، قلنا هذا تبعاً لكثير من المفسرين ، منهم الطبري والرازي وصاحب مجمع البيان ، وبعد أن باشرنا بالمجلد السادس تبين لنا ان هذا القول يفتقر الى الاثبات ، وكان علينا أن لا نثق بأقوال المفسرين ، أو ننسب هذا القول الى قائله – على الأقل – كما يقتضيه منطق العلم ، ولكن الثقة بالمخبرين وبخاصة القدامى كانت وما زالت آفة المؤلفين والمحدثين .

منذ أمد بحثت في مكتبات بيروت التجارية عن كتاب « التلمود » فلم أجده ووجدت الكنز المرصود في قواعد التلمود وقاموس الكتاب المقدس . فاشتريتها ، وقد ساهم في وضع القاموس ٢٧ مثقفاً مسيحياً ، منهم ١٧ قساً ، والباقون بين دكتور وشماس وأستاذ واشمندريت ، وجاء فيه بالنص : « اسرائيل : معنى هذا الاسم العبري « يجاهد الله » أو « يصارع الله » وهو اسم يعقوب إذ أطلقه عليه الملاك الذي صارعه حتى مطلع الفجر . التوراة سفر التكوين الاصحاح ٣٢ الآية ٢٨» .

فمعنى اسرائيل – إذن – يصارع الله ويجاهده بنص التوراة ، والفرق كبير جداً بين العبد والمصارع ، لأن المصارع والمبارز نظير ومثيل ، أما العبد فرقيق وضعيف ، وبهذا يتبين معنا ان التوراة الحالية غير الكتاب الذي أشار اليه سبحانه بقوله : « وأورثنا بني اسرائيل الكتاب هدى وذكرى » لأن هذا الكتاب كما وصفه سبحانه هدى وذكرى ، أما التوراة الموجودة فهوى وعمى لأنها تقول : يعقوب صارع الرب حتى مطلع الفجر ، ولوط ضاجع ابنتيه وحملتا منه ، وداود اغتصب الزوجات وقتل أزواجهن ، أشياء لا تليق بالأنبياء وذكروا قصة طويلة

جاءت في سفر صموئيل الثاني الاصحاح ١١ و١٢ من العهد القديم المحرف بحكم القرآن ، وشهادة التاريخ ، ونصوص العهد نفسه الـتي ترفضها الفطرة ، ولا يقبلها عقل عاقل .. وتتلخص تلك القصة أو الفرية بأن داود عشق زوجـة رجل من خدمه وجنوده ، يدعى « اوريا » ، فاحتال داود لقتله بالسيف ، واستأثر بزوجته ، وقالت التوراة : ان الله غضب لذلك غضباً شديداً ، وهدد داود على هذا الفعل الشنيع والجريمة النكراء ، وقال له فيما قال : « قتلت اوريا بالسيف ، وأخذت امرأته .. والآن لا يفارق السيف بيتك الى الأبد لأنك احتقرتني .. هأنذا أقيم عليك الشر من بيتك ، وآخذ نساءك أمام عينيك واعطيهن لقريب من أقربائك ، فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس لأنك أنت فعلت بالسر ، وأنا أفعل هذا الأمر — أي الزنا — قدام جميع اسرائيل وقدام الشمس » . وفي الاصحاح الأول من سفر الملوك الأول : ان زوجة «اوريا» اسمها «بثشبع» ، وانها هي أم سليمان ابن داود .

داود يزني سراً .. فيعاقبه الله ويؤدبه على فعلته النكراء ، لا باقامة الحد ، ولا باللوم والتأنيب .. بل بهتك نسائه وحرائره وتجريدهن والفجور بهن علناً وفي وضح النهار وعلى رؤوس الأشهاد

هذه هي الاسفار « المقدسة » تصف خالق الكون بأوصاف أوحش الوحوش ، وأخبث اللئام والطغام .. تعالى الله علواً كبيراً عما يقول الظالمون . هذا مثال واحد من عشرات الأمثلـة .. اقرأ مصارعة الله ليعقوب وعجز كل منهمـا أن يغلب صاحبه حتى اضطر يعقوب أن يضرب « حُقّ فخذ الله » . واقرأ أيضاً الاصحاح السابع من سفر التثنية من التوراة الذي جاء فيه : ان الرب التصق باليهود وأباح لهم أن يأكلوا جميع الشعوب من غير شفقة.وقد أجمع الباحثون ان التوراة الحالية كتبت بعد موسى بأمد غـير قصير (انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٧٦٣ المطبعة الانجيلية ببيروت سنة ١٩٦٤،وكتاب « الأسفار المقدسة » لعبد الواحد وافي ص ١٦ وما بعدها،الطبعة الأولى سنة ١٩٦٤ .

وأيضاً يتبين معنا أن بني اسرائيل الأوائل الذين أورثهم الله الكتاب هم أبعد الناس نسباً وشبهاً بدولة اسرائيل قاعدة الاستعمار الجديد في الشرق الأوسط .

ونشرت مجلة « المجلة » المصرية في عدد كانون الثاني سنة ١٩٧٠ بحثاً استغرق حوالى ٢٠ صفحة بعنوان « توراة اليهود » لحسين ذي الفقار صبري نقل فيه عن الصهيوني « نيهر » ان إله اسرائيل كما يراه الفكر اليهودي مرتبط ارتباطاً عضوياً بالواقع المتسلسل لتاريخ بني اسرائيل ، فإذا تلاشى الوجود الاسرائيلي فكأن الدلائل الدالة على وجود الإله قد زالت ، فهو اذن عدم ، وان على كل يهودي أن يصارع الذات المجهولة – أي الله – حتى مطلع الفجر تماماً كما صارعها يعقوب، سواء أكانت هذه المصارعة مميتة أم ظافرة . وأيضاً نقل الكاتب عن « بوبر » الصهيوني ان المعنى الذي تتجه اليه تلقائياً أذهان جمهرة اليهود هو ان يعقوب كان قوياً ضد الله .

ثم خرج الكاتب من بحثه الطويل العميق الى نتيجة استنتجها من التوراة وغيرها من الكتب اليهودية الدينية ومن أقوال المفكرين الصهاينة ، خرج بهذه النتيجة ، وهي ان لب العقيدة الصهيونية أن تفرض اسرائيل وجودها بالتصدي لما يهدد كيانها ، حتى ولو كان الرب مصدر هذا التهديد ، وان التوراة الحالية ليست إلا تحليلاً دقيقاً لنفسية اليهود ، وتناقضاً لعلاقتهم مع الله ، فهم معه وعليه في آن واحد ، وهو صاحب شخصية مزدوجة في توراتهم فهو الرجيم،وأيضاً هو الرحيم .

هذه هي الصهيونية ، انها في عقيدة أصحابها أقوى وأعظم من الله ، وان وجوده مرتبط بوجود اسرائيل ، فإذا ما تلاشت فقد زال الله من الوجود ، ومن هنا التقت الصهيونية مع الاستعمار العالمي ، وتحالفا معاً ضد الشعوب والأديان والانسانية ، وكان من نتيجة هذا التحالف وجود اسرائيل في أرض فلسطين ، ولكن روح النقمة والعداء للاستعمار والصهيونية قد انتشرت في كل بلد عربي ، ولله الحمد ، وسنجني ثمارها بحول الله ان عاجلاً أو آجلاً .

إله اسرائيل . . . صهيوني

الحديث عن الفلسفة اليهودية والعنصرية الصهيونية، يتسع لاكثر من مجلد. ونكتفي هنا بكلمة موجزة عن إله اسرائيل وحقيقته ومهمته كما هو في الديانة اليهودية، لأن فلسفتها وجميع تعاليمها ترتكز على طبيعة هذا الإله وصفاته.

ومجمل القول فيه ـ كما هو عند اسرائيل ـ انه اعجب من ان يتصوره عقل، انه صهيوني يعادي الإنسانية يأمر بالدمار وحرق القرى والمدن بمن فيها حتى الاطفال . . ما عدا الذهب والفضة والنحاس والحديد، لان هذه الاموال للإله الرأسمالي الاكبر . . وأيضا هذا الإله عنصري قبلي على غرار أصنام بعض القبائل في الجاهلية . . ولا يعنيه من أمر الخلق الا حلّ مشكلات اليهود، ومن أجل ذلك سخر لهم الكون بمن فيه من انسان غير اليهودي وما فيه من كائنات وانعام.

وتورد التوراة فيما تورد عن هذا الامتياز في سفر يشوع الاصحاح ٦ فقرة ٢٤. خطابا مع بني اسرائيل: «احرقوا المدينة مع كل ما بها . . انما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد اجعلوها في خزانة بيت الرب». وفي سفر التثنية الاصحاح ١٤ : «قد اختارك الرب لكي تكون له شعبا خاصا فوق الشعوب على وجه الارض». وفي سفر العدد الاصحاح ٣١ فقرة ١٢ : خذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم». . .

وفوق ذلك ان الله تصارع مع يعقوب الليل بطوله فعجز عنه، بل عجز عن التخلص والفرار منه، وبالتالي لم يجد الرب بدا من الرجاء والتوسل الى يعقوب كي يمنّ عليه بالاطلاق. فقال له مستعطفا: «أطلقني لقد طلع

الفجر، فقال له يعقوب: لا اطلقك ان لم تباركني . . فباركه الرب، وسماه اسرائيل ومعنى اسرائيل في العربية القوة ضد الله، كما نقل العارفون بهذه اللغة.

تشير هذه الفلسفة أو هذه الخرافة ان اليهودي لاغالب له حتى الله يعجز عنه! . وقد جاء هذا المعنى في القرآن الكريم بنص أبين وأوضح في الآية ٦٤ من المائدة : «وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا» . . وفي الآية ٨١ من آل عمران: «قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء» .

قطط وكلاب صهيون

تعمل الصّهيونية جاهدة على التّشكيك بالقيم الإنسانية، وبكلّ دعوة تقوم على الصّدق والعدل وتنكر الزّور والبغي، وتساوي بين النّاس في الحقوق والواجبات. . ذلك بأنّ لليهود ـ بوجه العموم ـ عقيدة عنصريّة تعتبر أنّهم شعب الله المختار، وأنّ غيرهم من الناس مسخر لخدمتهم ومصالحهم، وأنّ لليهودي كلّ الحق أن يمتلك أيّ إنسان في الشّرق والغرب، ويفعل به ما يشاء تماماً كما يمتلك الحيوان. . وعلى هذا نصّت التّوراة بوضوح وصراحة في سفر التّثنية الإصحاح السّابع، وسفر العدد الإصحاح ٣١.

أما كتاب التّلمود فيقول: «نحن شعب الله المختار نحتاج إلى نوعين من الحيوان، نوع أعجم كالدّواب والأنعام والطّير، ونوع الحيوان الإنساني وهم سائر الأمم من الشّرق والغرب».

ولما كان القرآن والإنجيل حرباً على هذه الوحشيّة الكاسرة، وعلى كلّ عنصريّة ـ قرّر اليهود قتل عيسى ومحمد. . ولما عجزوا عن اغتيال رسول الله بالسمّ والقضاء على رسالته دسّوا الأحاديث المكذوبة على لسانه، ثم طبعوا ألوف النّسخ من القرآن بعد أن حرّفوا الكثير من آياته واشتروا بعض المزيّفين من أرباب العمائم للتّشويه والتّضليل باسم الدّين.

وحين ظهر أمرهم وافتضح مكرهم سلكوا سبيلاً آخر أدهى وأحكم، اكتشفته وأنا أقرأ جريدة أخبار اليوم المصريّة تاريخ ٢١ ـ ١٠ ـ ١٩٧٢،

من سيطرة ونفوذ على أجهزة الإعلام ـ نشروا في الصّحف الغربية التي يمتلكوها أنّ الكلاب في جزيرة «باربادوس» إذا قاربت الوفاة تذهب إلى مقبرة خاصة لتموت فيها . . حتّى كلاب الجزر الاخرى المجاورة تسبح المحيط، وتتّجه إلى هذه المقبرة دون معرفة سابقة بها، وتموت هناك كما أحبّت وأرادت.

وأيضاً إنّ القطط في جزيرة «أوزيل» حين تشعر بدنو الأجل تسرع إلى مقبرة معيّنة لتموت فيها بهدوء، وأنّ هذه القطط القليلة في هذه الجزيرة تتعايش بسلام مع جيرانها الفئران والتي تعدّ بالآف.

ان الفكر الصهيوني العنصري واضح في معاني ومغازي هذه الخزعبلات ولا أظن أنها تنطلي على القارىء الذكي.

تنشر الصّهيونية هذه الأباطيل في صحف غربية، وبلغة أجنبية إبعاداً للشّبهة، وإحكاماً للخطّة، ثم تصل هذه الصّحف بطريق أو بآخر إلى الكاتبين ومحرّري الصّحف في مصر وغير مصر، ويتلقفها بعضهم ويترجمها وينشرها عن قصد أو غير قصد، وهذا ما تريده الصّهيونية وتهدف إليه عسى أن يصدّق جاهل أو ذاهل فيشك فيما نطق به القرآن وأكده بقوله: ﴿وما تَدْري نَفْسٌ بِأيّ أرْضٍ تَمُوتُ ـ ٢٤ لقمان﴾.

إقرأ الصفحة الأخيرة من جريدة أخبار اليوم المصريّة تاريخ ٢١ ـ ١٠ ـ ١٩٧٢. وقد دأب كاتبها على نشر الشّواذ والغرائب التي تفوح منها رائحة تزكم الأنوف ويتصاعد منها دخان يعمي العيون من حيث يريد أو لا يريد.

وأيّاً كان القصد فنحن نسأل، لماذا اختصّت بهذه المنقبة والفضيلة

كلاب باربادوس وقطط أوزيل دون غيرها من القطط والكلاب، ودون العالم كلّه منذ وجد إلى اليوم؟ وقال أهل الاختصاص والعارفون بطبائع الحيوانات: إنّها لا تخاف الموت إطلاقاً لأنّها لا تشعر به، إنّ الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يعرف أنّه سيموت، أما غيره من الحيوانات فإنّه يشعر بذاته كموجود وكفى.

وبعد، فهل نحن في حاجة إلى الحديث عن قطط أوزيل وكلاب باربادوس، أو الحديث عن توحيد الكلمة وإعداد العدّة لتحرير أرضنا المحتلّة، وعن الضّابط الشّاب الذّي ذهب وحده في تظاهرة إلى مسجد الحسين عليه السّلام بالقاهرة؟. وكنت أنتظر وأبحث في الصّحف المصريّة أن تشير - ولو من طرف خفي - إلى أنّ هذا الضّابط الشّاب إنّما اختار مسجد الحسين بالذّات لأنّ هذا الإسم الشّريف يرمز إلى التّضحية والفداء في سبيل أسمى ما يدافع عنه الإنسان من قيم الحق والعدل والحريّة... فكانت النتيجة هذه المسرحيّة للقطط والكلاب، وأنّها تعلم متى وأين تموت. وإن هذه القطط الخاصة تتعايش مع فيرانها وتموت بأرضها الخاصة، وإن هذه الكلاب النادرة لا تموت إلا بأرضها الموعودة.

اسرائيل والقرآن

(وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد). وصف سبحانه القرآن بأنه عزيز وانه لا يأتيه الباطل، ومعنى عزيز انه القاهر الغالب بحججه الواضحة وبراهينه القاطعة.

ان اسرائيل طبعت الوف النسخ من القرآن، وشوهت بعض الآيات، منهاالآية ٨٥ من سورةآلعمران ﴿ومن يبتغِ غيرالاسلام ديناًفلن يُقبل منه﴾والتي صارت في قرآن اسرائيل (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً يقبل منه) وقد حدث هذا سنة ١٩٦٨. فجمع الأزهر هذه النسخ ومنعها من الانتشار، ولكن اسرائيل عادت ثانية وزوّرت سنة ١٩٦٩ آيات أخرى منها: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلت أيديهم ولُعنوا بما قالوا ـ ٦٤ المائدة﴾فغيرت اسرائيل كلمة لُعنوا الى كلمة «آمنوا» وصارت في نسخة القرآن الذي زوّرته اسرائيل ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة ايديهم وآمنوا بما قالوا﴾ وغمرت بهذه النسخ أسواق لبنان ومعظم البلاد العربية وماليزيا وباكستان والهند وأندونيسيا وغينيا وساحل العاج وايران.. وفي هذا اليوم بالذات ٢٥ ـ ٢ ـ ٧٠ نشرت جريدة «النهار» البيروتية ان تزوير القرآن الكريم وتحريفه وتعديله تمَّ في ألمانيا الغربية في مطبعة «كولونيا ـ دويتس».

ولم تقف اسرائيل في حربها للإسلام والمسلمين والشعب العربي عند هذا الحد.. فأذاعت القرآن من اذاعتها محرفاً، وأيضاً صممت اسرائيل «راديوهات» لا تلتقط إلا اذاعتها التي تحرف القرآن وباعتها بأبخس الاثمان.. فعلت اسرائيل هذا وأكثر من هذا تطبيقاً للمبدا

الصهيوني الذي أعلنه أحد زعماء الصهاينة بقوله: «يجب أن نتخذ القرآن سلاحاً مشهراً ضد الاسلام والعرب لنقضي عليه».

نذكر هذا كمثل للحرب التي تشنها اسرائيل على الاسلام والامة العربية عسى أن يعتبر به بعض الملوك والرؤ ساء بل وبعض الشيوخ أيضاً الذين يتسمون باسم الإسلام، ويعملون في الخفاء لصالح اسرائيل ومن يساندها. . وطريف قول بعض الشيوخ المزيفين: ان اسرائيل أحسن من غيرها لأنها تذيع القرآن من اذاعتها. . أجل، يا شيخ انها تذيعه بل وتطبعه وتنشره أيضاً، ولكن مزيفاً ومحرفاً لتقضي على الاسلام وعلى الشعب العربي تماماً كما يفعل بعض المعمَّمين المزيفين.

من وحي مولد النبي(ص)
على حدود إسرائيل[1]

أستشعر، وأنا هنا في هذا البلد الّذي يقع بين أنياب الأفعى، ويجمع التّيارات المتناقضة المتضاربة. . . أنّ موقفي هذا يحتّم عليّ أن أكون صريحاً وجريئاً في مواجهة الحقائق، لا أخادع، ولا أصانع، ولا أترك كلمةً تُرضي الخالق مخافة أن تُسخط المخلوق، : ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مِنّا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنّكَ إِذَنْ لَمِنَ الظّالمينَ﴾.

وأعوذ بك اللهم من متابعة الهوى، ومخالفة الهدى، وإيثار الغشّ على النّصيحة، والباطل على الحق، واجعلني اللهم مؤمناً قولاً وعملاً بشعار نبيّك ونجيّك الّذي خاطبك بقوله: «إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَليّ فَلاَ أُبالي».

وبعد، فإنّ من فضول القول ونافلته أن نعلن بأنّ أحوج ما نحتاج إليه اليوم هو التّعاون والتّعاضد، والوقوف صفّاً واحداً في وجه العدوّ المشترك: الإستعمار وربيبته إسرائيل، هذه الشّوكة الدّامية هي وحدها السّبب الأول لإثارة الفتن والقلاقل في كلّ بلد عربيّ، فما عرف العرب الهدوء والإستقرار منذ أن غرس الإستعمار هذه الشّوكة في قلوبنا. . ومحال أن يرضى الإستعمار لنا الهدوء والإستقرار، ما دام على أرضنا شيء اسمه إسرائيل.

إنّ الإستعمار ليعلم حقّ العلم أنّ بقاء إسرائيل رهن بتشتيتنا وتفتيتنا،

---

(١) ألقيت هذه الكلمة باحتفال المولد النبوي في بلدة عيثرون سنة ١٩٦٦

فعمل لذلك بكلّ سبيل. . فهل يجوز بعد هذا أن نتصارع ونتنازع؟. . هل يجوز بعد هذا أن يكيل بعضنا لبعضٍ التّهم جزافاً، وبغير حساب؟. .

المؤمن المتديّن رجعي وعميل عند فئة، والنّاقم على الأوضاع الفاسدة فوضوي هدّام عند أخرى، والسّاكت المتجاهل انعزالي عند الطرفين. ولا يرضى عنك لا هؤلاء، ولا هؤلاء حتى تتّبع ملتهم، وما أنت بتابعها، ولا هم بتابعيك، ولا بعضهم بتابع ملّة بعض. .

ونصيحة لله أن لا تحاول إرضاء النّاس، لأنّ إرضاء النّاس كلّ النّاس محال. . وكلّنا يعرف قصّة الشّيخ العجوز، والشّاب اليافع، والحمار. . إذن فاجعل شعارك قول الرّسول الأعظم (ص): «إنْ لَمْ يَكُنْ بكَ غَضَبٌ عَليّ فَلا أُبَالي». وقول الإمام أمير المؤمنين (ع): «صانِعْ وَجْهاً واحِداً يَكْفِيكَ الوُجُوهَ كلّهَا».

أُمهّد بهذه الإشارة، لا علن بأنّ الدّافع على هذا الحفل قرآني إلهي بحت يهدف إلى التّوجيه والتّوعية الدينيّة الصّحيحة الخالصة، لا شائبة فيه للسّياسة، ولا لموازرة فئة ضد فئة، ولا لأيّ غرض من الأغراض الشّخصية والغايات الحزبيّة.

وما نحن والسّياسة والمسوس. . ما نحن والأحزاب والمتحزّبون. . نحن سفراء الله في أرضه، نستمدّ النّور والهداية من زيتونة مباركة، لا شرقية ولا غربّية. . نحن حزب لله وحده، لا للدمقراطيّين ولا الإشتراكيين، ولا لغيرهم. . نحن إلهيّون ربّانيّون نؤيّد الحقّ أينما كان ويكون امتثالاً لأمر الله، وميثاقه الّذي أخذه علينا: ﴿وإذْ أَخذَ الله ميثاقَ أهْلِ الكِتاب لَتُبَيّننّه للنّاس ولا تَكْتُمُونَهُ﴾ لا نكتمه أبداً ولو كره المشركون والمتحزّبون.

وأهم ما يجب علينا بيانه هنا، ونحن على قاب قوسين أو أدنى من هذه المسمّاة باسرائيل: هل هي دولة حقاً، أو أنّها أبعد ما تكون عن معنى الدّولة في حقيقتها رغم الضّجيج والعجيج؟. وقد أجاب الله عن هذا التّساؤل قبل وجود إسرائيل بأربعة عشر قرناً على التّقريب، وبيّن سبحانه في كتابه العزيز أنّ إسرائيل هذه ليست دولة بما لهذه الكلمة من معنىً، وإنّما هي شرذمة من الأشرار تجمّعوا من هناك وهنالك، وألّفوا عصابة للسّلب والغصب بمساندة فئة من النّاس لأنّ الدّولة بمعناها الصّحيح هي الّتي تعتمد في وجودها واستمرارها على حولها وقوّتها، وثروتها وهيبتها، لا على قوّة الإستعمار وماله وسلاحه. . وكلّنا يعلم أنّ الإستعمار هو الذي أوجد إسرائيل، وأنّه ما زال يظاهرها بالمال والسّلاح، وأنّه لو تخلّى عنها لحظة واحدة لتخطّفها العرب، وتلاشت من الوجود، ومعنى هذا في حقيقته وواقعه أنّ إسرائيل ليست بدولة، وإنما هي مظهر من مظاهر الإستعمار الغربي، وأثر من آثاره، وبقيّته الباقية في بلاد العرب. . ولكن مستحيل أن يستمرّ الإستعمار ويدوم، كما رأينا، وكما سنرى. . وإنّ غداً لناظره قريب.

ومن هنا كان القرآن عليماً ودقيقاً في قوله: (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا إلاّ بِحَبْلٍ مِنَ الله وَحَبْلٍ مِنَ النّاسِ وبَاءوا بِغَضَبٍ مِنَ الله).

إنّ الذّلّة والمسكنة وحبل النّاس في هذه الآية الكريمة إخبار بالغيب عمّا حصل لإسرائيل بعد نزول القرآن بمئات السّنين، وإشارة واضحة صريحة إلى استجداء المساعدات التي يتصدّق بها الإستعمار على إسرائيل، وأيّ ذل ومسكنة أعظم من العيش على التّسوّل والصّدقات؟. .

أما حبل الله في هذه الآية فهو إشارة صريحة أيضاً إلى أنّ الله سبحانه قد تركنا والجهاد مع إسرائيل، ولم يردعها بقدرته القاهرة على طريقة كُنْ فَيَكُونُ . لأنّ الله جلّ وعلا قد دعا النّاس إلى العمل بإرادتهم واختيارهم، وأمرهم بالجهاد والتّضحية لنصرة الحقّ على الباطل. . ومحال أن يكون المراد بحبل الله مساعدة اليهود ومناصرتهم، كيف وقد وصمهم بالذلة والمسكنة، وبغضب منه بما عصوا وكانوا يعتدون.

وأدرك الإستعمار هذه الحقيقة، وأنّ وجود إسرائيل لا يقوم على أساس من حولها وقوّتها، بل الصّدقة والتّسوّل، وأنّ بقاءها رهن بتشتيتنا وتفتيتنا لابعتاد الإستعمار وصدقاته بالغةً ما بلغت، وأنه متى اتّحدت قلوبنا واجتمعت كلمتنا فلا يبقى له ولا لربيبته عين ولا أثر. . أدرك الإستعمار هذه الحقيقة، وخاف أن يأتي اليوم الّذي تجتمع فيه الصفوف، وهو آتٍ لا محالة، وسترون. . خاف الإستعمار من هذا اليوم، يوم الفصل والحساب، فراح يخوّفنا من الشّرك والإلحاد، ليصرفنا عنه وعن إسرائيل، وهو المشرك الملحد، الخائف من ثورتنا وقوّتنا وتوحيد كلمتنا. . خائف من السّدود تقام على مياهنا، خائف من المصانع تبنى في أرضنا، خائف من المعاهد تشاد لأبنائنا، خائف أن نطمئنّ على عيشنا وغدنا، فنثور على الظّالمين والمستغلّين والمستعمرين. . إنّه يريدنا أن نستمرّ في الجهل والفقر، والتّمزيق والتّفريق، ليستمرّ هو بدوره في استغلالنا، ونهب مقدّراتنا، واحتكار أسواقنا، وإذلالنا باحتلال فلسطين، واغتصاب أرضها، وتشريد شعبها. .

أيّها المسلم المحمدي. . أيّها المسيحي الوطني. . أيّها الشّاب العربي لا وطن إلا بالوحدة الوطنيّة، ولا عروبة ولا قوّة بل لا حياة إلا

بالتّعاون والتّكاتف مع جميع القوى والعناصر لدرء هذا الخطر المحدق بالجميع.

إنّ الخائف حقّاً من تجمّعنا وتعاضدنا هو الإستعمار والصّهيونية. أما نحن فلنا من عظمة ديننا، وقوّة شريعتنا، ومجد تأريخنا، وإخلاص المخلصين من علمائنا، ووعي الطّيبين من شبابنا ما يعصمنا عن الشّرك والإلحاد،وعن الفلسفات المادية والقوانين الرّجعية.

لقد بلي الإسلام بما بليت به سائر الأديان عبر التاريخ والعصور من الإنتهازيين والمنحرفين الّذين تاجروا باسم الدِّين، وابتعدوا بأهله عن غاياته وأهدافه، ولكن هؤلاء، تماماً كإسرائيل معروفون مفضوحون على رؤوس الأشهاد لا قوّة لهم، ولا هيبة، ولا وجود إلا بحبل من الإستعمار والصّهيونية، إنّهم فقاقيع يذهبون مع الرّيح من أول نسمة تهب لرياح التحرر والوطنيّة: ﴿فأمّا الزّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً وأمّا ما يَنْفَعُ النّاسَ فَيَمْكُثُ في الأرْضِ﴾.

نحن لا نُخدع بالألفاظ، ولا يغرنا التّظاهر باسم الدّين والإسلام... نحن نعلم علم اليقين أنّ الصّرخات الهستيرية باسم الدّين هي صرخات الذّعر والخوف على المصير، وصيحات القلق والرّعب من الثّورات والتحركات تدك عروش الأدعياء، وتحطّم تيجان العملاء..

ونعلنها صريحة واضحة باسم محمد الذي نزع التيجان عن رؤوس الملوك والجبابرة، وألقاها تحت أقدام رعاة الإبل.. نعلنها صريحة واضحة إننا مع كل حركة مخلصة تستهدف القضاء على الإستعمار والخطر الصّهيوني، والتّسابق إلى التّسلح بأسلحة الفناء.

نحن مع كلّ حركة وطنيّة تعمل لإقامة حياة يتحرر فيها الإنسان من

الجهل والفقر والإستغلال، ويستقل فيها العقل والتّفكير، ويشعر كلّ فرد بأنّه سيّد نفسه، ومالك أمره، وأنّه في حصنٍ حصين من حمى الله وصيانته، يرتبط حقّه بحق خالقه، وحرمته بحرمة ربّه إلا إذا هو انتهك حرمة ذاته بالتّعدّي على حرمة غيره، وعندها يأتي سلطان الحق الّذي يَعلو على كلّ شيء، ولا يعلو عليه شيء.

هذا هو الوجه الصّحيح للإسلام، وهذا هو الطّريق القويم إلى جنّة الخلد.. ثورة على التّأخر والإنحطاط، وكفاح من أجل التّطوّر والتّقدّم، وحرب على الجهل والإستبداد، لا عمّة ولحية، ولا دروشة ومسكنة، ولا تبعيّة وعمالة، ولا تحزّب وتعصّب، بل ولا احتفالات جامعة وخطب طنّانة إلا أن تكون عواصف وقواصف تنزل على رؤوس الخائنين والمضلّلين.

هذا هو الوجه الصحيح للإسلام، أما الوجه الآخر الّذي نرفضه نحن وأنتم أيها الشّباب، والذي يعكس التّخلّف والرّجعية والخيانة بأسم الأحلاف الإسلامية واسم التّكتّلات الدينية لأهداف شيطانية، أما هذا الوجه فما هو من الإسلام في شيء، ولا الإسلام منه في شيء.. إنّه تحايل الأوغاد، ونفاق أهل الفساد.

فإذا كنتم أيّها الشّباب من ذوي الأدمغة الواعية، والعزيمة الصّادقة فتعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم أن نعمل جاهدين على حلّ مشاكلنا، تعالوا نضرب يداً بيد، ونمشي جنباً إلى جنب للوصول إلى مصلحة الجميع، تعالوا لا خلاف بيننا وبينكم إذا كانت الأهداف شريفة نبيلة، وإنّما الخلاف بين المستغلّين والمنتفعين بعضهم مع بعض، لا بين دعاة الصّلاح والإصلاح، وأصحاب الفكرة النيّرة، والرّسالة الخيّرة.

أنا لا أُصدّق أبداً أنّ الشّباب الواعي هو ضدّ الدّين، والإحتفالات الدّينيّة، كيف ودين محمد هو دين الحياة والإنسانية، ولولاه لما بزغت شمس العدالة والحرية على هذا الوجود، وما حاربه أحد من عهده الأول إلى هذا اليوم إلا جاهل، أو لص يعيش على حساب الكادحين والمستضعفين.

نحن وأنتم أيّها الشّباب ضدّ المنحرفين عن الدّين وأهدافه الّذين يتاجرون باسمه وشعاره المقدّس.. ولكن عليكم قبل أن تتّهموا أحداً بالإنحراف أن تجرّبوا وتميّزوا بين من يصلّي على الميت نهاراً، ويسرق كفنه ليلاً، وبين من يستهين بالموت في سبيل الحقّ والعدالة.. عليكم أن تستروحوا، وتستوحوا من سيرة محمد (ص) أنّ المخلص لدينه ووطنه هو الأمين العفيف عن المحرّمات والموبقات، والمكافح المعاند لأهل الضّلال والفساد، والحليم الذي يتّسع صدره وقلبه للجميع، حتى لخصومه وأعدائه، فلقد جيّشت قريش الجيوش لحرب الرّسول الأعظم، حين دخل مكة والمبدأ فوق الشّخصيات والحزازات على العكس من المنحرفين والإنتهازيين فإنهم إذا ظفروا نكلوا وغدروا كما فعلت أمية، وكما يفعل كلّ خسيس لئيم لا دين له ولا مبدأ ولا شيء سوى حقده وأنانيته.

وبعد، فلا أدري كيف يكون المرء داعية صلاح وإصلاح، ولسانه لا يفتر عن التّهم والإفتراء، وقلبه يتفجر بالحقد والبغضاء، وفرجه يتلوّث بالدّعارة والفجور، وبطنه تمتلىء بالحرام والخمور... أللهم إلا أن يكون يزيد بن معاوية داعية إصلاح، وقسطاس عدل..

الصراع في لبنان

بين الصهونية والوطنية لا بين الإسلام والمسيحية.

بالأمس كانت بلدتنا آمنة مطمئنة ، يأتيها رزقها رغدا من كل مكان، وكان أهلها يتنقلون من سوق الى سوق ومن شارع لآخر وادعين هادئين. فما بالهم اليوم؟ لا يأمن واحدهم على حياته، وهو في بيته وفراشه ، وكيف شجر الخلاف بين اللبنانيين، واشتد بأس بعضهم على بعض حتى أحالوا نعيم لبنان الى جحيم، وخيره الى شرّ، وسلمه الى حرب، وأصبح العديد من أسواق بيروت وأحيائها المتألقة كومة من ركام وحطام؟.

ولو أن باحثا عمد الى معرفة الدّوافع لهذه القارعة او الفتنة المستعصية، وجد اسباباً عديدة ومتنوعة، فمن النظام الفاسد وتناقضاته والسوق الحرة للسياسة والتجارة، وكل ما يتصل بهما من فنون التعامل العلني والسري، المشروع وغير المشروع، الى الصّراع بين المحرومين والمستأثرين وتعدد المليشيات وانتشار السلاح الخفيف والثقيل. وترك الحدود والأجواء اللبنانية لجنود إسرائيل بلا حراسة وحماية حتى فقد الأمن والأمان من الدّاخل والخارج . . الى ما يطول سرده وشرحه.

كل هذه الأسباب وغيرها تجمعت وتعاضدت على تدمير لبنان وخرابه، ولعل اهمها جميعا وأخطرها «أن الصهيونية العالمية تحاول اليوم صهينة المسيحية . . ومحو التقارب المسيحي والشرق العربي الإسلامي . . فمن وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح الى وثيقة عدد من الكهنة الفرنسيين تتضح منها الخطة الصهيونية». **ومذكرة الكهنة خرجت**

من بعض رجال الكنيسة في فرنسا بوحي من الصهيونية وهي تؤكد حق إسرائيل في الأرض العربية المستغصبة بصلابة الصهيونية ووقاحتها، وفي ضوءهذه المذكرة يستطيع أيّ باحث ان يفسر مذكرة الرهبانيات والرابطة المارونية وأهدافها التي نشرتها الجرائد اللبنانية بتاريخ ١٥-١٠-٧٥ والتي جاء فيها ان مصدر الأحداث في لبنان هو «التعصب الدّيني والإقتتال الطّائفي »

أجل، إن علة الأحداث الدّامية في لبنان هي الطّائفية، ولكنها طائفية إسرائيلية صهيونية من جانب يمثلها الذين في قلوبهم مرض، وهي أيضا وطنية إنسانية من جانب آخر يمثلها الطيبون المخلصون من مسيحيين ومسلمين . . لقد تعايشت الطوائف والمذاهب في لبنان أجيالا وأجيالا، ولم يحدث شيء مما يجري الآن على ارض لبنان حيث لا إسرائيل وصهيونية، ولا رابطة مارونية، ولا رهبانية ومؤامرات أميركية.

وبعد، فأي مسيحي او غيره بالهوية والوراثة يعمل لصالح إسرائيل فهو من الصّهيونية في الصميم من حيث يريد أو لا يريد، وما هو من السيد المسيح (ع) ودينه وانجيله في شيء. قال سبحانه: ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين - ٥١ المائدة﴾.

لا قيادة ولا قائد في العالم الإسلامي

بمناسبة مشاريع الإستيطان الصهيون في الأرض العربية، وضم القدس الاسلاميّة وتحويل الحرم الإبراهيمي الى كنيس صهيوني.

الحقيقة ان المسلمين اليوم اشبه بقطعان من الغنم غاب راعيها حيث لا قيادة عامة ولا قائد تعطى له الكلمة باسم العالم الإسلامي بكامله. اجل، يوجد في العراق او إيران أكثر من مرجع ديني للشيعة يبين لأتباعه ومقلديه حلال الله وحرامه، ولكن لا أثر له وتأثير في أية حادثة او كارثة يعانيها الإسلام والمسلمون في بقاع الأرض واطرافها، اما شيخ الأزهر و«الإمام الأكبر» فهو موظف يعين بمرسوم من رئيس الدولة، وينحى بمرسوم، ولا يقول الا ما يقال له خيفة على منصبه، وأيضا يوجد في البلاد الإسلامية منظمات طائفية، ومؤسسات اقليمية تعقد اجتماعاتها، وتذيع منشوراتها، ولكن لا تشمل إلا نفسها، وبعض منها لا يحمل شعار الدين إلا ليمتص غضب المحرومين، ويدعهم نظام القلة من أرباب الملايين.

لقد انتهبت إسرائيل وطنا عربيا بكامله، وأضافت اليه ما أضافت لتحقق حدودا أوسع، وحرقت المسجد الأقصى، وتعمل على تهويد الحرم الإبراهيمي بعد تهويد القدس، وما يأتي أدهى وامر، والعالم الإسلامي ككل غائب ولا يؤوب.

الدّاء في الرّأس لا في الجسد:

مليار مسلم، وأكثر من ٣٢ دولة إسلامية، وثروة أشبة «بخاتم لبيك السّحري» ولولاها لم يكن العالم الحضاري الحديث ممكناً، ولا

صعدت الولايات المتّحدة إلى القمر، كلّ هذه القدرات والإمكانات ولا أثر للمسلمين على أيّ مستوىً يُذكر! . أللهم إلا مؤتمرات وصرخات لا شيء وراءها إلا الشّماتة والفضيحة.

وأيّ عار على العرب والمسلمين أشدّ وأعظم من هوانهم على إسرائيل؟ . . أبداً كلّما عقدوا مؤتمراً تمادت إسرائيل في الغي والتّوسع. وكلّما رفعوا صوتاً استهانت بهم وبكلّ حقّ وشرعيّة.

ولو كان في العالم الإسلامي قيادة عامة وصالحة لوضعت حداً لمن يبتزّ الإسلام، ويستغل شعاره لمطامع أعداء الإنسان والأديان.

وما دمنا ابعد الناس عن روح الإسلام بكل ما به من معنى، ولا موقع بيننا لقيادة إسلامية شاملة- فعلينا ان ننسجم مع الواقع وأنفسنا وندع الحديث عن الإسلام والمؤتمرات والمؤسسات باسمه رياء او حياء.

أبعد هذا يقال: «اين هي المؤسسات والمؤتمرات الإسلامية لكي تدافع عن حرمة الحرم الإبراهيمي؟». أبدا لا شيء في العالم الإسلامي الا التمزيق والشقاق والتبعية والطاعة لعدو الله والإنسان باسم الدين والوطنية. . وإذا ارتفع صوت الحق من مسلم مخلص رجمه العملاء والأدعياء بالتهم الكاذبة، ورشقوا ايمانه وصفاءه بالبهتان , الإفتراء. ولا يزيده ذلك إلا إيماناً وجهاداً ضد المزيفين والمضللين: ﴿يا أيها الذينَ آمَنوا قاتِلُوا الذِينَ يَلونكم منَ الكُفّارِ وليجَدُوا فِيكُم غِلظَة واعلَموا أنَّ الله مع المُتقِّينَ﴾ (٢٣ التوبة).



الفهرست

المقـــدمة

سورة البقرة

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الأحــزاب

سورة الحشــر

سورة الأعراف

سورة الإسراء

مقـــالات

دار الجـــواد

للطباعة والنشر والتوزيع

المؤسّس : الشيخ محـمّد جواد مغنيّة

صاحب الدار : عبد الحسين مغنيّة

العنوان :

دار الجواد بيروت ـ لبنان

ص . ب : ١٤/٥٨١٣ ــ تلفون ٣٠٠٧٤٨.

كورنيش المزرعة، بناية حيدر ورمضان

تجاه مدرسة نوتردام ـ الطابق الأرضي